المحتويـــــات

	رقم الصفحة
الأستاذية في العطاء الدائم	١
الشنطة التي كاد أن يمزقها اليتيم	٥
محسوبة تسلل ويبقى الهدف	١١
جولة الخاطر في مصاب آل ناظر	١٧
من الذي أبكاها وكيف له أن ينساها	٢٣
وهل ينتفع بالماء الغريق ؟	٣٠
خصومات مغرية "بين شعبان ورمضان"	٣٦
ماتت ... فمات والدها	٤٢
القلب أعلم يا عذول بدائه	٤٨
"تقهْو" يا رجال	٥٤
حذار يا عذارى	٦٠
إن الجميل إذا أخفيته ظهرا	٦٦
هذا عذر "بدي" اعتذار	٧٢
جئت ربيعًا يا رمضان	٧٨
وهل لبدور قد أَفَلْن طلوع	٨٤
أيها المائلون "اعتدلوا"	٨٩
تحية للمجلة العربية	٩٤
أحنّ إليك كيف لا أهواك	٩٩
وامتد ليل ما له صبح	١٠٥

رقم الصفحة

ما ذقت يا طير طعم العسل ١١١
ما ذقت يا طير طعم العسل (٢) ١١٥
"ديانا" والرحيل الفيكتوري ١١٩
مجّدي لخالق السماء. ١٢٣
التفاعلات الكيميائية في الأندية الأدبية ١٢٧
شديد السكر من غير المدام ١٣١
عباس الحساس ١٣٥
رأى فكانت كما رأى ١٣٩
كأنه هو وليس بهو فما هو ؟ ١٤٤
حان الوداع مع الفراق ١٤٩
صدق هذا والله خيال ١٥٣
فوق رؤوس الجبال "شيبة" ١٥٧
وليس علينا في المقال أمير ١٦١
فكأنما الماء للنار حطب ١٦٥
لكنني بعينيك بالبحار عميد ١٦٩
يسقي جداوله ويضفر جدائله ١٧٣
الهضـــــــم ١٧٦
لا "تواعد" ولا تركب مصاعد ١٧٩
عكاظ × عكاظ = (عكاظ)^{٢} ١٨٢
بحر لا شاطئ له ١٨٥
أكتم الوجد في الأعماق أدفنه ١٨٨

رقم الصفحة

بين ثغر الأدب وأدب الثغر ١٩١
الغربة حرقت فؤادي ١٩٤
عبدالعزيز و "الأمر" العزيز ١٩٧
ابن عثيمين ... المنزلة والمنزل ٢٠٠
نثريات من أدب الهرمونات ٢٠٢
قلعت عيناه في العيد فأبصر ٢٠٦
ومن أجلها أحببت ما كان أسودا ٢٠٨
طهور إن شاء الله ٢١١
اللقاء والميزان ٢١٤
يا نهلة خلي غترتي وعقالي ٢١٧
كيف بلغت "القمة" ٢٢٠
بين المبشرات والمعوقات ٢٢٣
غازي عبيد مدني ٢٢٦
قلوب معطرة ٢٢٩
عبدالعليم فرج – أستاذ الأجيال ٢٣١

الأستاذية في العطاء الدائم

(١٤١٤هـ)

الأستاذية في نظر الكثير تمثل "قمة هرم" تتواضع قبلها مستويات تأسيسية مختلفة، ولعل كلمة "أعلام" توحي بمعنى كلمة "أساتذة" وإن كانت هي أشمل وأكبر معنى منها، إلا أنها تشير بأن تصنيف العطاءات يمكن أن يكون فيه قمة تحوي أعلامًا وأساتذة، وبين البداية والقمة درجات تستهوي عزيمة كل من يملك همة عالية أن يواصل السير بعطائه، حتى يصل إلى القمة، وكما قيل: من كبرت همته عظمت قيمته، لذلك هنا كمصنفات وكتب تحمل أسماء أعلام للتعريف بهم مثل: أعلام التابعين وأعلام الفكر الإسلامي وأعلام....إلخ.

وقد ذكر القرآن الكريم أن الذين يعلمون أعلى مرتبة من الذين لا يعلمون ﴿هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة الزمر/آية ٩] بل وضح أن أهل العلم نفسه ليسوا على درجة واحدة بل درجات، وأن سبب رفعهم درجات هو مدى تمكنهم من علمهم وفهمهم له ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [سورة المجادلة/آية ١١].

وإذا كان الحديث عن الجامعات فإن الأساتذة فيها يمثلون الكوكبة ذات التيجان والنياشين، بما أن كل أستاذ يمثل الريادة (رائد) أو الركنية (ركن) لتخصص من التخصصات كل حسب عطائه، وتحسب له إنتاجيته ونشاطه بكثرة عطائه، حتى يحمل وسام "المرجعية".

أستاذية التخصص

وللأستاذية مدلول قريب (خاص) ومدلول بعيد (عام) فأما الخاص وهو ما يعرف اليوم بكلمة "بروفسور" والمقصود بذلك أن يكون صاحبها قمة في

تخصصه، وذلك يقتضي منه استمرارية جادة في البحث والتحـصيل العلمـي. والمفروض في طبقة الأساتذة المتخصصين أن يتمثل فيهم خطان متوازيان:

خط المرجعية، وخط الإنتاجية فالمرجعية، لأنهم هم أهل التخصص والإنتاجيـة، لأن الوطن ينتظر منهم العطاء. ولي أن أذكر على سـبيل المثـال فـي هـذا المضمار أستاذ الأجيال في جامعة الملك سعود سابقًا. وجامعة الملك عبدالعزيز حاليًا[١] الذي نذر نفسه لتخصصه العلمي (الكيمياء) فأفاد أبناء الوطن بمؤلفاتـه وعطائه، وقدم لهم من جهده وذهنه الشيء الكثير، وأنى لأكبر فيه أيمـا إكبـار إصراره واقتناعه بأهمية موقعه، وأنه على ثغرة من الثغور العلمية مرابط فيها، ولاسيما عند رفضه بعض العروض التي تستهويه للهجرة من صرح المدرجات العلمية، ويفعل ذلك من منطلق معرفته أن الملائكة تضع أجنحتها مستغفرة لمعلم الناس العلم، وجميل كذلك أن نعرف أن كثيرًا من العقول العلمية المهاجرة، تحن إلى بيتها الأول، ومأوى عقلها وعطائها، تحن إلى الجامعة، كما يحـدث تمامًـا للأسماك والطيور المهاجرة، فإنها بعد هجرتها تندفع إلى مكانها الـسابق مـرة أخرى، وكأن هناك "هرمونًا" فطريًا يسير في دمها فلا تكتمل حياتهـا إلا بـه، وكذلك الحال بالنسبة لمن هاجر مبتغيًا توظيف طاقته لمجتمعه ووطنه، فإن هناك شعورًا فطريًا يسري في داخله، طالبًا أن يمنح حق العودة إلى صرحه العلمـي منتقلاً بين طلابه والكل يستفيد من تخصصه وعلمه.

وأقول هنا بصوت مسموع أنه حفاظًا على حق الوطن يفضل أن يعطـي للأستاذ عند سن التقاعد حق الممارسة العلمية من تـدريس، وبحـث وإشـراف وتحكيم رسائل دراسات عليا، ولا بأس أن يجنب في هذه العمر عن "الإرهـاق الإداري" وأن يتفرغ فقط للعطاء العلمي، ويكون ذلك اختيارًا لمن يريد، ومع أن

(١) الأستاذ الدكتور صالح طاهر أزمرلي.

الأستاذ يمثل قمة هرم تخصصي، إلا أنه أكثر الناس علمًا بأن من مستلزمات العلم التواضع له، وكما هو معروف: فإن الأساتذة أقل الناس استمطارًا للكبرياء من خلال سحابة الأستاذية، ذلك أن مدرسة الحياة تعلم الإنسان الشيء الكثير، الذي من خلاله يعرف الإنسان قيمته، وقيمة ما يحمله من علم يوجب التواضع لحمله وتوصيله.

أستاذية العطاء

تلكم هي أستاذية التخصص، أما أستاذية العطاء فيمكن أن نستشرفها في بعض من حولنا من خلال عطاء من العطاءات التي ميزتهم عن غيرهم، حتى أصبحوا قمة في ذلك العطاء، ومن ذلك أستاذية الكتابة المستقاة من عمق التجربة في الحياة، وكلنا يعلم أن القلم يحتاج فيما يحتاج إليه: إلى تجربة الحياة لكي يصبح لديه عمق فيما يكتب، ولا يكتفي بالغرف من السطح، والحروف في ذلك تحتاج إلى حسن الصياغة، والمعاني تتطلب قوة الصناعة لأن القلم يمثل المواقف التعبيرية للسان، ولو أنك قرأت المقالات الأسبوعية التي نشرتها جريدة عكاظ ذات العناوين التالية:

"أنفس مضيئة"، "إصابة الهدف"، "موت الأقوال"، "من تراثنا"، "الزهرات الثلاث أو الأرب"، "من أبعاد الكرم"، "الحزم يبحث عن مكانه"، "الأعراب بين المدح والقدح"، "عادات من ذهب"، "إشعاع في مختبر"، "تحت مجهر المختبر"، "عصارة فكرة"، "مرح الوقورين"، "العقل وثماره"، "السير في طريق الحياة"، "الرد الحسن"، "النفوس العظيمة"، "العلة صحة"، "خارج الهدف"، "زمام الكلمة"..... وغير ذلك كثير، لو أنك قرأت ما سبق لقلت أن صاحب[٢] هذه المقالات أستاذ للكتابة حقًا.

---

(٢) معالي الدكتور عبدالعزيز الخويطر.

والخطابة أخت للكتابة واللسان توأم القلم، إلا أن الأولى (الخطابة) تحتاج بالإضافة إلى عمق التجربة، وحسن اختيار الكلمات. وفن توصيل المعاني تحتاج إلى المعرفة الشرعية والدراية الاجتماعية لأن الخطبة تهدف إلى معالجة القضايا الواقعية للمجتمع بوجهة نظر الشرع، وقد استمعت إلى مجموعة من خطب المسجد الحرام، وقرأت مجموعة أخرى، جمعت في كتاب "توجيهات وذكرى" تحمل عناوين ومضامين رائعة مثل: "توحيد وعبادة"، "الدين كمال وتمسك"، "إن الحكم إلا لله"، "البيت السعيد"، "توجيهات لمسيرة الصحوة الإسلامية"، "صلوا أرحامكم"، "سوء الظن والتثبت في الأخبار"، "شؤوم المعصية"، "حينما يختلف الزوجان"، "مسرى الرسول وأطفال الانتفاضة"، "بين يدي رمضان"..... وغير ذلك كثير وقلت فعلاً إن هذا الإمام والخطيب[٣] أستاذ في الخطابة، فهو صاحب تنوع في خطبه، كما أنه على معرفة واعية بأمور عصره وأحوال أمته الإسلامية. ولو أردنا الاسترسال في حصر أنواع أخرى من الأستاذية لطال بنا المقام، وما اتسعت المساحة الصحفية لذلك، ولكن على القارئ القياس.

ومهما تنقل الإنسان بين أساتذة التخصص أو العطاء فإنه لا ينسى أبدًا الأستاذ (المعلم) الذي هو أساس الأساتذة، وهو الباني الأول لهم، لأن الفضل إنما يكون للأستاذ الأول، وإني أتذكر بالمناسبة بعض من درسنا على يديه في المرحلة الابتدائية في مدرسة النجاح النموذجية في المدينة المنورة، ولو سألني سائل ما موقع بعض أولئك المعلمين في خريطة الأستاذية؟ لقلت بكل صراحة: إنهم ليسوا أساتذة تعليم فقط، إنهم يجمعون بين أستاذية التعليم، وأستاذية التربية معًا، لهم مني ومن الأجيال كل حب وتقدير.

---

(٣) فضيلة الشيخ الدكتور صالح بن حميد.

الشنطة التي كاد أن يمزقها اليتيم

(١٤١٥/٤/٢٧هـ)

كنت قد كتبت قبل أشهر قليلة عن أخت أرملة اتصلت بي، وطلبت منـــي الكتابة عن الأرملة ... وعن قصة حدثت لها مع ابنها ... إلا أنني قلت يومهـــا: من سيقرأ ما سأكتبه عن أرملة؟! ومع أنني تفاعلت مع قصة ابنها – على الأقل فيما بيني وبين نفسي – ودوَّنت ماجال في خاطري، وما اختلج في صدري ... لكنني نسيت أو تناسيت ... وسواء الأولى أو الثانية شعرت حقًا بظلـــم الـــنفس ونفاق القلب !! إلى أن فتحت المدارس أبوابها ... وأجدني وجهًـــا لوجـــه مـــع الشنطة... التي صرخت في وجهي لتنفض غبار النفاق عن قلبي وتقـــول: أنـــا الشنطة ... أنا الأرملة التي نسيتها ... أنا صاحبة القصة مع ذلك الطفل اليتيم .. وإذا ببراكين تتقاذف من فوهة تلك الشنطة لتقول: لاتتركوه يمزّقني فأنا بريئـــة ... بريئة ... بريئة ... واللوم على ابن الجار .. وابن الجار صغير ... صغير ... صغير جدًا ... كل هذه التداعيات تراكمت على شغاف قلبي لتقول لي:

اذكر القصة فلعل فيها منفعة ... اذكرها ففي ذكرها ذكر لليتيم والأرملة اذكرها فهذا يومها: يوم المدرسة.

- **القصة في تقاسيم شعرية**

هذه يا سادة رسالة من أرملة.
أبدأها بذكر الله والبسملة.
جاءت عبر الأثير ذبذبات ملثمة
حاولت لقطها لكن أمواجها مبعثرة.
تقول فيها أنها في أرض مسلمة.
والأراضي فيها مقدسة.
وأنها كانت في بيت نعمة، وكانت مترفة.

واختار القدر زوجها وأبقى لها طفلة ميتمَّة.
وأخًا صغيرًا يسأل: أين أبي؟ أين تلك النظرات المفرحة؟
وبعد سنتين أو ثلاث أصبحت أم اليتامى من أهل المسألة.
وتنبه الجيران وتساءلوا: أحقًا في حينا امرأة أرملة؟!
وانتهت الإجازة وجاء يوم المدرسة.
فاشترى الجار لابنه شنطة وتذكّر صاحبة الأجنحة المكسرة.
فاشترى هو وابنه لليتيم شنطة جديدة ملونة.
وفرحت الأم ورمت تلك الشنطة القديمة المهلهلة.
ومضت الأيام والأيام كلها عهود مبرمة.
وعاد اليتيم يومًا من المدرسة وأوداجه منتفخة.
صرخ قائلاً: أمي! أين أنت يا أمي ؟ سوف أجعلها ممزقة!
سألت الأم وهي مستغربة: ما الخطب يا بنيَّ ما المسألة ؟
قال لها: ما كنت أظن أن هذا من فعل الأرملة !!
هل أنت سرقت الشنطة ؟ أم أنها صدقة؟!
عرفت الأم موضوعه وأرادت أن تكون متفهمة.
قالت سائلة: ابن الجار ما به ؟ أيريد استرجاع تلك الشنطة الملونة؟
فأجاب الصغير: نعم يا أمي .. وأخذ يبكي بدموع منهمرة.
قالت: الأم: كفى يا بنيَّ ... إن قلبي لا يستطيع أن يرى أوصاله ممزقة.
يا صغيري احتمل ... إنه صغير إنه لا يعرف: أما اليتيم فلا تقهره.
أنت يا صغيري مؤمن، والمؤمن له في رسول الله أسوة حسنة
عائل ... فقير ... يتيم ما أصبره!
صلى عليه الله وسلم دائمًا ما أجمله!
أحست أخته أن أخاها يمزق قلب الضعيفة المرمَّلة!
ترجلت وقالت: قم قبل الرأس إنها لك نعم المربية.

وهذا يا حبيبي صغير، والصغير ما أجهله!
العتبى على والده وإن كان صاحب نية حسنة؟!
كم كانت جميلة لو كانت هديته غير معلنة.
ولما حدث التألم، ولما أصبحت أحوالنا مؤلمة.
ولما هدد ابن المحسن صغيرنا عندما خاصمه.
ولما أصبح في بيتنا شنطة تكاد أن تكون ممزقة
ألا يكفي يا محسنون أن اليتيم مكسور خاطره، ويبحث عمن يجبره!

ملخص القصة

تتلخص القصة في أن جارًا من الجيران أراد أن يفعل خيرًا فاشترى لابن الأرملة شنطة، وبنية حسنة طلب من ابنه أن يقدمها لأم اليتيم في غياب ابنهـــا، وعندما حدث شجار بين الطفلين أراد ابن الجار استرجاع شنطته، وأنه هو الذي اشتراها وأنك أنت – أي اليتيم – فقير، ونحن عندنا وعندنا .. فأثر ذلـــك فـــي نفسية اليتيم، فتحاور مع أمه فأثر ذلك في نفسية الجميع، حتى أضحى البيت كله مأتمًا في مأتم، ويعلم الله أن القصة أثرت فيّ إلى حد البكاء، وعلمت أن الـــدنيا بدون مسحة على رأس يتيم، أو مراعاة حالة أم أرملة .. ما هي إلا دنيا مزيفـــة وأن قلوبنا متحجرة.

هل اليتيم بسبب الانحراف ؟

الطفل اليتيم يحتاج إلى:

- قلب عطوف يغذيه بالحنان.
- أيد حانية تمسح عليه.
- تعامل حسن يريح نفسه.
- رعاية حسية ترفع معنوياته.
- معونة مالية تسد حاجته.

فإن نشأ اليتيم وكل ذلك غير موجود ... فإن بديله سيء، والبديل السيء يقود إلى الانحراف، والانحراف يجعل اليتيم في تمزق وضياع. ومما يدل على أن اليتيم يمكن أن يضيع إذا لم يجد العناية الكافية من المجتمع، وصاية القرآن وتوجيهاته في شأن اليتيم.

يتيم القصر ليس بيتيم

درج بعض الناس على اعتبار أن عوزة اليتيم هي معنوية ومادية فقط ... وإن كان من الأشياء الأساسية التي يحتاجها إلى المجتمع ... إلى الاعتبار المعنوي ... إلى مخالطة الأخرى ... إلى أقربائه وجيرانه ... إن سدت حاجته المالية ... فمن ذا يسد حاجته القلبية والعاطفية؟ لذلك فإن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ﴾ [سورة البقرة/ آية ٢٢٠] وعليه، فإن اليتيم يتيم سواء عاش في دار صغيرة أو قصر كبير.

إزالة الهموم بمسحة على رأس يتيم

حدثني صديق لي أنه كان يعاني من هموم وأشياء قلبية كثيرة، منبعها – قسوة القلب، وعندما تصعد الأمر عنده، وأصبحت نفسه ضائقة من هذه الحياة اقترح عليه أحد أصدقائه أن يجرب العلاج بمسحة على رأس يتيم، وأن يكرر ذلك مرات عديدة. والأيتام مختلفون ويبدأ بأقربائه إن كان بينهم يتيم، ويحكي قائلاً: لأول مرة يخطر في بالي السؤال عن القريب!! وأخذت أبكي، وأتحين الفرص عندما التقي ببعض أولئك الأيتام فأمسح على رؤوسهم، وكنت أشعر داخليًا بأن هموم الدنيا كلها تذوب على جدار الرحمة، والرأفة، والحنان، والعطف، كنت أحس أنني ولدت من جديد ... واستبدلت الذي هو أمرض (ضيق النفس) بالذي هو خير (سعة النفس وإشراقة الروح) ... ومع كل مسحة على رأس يتيم أجدني اعتصرت حياتهم الآلام والأحزان والهموم ... هل يمكن أن يجربوا العلاج من صيدلية اليتيم ؟ وفيما يرويه الطبراني أن أبا الدرداء جاءه

رجل يشكو من قسوة قلبه فقال له: ارحم اليتيم، وادنه منك، واطعمه من طعامك، فإني سمعت الرسول {ﷺ} يقول لرجل أتاه يشتكي من قسوة قلبه، إن أردت أن يلين قلبك فادن اليتيم منك، وامسح رأسه، واطعمه من طعامك، فإن ذلك يلين قلبك، وتقدر على حاجتك.

أحاديث نبوية عن اليتيم والأرملة

- قال عليه الصلاة والسلام فيما يرويه الإمام أحمد وابن حبان "من وضع يده على رأس يتيم رحمة، كتب الله له بكل شعرة مرت على يده حسنة".
- وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله {ﷺ} "خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه، وشر بيت من بيوت المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه".
- وعن سهل بن سعد ﷺ قال: قال رسول الله {ﷺ} "أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا" وأشار بالسبابة والوسطى، وفرج بينهما "رواه البخاري.
- وعن أبي هريرة ﷺ، عن النبي {ﷺ}: الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله" وأحسبه قال: "وكالقائم الذي لا يفتر، وكالصائم لا يفطر" متفق عليه.
- وعن أبي شريح خويلد بن عمرو الخزاعيﷺ، قال: قال النبي {ﷺ} "اللهم أحرج حق الضعيفين اليتيم والمرأة" حديث حسن رواه النسائي بإسناد جيد، ويذكر الإمام النووي أن معنى "أحرج" الحق الحر وهو الإثم بمن ضيع حقهما، وأحذر من ذلك تحذيرًا بليغًا وأزجر عنه زجرًا كبيرًا.

حافظ إبراهيم واليتيم

إحدى قصائد حافظ إبراهيم كانت دمجًا بين وصف القطار وبين زيارة له لملجأ رعاية الأيتام، وأذكر هنا الجزء الخاص بالأيتام، الذي يوضح فيه: أن أحد

الأسباب الرئيسية التي تحفظ المسلم من الحوادث (كان يتحدث عن حوادث القطار) هو تبنيه أعمال الخير كرعاية الأيتام حيث يقول:

وإذا صـــيحة علـــت مـــن فتـــاة
بـــرزت مـــن صـــفوف ذاك الزحـــام
وقفـــت موقـــف الخطيـــب ونـــادت
تلـــك عقبـــى رعايـــة الأيتـــام
بـــسطت تحتـــه أكفـــأ تلقتـــه
وحاطتـــه رغـــم أنـــف الحمـــام
دعـــوة البـــائس المعـــذب ســـور
يـــدفع الـــشر عـــن حيـــاض الكـــرام
وهـــي حـــرب علـــى البخيـــل وذي البغـــ
ـــي وســـيف علـــى رقـــاب اللئـــام
إن هـــذا الكـــريم قـــد صـــان عرضـــي
وحمـــاني مـــن عاديـــات الـــسقام
عـــال طفلـــي وعـــالني وحبـــاني
بكـــساء وبـــذرة وطعـــام
وهـــو مـــن معـــشر أغـــاثوا ذوي البـــؤ
س وقـــاموا فـــي الله خيـــر القيـــام
وأقـــاموا للبـــرّ دارًا فكانـــت
خيـــر ورد يؤمَـــه كـــل ظـــامي
ملئـــت رحمـــة وفاضـــت حنانًـــا
فهـــي للبائـــسات دار الـــسلام

محسوبة ((تسلل)) ويبقى ((الهدف))

(٤/٥/١٤١٥هـ)

أرادا أن يتناقشا في نتيجة إحدى المباريات، فقال أحدهما مستهجنًا النتيجة: التسلل هو الذي فوَّزكم علينا، فقاطعه الآخر: الهدف كان بدون تسلل، وبصراحة لعبنا كان أنظف: تجادل الاثنان، وتخاصما إلى أن تمكن أحدهما من الحصول على شريط فيديو، وجلسا ليحتكما إليه مشاهدة ومتابعة مرة بعد مرة، حتى اتضح للثاني فعلاً أن الهدف كان ((بشوتة)) في موقع تسلل فقال بشيء من ((النرفزة)): صحيح هو تسلل لكن الهدف سيبقى هدفًا، والنصر سيبقى نصرًا، وخيرها في غيرها.

رَجُلا الخط

مع أني ميّال إلى لعب كرة القدم، خاصة عندما أكون رأس حربة في الهجوم، وكنت أتلذذ بالتهديف كثيرًا، وكثيرًا من الأهداف التي أسجلها تكون تسلل في تسلل، يعني إذا قدرت إني أفرك من الدفاع (أتقدم عنه) ووقت ما تصلني الكرة، أنفرد بالباب وأحط الهدف، وينبطح الحارس على الأرض، والناس من الخارج تشجع وتقول: حارسهم حارس عمارة، وكبرنا وعرفنا أن المسألة ما هي سائبة، بل هناك رَجُلا خط، كل واحد منهما معه عَلَم، وحسّه يشوف أحد متعدي ولو بمليمتر واحد عن الدفاع سرعان ما يرفع الراية ويوقف اللعب، ولو نظرنا إلى الحياة الدنيا كملعب كبير والناس بداخله يذهبون ويجيئون، يتقدمون ويتأخرون، يتعاونون ويتنافسون، والجميع عندما ينزل للملعب ينزل بفطرته السوية (فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله) إلا أن حدوث التسلل وارد، وإخراج الفطرة عن أصلها وارد، لذلك جعل الله سبحانه وتعالى مع كل فرد وشخص ملكين شاهدين على تسللات الإنسان، ويسجلان كل

كبيرة وصـــغيرة ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [سورة الكهف/آية ٤٩].

لا يمكن إلغاء نظام التسلل

الفطرة يكون فيها القلب على حاله الأكمل، والروح على حالتها المثلـــى، والفطرة هي حالة التوحيد الخالص، بل أضواؤها هي أنوار التوحيد الخـــالص، ومن أضاءت عنده تلك الأنوار سارت حياته على وضوح لا تـــسلل فيهـــا ولا معاصي، والتوحيد الخالص يقود إلى معرفة الله، ومن عرف ربه يـــستحيى أن يتسلل الشيطان إلى قلبه، فيحدث موجات وصواعق من المحرمـــات ذات اللـــذة المؤقتة، فينظر إلى امرأة عارية، أو يحسد الناس على ما أتاهم الله من فضله، أو يبسط لسانه ليحش في خلق الله، أو يسلط قلمه فيغمز ويلمز، ويتساهل في ذلـــك كله ويتطبعه في فؤاده وسمعه ولسانه وبصره وقلمه ... ويبقى الـــسؤال: هـــل يمكن إلغاء نظام التسلل ؟ ومع كل الصفاء الإيماني ومع حب الله والتوجه إليـــه، والخوف منه، وتجنب كل المعاصي التي تغضبه، تبقى الطبيعة البشرية محاطـــة بالهوى والشهوة، وبالنفس الأمارة بالسوء ، وبالشيطان الـــذي ينتهـــز فرصـــة ضعف الإنسان، فيتسلل إلى قلبه ولسانه ويده، ويمرغ أنف صاحبه في معـــصية لا ترضي الله، ولأن الله سبحانه وتعالى عليم بحالات الـــنفس وتقلباتهـــا جعـــل ارتباط الذنب أو المعصية أو السقوط في ذلك – في غيبة الـــضمير وغفلتـــه – جعله شيئًا طبيعيًا لكنه مرتبط ارتباطًا وثيقًا بالتوبة والأوبـــة، أو مـــا يمكـــن أن يقارن في كرة القدم بتوقيف الكرة بعد التسلل مباشرة ليعرف الإنـــسان خطـــأه، لذلك يعقب حالة التسلل بفعل الفاحشة أو ظلم النفس – كما يذكر القرآن – بكلمة نشعر من خلالها بلحظة توقف (ذكروا الله) يعقبها مباشرة الاستغفار ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ

﴿ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾ [سورة آل عمران/آيـة ١٣٥]. فالآية توضح بقاء نظام التسلل الذي يعقبه عدم الإصرار على الخطأ، بـل تـذكر الله والاستغفار من الذنب مباشرة، لذلك ورد في الحديث عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله {ﷺ} (والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله تعالى بكم، ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله تعالى فيغفر لهم) رواه مسلم.

كثرة "التسلل" "تضيع" "اللعب"

التسلل الأول عادة ما يكون في غياب الضمير، حيـث ينفـرد الـشيطان بالإنسان فيزين له العمل ويجعل من تلك اللحظة – لحظة التسلل – لذة مؤقتـة، أو أنه على الأقل يهون أمر المعصية في قلبه. وأصحاب الضمائر اليقظة والذين تلفحهم سياط المعصية في قلوبهم وعلى ظهورهم يتذكرون فيبـصرون ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴾ [سورة الأعراف/ آية ٢٠١] لكن من ينصرف عن ذكر الله يقيض الله له شيطاناً فهـو لـه قـرين ﴿ وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ ﴾ [سورة الزخرف/آية ٣٦].

مهمته: تزيين العمل وتبرير التسللات.

أدوات العمل: القلب، اللسان، الجوارح.

القلب: حقد ، حسد، سوء ظن....

اللسان: الغيبة، النميمة، الكذب ....

العين: النظر إلى المحرمات....

الأذن: التجسس .....

القلم: الكتابة فيما هب ودب .....

هكذا دواليك: تركيبة عجيبة كلها تسللات ومعاص وآثام، وبـذلك تبعـد الروح عن الأصل ... تبقى قابعة على طرف القلب ... لا يسمح لها بالـدخول

.... القلب محشو بالتسللات ... ميكنة كاملة متكاملة لعملية التسللات ... تضيع فترة الحياة الدنيا التي هي لهو ولعب ... تضيع ولا تستثمر لمـصلحة الآخـرة .... حتى على مستوى كرة القدم ... لو أن اللعبة كلها تسللات في تـسللات .. لضاع الوقت ولما أصبح للعبة أي طعم.

المتسلل يختلي بنفسه

تجاذبا أطراف الحديث بعد أن دنا منها وقرب إلى قلبهـا وارتمـى فـي أحضانها وأخذ يقبلها لأنه غاب عنها ... غاب عنها لحظات فقـط ... وعنـدها ذاق المر، ومر المر ... غاب عنها لحظات عندما تسلل الـشيطان إلـى قلبـه وأوقعه في هاوية تلك الحرقة (المعصية)...ولكنه عاد أخيـرًا .... عـاد إلـى حبيبته ... إلى قلبه وروحه إلى التوبة ..... إلى الله .... تقبله ويقبلها ... وأخذ يبكي كالطفل الصغير وهو يعض أصبع الندم ويقول: أوّه كيف عصيتك يا رب! كيف تجرأت على أن أرتكب ما أرتك وأنت تراني ! أوّاه ما هذه الجرأة وما هذا القبح ؟ أين الحب ؟ أين المهابة؟ أين الإجلال لعظيم سلطانك يا رب؟ غفرانك يا رب، وكلما تسقط دموعه، كلما يدنو من التوبة ويقرب مـن ربـه ... ليـزداد خشوعًا وبكاء ... ويجفف التوبة بصحبة الندم ... يجففان مدامعه ويعتـصران كل الألم والحزن الذي في داخله ... وعادت إليه نشوة بعد التوبة تـزن عنـده الأرض وما فيها، خاصة عندما شعر أن ذنوبه ومعاصيه قد غُسلت بدمع الحب لله بسمات اللجوء إلى الله ... بنفحات القرب من الله ... وكلما تذكر ذنبه تـذكر قول القائل:

يـا ويـح قلبـي مـا اسـتتاب
ممـا جنتـه يـد الـشباب
يـا حـسرتي يـوم الحـساب
مـن ناقـد يحـصي علـيّ

"**محسوبة تسلل**"

إن من عدل الله – سبحانه وتعالى – أن سجل على الإنسان كل صغيرة وكبيرة، شرًا كانت أم خيرًا كما قال تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ [سورة الزلزلة/آية ٧-٨] ويكون بطريقة الاستنساخ كما قال تعالى: ﴿ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [سورة الجاثية/آية ٢٩] يقول ابن كثير: أي إنا كنا نأمر الحفظة أن تكتب أعمالكم عليكم، وفي مسند الإمام أحمد عن عائشة أن رجلاً من أصحاب رسول الله {ﷺ} جلس بين يديه فقال: يا رسول الله إن لي مملوكين يكذبونني ويخونونني ويعصونني، وأضربهم وأشتمهم فكيف أنا منهم ؟ فقال له رسول الله {ﷺ}: "بحسب ما خانوك وعصوك وكذبوك وعقابك إياهم، فإن كان عقابك إياهم بقدر ذنوبهم كان كفافاً لا لك ولا عليك، وإن كان عقابك إياهم دون ذنوبهم كان فضلاً لك، وإن كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم اقتص لهم منك الفضل الذي بقي قبلك" فجعل الرجل يبكي بين يدي رسول الله {ﷺ} ويهتف: فقال رسول الله {ﷺ} "ما له لا يقرأ كتاب الله ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾ [سورة الأنبياء/آية ٤٧]. فقال الرجل: يا رسول الله ما أجد شيئًا خيرًا من فراق هؤلاء – يعني عبيده – أشهدك أنهم أحرار كلهم).

فالمعصية والذنوب وتسللات الشيطان وتزيينه للأعمال لارتكابها .. كل ذلك إن عمله العبديكتب عليه، وأمره فيما دون الشرك متروك لربه إن شاء غفر له وإن شاء عذبه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [سورة النساء/آية ٤٨] وجعل سبيلاً آخر لمحو السيئات وهو تكثير الحسنات، وهذه قصة أحد الصحابة توضح ذلك ذكر ابن كثير فيما يرويه الإمام أبو جعفر بن جرير عن أبي اليسر (كعب بن عمرو الأنصاري) قال: أتتني امرأة تبتاع مني بدرهم

تمرًا، فقلت: إن في البيت تمرًا أجود من هذا، فدخلت فأهويت إليها فقبلتها: فأتيت عمر فسألته فقال: اتق الله واستر على نفسك، ولا تخبرنّ أحدًا، فلم أصبر حتى أتيت النبي {ﷺ}فأخبرته فقال: "أخلفت رجلاً غازيًا في سبيل الله في أهله بمثل هذا؟ "حتى ظننت أني من أهل النار، حتى تمنيت أني أسلمت ساعتئذ"، فأطرق رسول الله {ﷺ} ساعة، فنزل جبريل، فقال: أبو اليسر: فجئت، فقرأ عليَّ رسول الله {ﷺ} ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾ [سورة هود/آية ١١٤] فقال إنسان: يا رسول الله ألله خاصة أم للناس عامة؟ قال: "للناس عامة" وفيما يرويه الإمام أحمد أن أبا ذر قال: قلت يا رسول الله أوصني، قال: "إذا عملت سيئة فأتبعها حسنة تمحها" قال، قلت: يا رسول الله أمن الحسنات لا إله إلا الله) ؟ قال: "هي أفضل الحسنات".

ويبقى الهدف

إن المعصية خاصة إذا كانت كبيرة .... لا ينبغي استسهالها واستمراؤها .. لأن النظر ليس لها إنما عظم من نعصيه جلّ جلاله ... وذلك يعتبر من أكبر الأمور تذكرًا في عدم الإقدام على المعصية ... لكن من حلم الله ولطفه وعطفه وتقديره لضعف الإنسان، فإنه جعل لعباده هدفًا أسمى إذا هم أخطأوا أو زلوا أو ضعفوا فأذنبوا ... هدفًا أكبر من المعصية نفسها ... هدفًا من يسجله ... تسجل الطبيعة البشرية التي خلقها الله ... هدف يسجل مباشرة بعد التسلل ... بعد الفاحشة وظلم النفس ... يجيء الهدف ﴿ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ ﴾ [آل عمران/آية ١٣٥] .. فالاستغفار هو هدف الأهداف كلها، وهو معنى لقرب الإنسان من ربه، وهو مدخل للتوبة ... وهو معنى للأوبة.. وهو منحى للحوبة.

جولة الخاطر في مصاب آل ناظر

(١٤١٥/٢/٢٠هـ)

يجيء أحيانًا ليزور فيطرق الباب طرقًا خفيفًا وعلى مهل ... ينتظر عند الباب ساعات وأيامًا وأشهرًا وأعوامًا .. يعرف غريمه لكل صفاته وملامحه .. يعرف كل ذلك منه، وعند ضبط الساعة أمام الوقت (صفر) تذبل الورقة، وتتهيأ للسقوط فيمد زائرنا ذراعه ليلقطها ويسير بها دونما عودة؛؛ وعلى الباب طرقًا عنيفًا لا مجال عنده للانتظار يدخل عنوة وينزل فجأة والناس كلها تنظر وتشاهد: ينتزع الورقة وهي خضراء، ماؤها في عروقها وهواؤها في رئتيها، ينتزعها وهو يقول: الأجل؛ الأجل مما يضطرنا أن نردد معه! نعم الأجل، الأجل ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [سورة الأعراف/ آية ٣٤] وعندها يستسلم الجميع لأمر القدر. ويتم تشييع تلك الورقة (الذابلة أو الخضراء) يتم تشييعها إلى مثواها الأخير. وكل من يشارك في حملها يتردد في خاطره السؤال .. يا ترى هل سأكون ورقة ذابلة تسلبها الابتلاءات كل نضارتها ؟ أما أني سأكون ورقة خضراء طرحًا بمائها وهوائها ونضارتها ؟ ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [سورة لقمان/آية ٣٤].

جولة الخاطر

وعندما قرأت خبر وفاة أخي عبدالفتاح ناظر – يرحمه الله – كنت أكتب في مقال يخص ملاحظات على قبول الطلاب في الجامعات، حيث أننا في هذه الأيام نعيش فترة تقديم طلبات القبول، وبدون مقدمات تجدني أمسك بالقلم لأخط جولات في خاطري، وهي جولة عن قصة عايشتها، وجولة عن الموت وصولته، وجولة أخيرة سبحت فيها كثيرًا وهي جنة الخلد ونعيم الأبد.

الجولة الأولى: القصة

إن مما أوجد قصتي هذه أن قلوبنا ما قست إلا لأننا هجرنا سنتين نبويتين كريمتين هما:

- سنة زيارة المرضى، كما قال تعالى في حديث قدسي { لو أنك زرته لوجدتني عنده}.
- سنة زيارة القبور كما قال عليه الصلاة والسلام: { ألا قد نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فإنها تذكركم بالآخرة}.

والقصة التي عايشتها تبدأ خيوطها بطلب من صديق لي أن نذهب سويًا لزيارة أحد المرضى الذين نعرفهم، وما أن وصلنا إلى الدور الثاني من المستشفى، ومن بين ردهات ذلك الجناح، ومن بين جدران تلك الغرف تنبعث ذبذبات هوائية كلها أنين وزفرات وآهات... ولأول مرة في حياتي تنسكب حروف جديدة إلى داخلي، حروف لا أجد لها مثيلاً بين أسطر الكتابة. وتتعمق تلك الحروف لتؤكد أنها ليست من حروف الهجاء .. ترى من أين جاءت حروف الأنين ؟ ومن أول من عرف حروف الآهات ؟ وعندما ترجم القلب تلك الحروف، تأكد لدي أن تلك الحروف ليس منبعها اللسان! إنما هي من القلب واللسان، هنا مجرد موصل حراري، ووجدت ترجمة واضحة على شغاف القلب وخلاياه، وقلت في نفسي: هذا حال حروف القلب في النهار فكيف هي في الليل؟ أسمع الناس يقولون إنها أعمق أعمق انبعاثًا أو أعمق صوتًا! أتزيد بزيادة الظلام ؟ أم أن أوكسجين الليل غير أوكسجين النهار؟ لا أدري. المهم سلَّمنا على مريضنا وإذا بنظرات ترمقنا وتركز على رؤوسنا فبادرته بقولي:

– شدة وتزول إن شاء الله، والله يأخذ بيدك ويجعلك طهورًا لك

فرد قائلاً: إن شاء الله

وبدأ يتحدث ومع كل كلمة تسقط دمعة، حتى شعرت أن كلامه تشكله الـدموع: ترفعه ... تنصبه ... تجزمه .. وتجره .. وقال أخيرًا وهو يتنهد: إني أعرف ما بي، وإني أنظر إلى تاج تحملونه فحافظوا عليه. وأخذت أتحسس فـوق رأسـي باحثًا عن التاج لكنني أدركت مراده (الصحة تاج فوق رؤوس الأصحاء لا يراه إلا المرضى) وبعدها انصرفنا وما هو إلا يوم واحد حتى أخبرنـا صـديقي أن الذي زرناه انتقل إلى رحمة الله، وهو يردد قول الله تعـالى: ﴿وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ﴾ [سورة القيامة/آية ٢٩-٣٠].

الجولة الثانية: الموت

إن الموت ليس لغزًا كما يكتب عنه البعض إنه خلق من خلـق الله ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ﴾ [سورة الملك/آية ٢].

والموت قاسم مشترك بين البشر جميعًا بل بين الأحياء جميعًا، ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ وَإِنَّمَا تُوَفَّوۡنَ أُجُورَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ﴾ [سورة آل عمـران/آيـة ١٨٥]. والحياة كما يقولون: أنفاس معدودة وساعات محدودة. دقات قلب المرء قائلة له: إن الحياة دقائق وثواني ولله در من قال:

سـألت الـدار تخبرنـي
عـن الأصـحاب مـا فعلـوا

فقالـت لـي: أنـاخ القـوم
أيامًـا وقـد رحلـوا

فقلـت فـأين أطلـبهم ؟
وأي منـازل نزلـوا ؟

فقالـت بـالقبور وقـد
لقـوا والله مـا فعلـوا

والموت تذكرة سفر بخط واحد لا عودة فيه للحيـاة والـدنيا، كمـا قـال الشاعر:

سفري بعيد، وزاد لـم يبلغنـي
وقسمتي لم تزل، والموت يطلبني

وسمعت يومًا تفسيرًا جميلاً لعلامة وأديب العالم العربي فضيلة الشيخ علي طنطاوي – يحفظه الله – بأن الموت هو نقلة من عالم إلى عالم، وهـو يـشبه الولادة في حالة نقل الجنين من عالم الرحم إلى عالم الدنيا، ومثل لذلك للتوأمين اللذين يسكنان رحمًا واحدًا، ثم يخرج أحدهما إلى الحياة، فإن الآخر الذي بقـي في الرحم يبكي أخاه الذي خرج، ويندب حظه فإنه مات وخرج من عالم الرحم، الذي يعتقد أنه لا حياة بعده، وكذلك هي قصة الموت، فإن الموت رحلة إلى عالم آخر هو عالم الحياة الآخرة التي بوابتها الرئيسية "القبر" لكن الفرق بين العالمين (الرحم والدنيا) إننا في هذه الحياة الدنيا كلفنا الله – سبحانه وتعالى – بأن نعيش فيها على مقتضى مراده. لذلك وضع لنا منهاجًا واضحًا وهو القـرآن الكـريم وأرسل لنا نبينا موضحًا وهو سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، وبـين لنـا أن الإسلام دستور الحياة، وأنه سوف يسألنا عنه يوم القيامة كما قال الشاعر:

فلـو أنـا إذا متنـا تركنـا
لكان الموت راحـة كـل حـي
ولكنـا إذا متنـا بعثنـا
فنسأل بعـده عـن كـل شـيء

الجولة الثالثة: جنة الخلد

إن مما يستأنس به أن كثيرًا من آيات الله – سبحانه وتعالى – تذكر قضية المبشرات لدخول جنة الله، والتنعم بنعيمه، وترتكز قضية المبشرات هذه علـى الإيمان والعمل الصالح بعد رحمة الله، كما قال تعالى في سورة الطلاق: ﴿وَمَن

يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴾ [سورة الطلاق/آية ١١]. والجنة مآل المتقين، ومنتهى المؤمنين، فقد أقسم رسول الله يومًا فقال: {والذي نفسي بيده إنهم إذا خرجوا من قبورهم استقبلوا بنوق بيض لها أجنحة، عليها رجال الذهب، شراك نعالهم نور يتلألأ، كل خطوة منها مثل مد البصر وينتهون إلى باب الجنة}. وقد ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا ﴾ [سورة الزمر/آية ٧٣] وكما قال تعالى: ﴿ سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ﴾ [سورة الحديد/آية ٢١]. وقال مرة عليه الصلاة والسلام وهو يتحدث عن وفد الرحمن (وينتهون إلى باب الجنة فإذا حلقة من ياقوتة حمراء على صفائح من الذهب) وفي الحديث الشريف يقول عليه الصلاة والسلام (عند باب الجنة شجرة ينبع من أصلها عينان، فإذا شربوا من أحدهما جرت في وجوههم نضرة النعيم، وإذا شربوا من الأخرى لم تشعث أشعارهم أبدًا)، وروى البخاري ومسلم أن النبي {ﷺ} قال: (إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الدرية الغابر في الأفق ومن المشرق والمغرب يتفاضل ما بينهما، قالوا يا رسول الله: تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم، قال: بلا والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدّقوا المرسلين)، وفي وصف الجنة ونعيمها الشيء الكثير لكني أختم ذلك بنعيم النعيم كله، بالنور الذي يسطع لأهل الجنة فيرفعون رؤوسهم، فإذا الرب جل جلاله وعظم شأنه قد أشرف عليهم من فوقهم وهو يقول لهم: سلام عليكم يا أهل الجنة، وهو قوله تعالى: ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾ [سورة يس/آية ٥٨]، فلا يلتفت أهل الجنة إلى شيء مما هم فيه من النعيم ما داموا

ينظرون إلى الرب سبحانه وتعالى حتى يحتجب عنهم، ويبقى فيهم بركته ونوره سبحانه وتعالى.

أحاديث نبوية

- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله قال: يقول الله تعالى { ما لعبدي مؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيت من أهل الدنيا ثم أحتسبه آل الجنة } رواه البخاري.
- أخرج ابن ماجه والطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب عن عائشة رضي الله عنها أن النبي {ﷺ} قال: في مرض موته "يا أيها الناس من أصيب منكم بمصيبة من بعدي، فليتعزَّ بمصيبته بي عن المصيبة التي تصيبه بعدي، فإن أحدًا من أمتي لن يصاب بمصيبة بعدي أشد عليه من مصيبتي".

دعاء

اللهم ارحمنا إذا درس قبرنا ... ونسي اسمنا .. وانقطع ذكرنا .. فلم يذكرنا ذاكر.. ولم يزرنا زائر .. اللهم ارحمنا إذا غسلنا أهلنا .. وارحمنا إذا كفنونا .. وارحمنا إذا على أكتافهم حملونا .. وارحمنا إذا في قبورنا وضعونا..

من الذي أبكاها ؟... وكيف له أن ينساها ؟

(١٤١٥/٧/١٩هـ)

وصلتني رسالة من قارئ يسكن في مدينة جدة، يذكر فيها قصة غريبة تكاد أن تكون ضربًا من الخيال مما جعلني أتجاهلها ... وفي أحد الأيام تجاذبت أطراف الحديث مع بعض زملائي فيما يخص نوعية المقالات وما ينبغي أن يكتب فيه، فذكرت لهم طلب أحد القراء في ذكر قصة اجتماعية كان هو أحد شهودها ... وقلت لهم إن قصة كهذه لا تصلح بأي حال من الأحوال أن تكون موضوعًا يكتب فيه وذلك لندرة حدوثها ... إلا أن أحد الحاضرين وهو سعادة الدكتور (.....) ذكر قصة مشابهة لتلك القصة، مما حرك في داخلي ضرورة الكتابة عنها، واطلاع القراء عليها ... ويؤسفني أن أقول أن أبطال تلك القصة من المثقفين ... ربما كانوا شعراء أو أطباء، أو مديرين أو وجهاء، أو نقباء أو عمداء ... لست أدري المهم أنهم مثقفون ... وأهم ما يميز تلك الرسالة أنها كانت ((علبة بكاء)) حتى تمنيت أنني ما فككت مظروفها، ولا ترجمة حروفها ... لأن القصة مؤلمة حزينة، لها صوت نسمع من بعد أنين صاحبها، وها أنذا أعرضها عليكم لنعرف أن هناك قلوبًا قاسية، كما أن هناك قلوبًا رحيمة.

والقصة قصة اجتماعية واقعية، يقول صاحبها: سكنت في حي من أحياء مدينة جدة، وسكنت بجوارنا امرأة في الستين من عمرها في شقة صغيرة... ومع الأيام حدث تعارف وصداقة بين زوجتي وبين تلك المرأة' حتى أصبحنا كأسرة واحدة، وكان من الملفت لنظرنا منذ البداية أن هذه السيدة لا يزورها أحد.

وكأنها مقطوعة من شجرة ... ورغبة منا في عدم إحراجها لم نسألها عن ذلك ... وفي يوم من الأيام مرضت تلك المرأة وقامت زوجتي على خدمتها...

وحدث ما كنا لا نريده ... السؤال المحرج يا أم (.....) أيــن أولادك؟ فأخــذت المرأة تبكي وتبكي، وكأن الجارة نبشت جرحًا عميقًا دفنتــه الأيــام ... جرحًا يا له من جرح ... جرحًا لا يفرز قيحًا ولا صديدًا .. إنمــا يفــرز نتنًــا اجتماعيًا ليس بعده نتن، ويفرز رائحة حيوانية ليس بعدها رائحة .. جرحًا لــو وضعت عليه جميع عطور الأرض لم تــستطع أن تخفــي عفانتــه، ولا تــدفن قذارته... جرحًا عميقًا يبحث عمن يداويه! مم جعلني أتساءل: أيكفي البكاء لكي يشفيه؟ أو هل تكفي دمعة تنسكب عليه فتعافيه؟ ويجيء الجــواب: لا، لا، إنــه جرح ليس كالجروح... إنه عميق والعمق ينتشر في كل جوانبه ونواحيه، وفــي معمعة هذا الحديث يجيء صوت تلك المرأة ... يجــيء مجيبًــا علــى ســؤال جارتها: يا ابنتي لدي ولدان – وتكمل حديثها وصدرها ممتليء بالآهات، ورئتها مشبعة بالآلام والأحزان – أحدهما خارج الوطن له أكثر من عشرين ســنة مــا رأيته ولا أعرف عنه شيئًا. وقد سافر قبل وفاة والده بقليل. أمــا الآخــر فهــو (....) وهو موظف في (....) وله مكانة جيدة وأكمل دراسته وربنا وفقــه ... لكن يا أم (...) لم أر هذا الابن يزورك البتة!!

هل يعمل ٢٤ ساعة في اليوم؟ فترد تلك المرأة: لا يا ابنتي: ابني انــشغل عني... شغلته دنياه وأبناؤه وزوجته ... تلك الزوجة التي سوف يحاسبها الله يوم القيامة عما تسببت به في إبعاد ابني عني هذه المدة الطويلة، ودموعها تتــساقط كحبات المطر المتتابعة، كل واحدة منها مطلية بالغضب والنــار... ولا يمكــن إطفاؤها إلا برضا الوالدين... ولا يباع رضا الأمومة المفعمة بالعاطفة بــشيء من الريالات، ولا يعوّض باستئجار شقة ... إن الأم بحاجة إلى ضم ابنها إلــى صدرها ... بحاجة إلى شم رائحته لتعطر بها فؤادها، وتــنعش بهــا روحهــا،

وتهدّئ بها نبضات قلبها، وتعيد إليها قوة بصرها... ألم يقل يعقوب عليه السلام ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ﴾ [سورة يوسف/آية ٩٤].

يقول راوي هذه القصة: استمرت زوجتي أسبوعًا وهي تبكي حزنًا على هذه السيدة، ومما قالته لها: يا خالة إن مجتمعنا بخير وسوف أكون في مقام ابنتك، وسوف يكون زوجي بمقام ابنك .... وأما ابنك فإن الله لن يتركه إنه يمهل ولا يهمل، فردت الأم: لا يا ابنتي ... الله (يخليه) لأولاده ... الله يحفظه ويوفقه ويأخذ بيده ... لكني اشتقت إليه ... إنني أم، والأم لا تلام في ذلك ... كل الذي أريده أن أطمئن بأنه مرتاح البال وطيب الحال ... وبعد حوالي شهرين من مرض تلك الأم المسكينة كتب الله لها الانتقال إلى الدار الآخرة.

ويقول صاحب الرسالة: وجاء ابنها ليتابع وضعها ويحضر جنازتها وما أن رأيته ونظرت إلى صورته حتى عرفت حروفًا جديدة في الحياة هي حروف العقوق، وتشكلت في ذهني كلمات جديدة هي كلمات القسوة .. ومنها تعرفت على الجمل والعبارات ... وأخذت أقول في نفسي: كم بقي من الأيام حتى يستأجر هذا الرجل هذه الشقة – شقة العقوق – ويتركه أبناؤه وحيدًا بين جدرانها، يتجرع من أسقامها، ويكتوي بآلامها ... يتجرعه ولا يكاد يسيغه .. لكن تذكرت ... تذكرت تلك الأم التي كانت ترفع يدها إلى السماء وهي تقول: اللهم وفقه وسامحه واعف عنه: فأخذت أردد: إنها الأم ... إنها الأم ... إنها الأم.

صور مشرقة

إن الصورة السابقة .. صورة بلا شك مظلمة قاتمة عذاب ونار ... لكن ذلك في ظني نادر: بل نادر جدًا جدًا... لأن الارتباط الأسري من فضل الله في مجتمعنا ما زال بخير كبير، بعكس المجتمعات الغربية فإذن بند العواطف وصلة

الأرحام يكاد أن يكون معدومًا، كان يدرس معي في "نوتنجهام" أحد الطلاب الإنجليزي فجاءته يومًا رسالة، وبعد أن قرأها قال لي: انظر إلى هذه الغبية تريدني أن أزورها... فقلت له: أليست عشيقتك لماذا لا تذهب إليها؟ قال: لا هذه أمي تعيش في (كنتر بري) في جنوب بريطانيا، وتريد مني أن أذهب إليها... فقلت له: لماذا لا تذهب ؟ قال: قلت لها إذا كنت تريدين رؤيتي عليك أن تدفعي تذكرة القطار ذهابًا وإيابًا.

بكل هذه المادية وغياب البعد الفطري والإنساني يتعامل القوم هناك، أما نحن فعندنا صور جميلة مشرقة أذكر لكم ثلاثًا منها:

- **الصورة رقم (١):** لأختين متزوجتين ... ولهما أولاد كثيرون ... توفيت والدتهما، وبقي والدهما، وهو رجل طاعن في السن ... ويحتاج في هذا العمر لمن يقوم بخدمته ... وأشار عليهما بعض أقاربهما بأن تذهبا به إلى دار العجزة، ولكن كان موقفهما عصاميًا أحسن من موقف بعض الرجال، حيث رفضتا ذلك رفضًا قاطعًا، ووضعتا برنامجًا لخدمة والدهما بحيث تخدمه كل واحدة يومًا.. فبذلك أسعدتا والدهما وسعدتا في الدنيا ونالتا الأجر في الآخرة.
- **الصورة رقم (٢):** في أحد أشهر رمضان كنت أطوف حول الكعبة المشرفة، وإذا بي أرى رجلاً بدويًا يحمل امرأة عجوزًا على ظهره. فقلت في نفسي إن تلك الصورة من صور الوفاء ... وتذكرت قصة ذلك الصحابي الذي كان يحمل أمه على ظهره ويطوف بها، ومع ذلك فإن له عليه السلام بعد سؤاله: أوفيتها حقها؟ فقال عليه السلام: ولا رفسة من رفساتك في بطنها.

- **الصورة رقم (٣):** فقد عرفت رجلاً يجيء إلى أمه يزورهـا كـل صـباح ومساء، وحيث أنها امرأة كبيرة في السن، فإنه يحرص كل الحرص علـى عدم إزعاجها أو إيقاظها، خاصة عندما يحضر لها ما يلزم مـن فطـور أو عشاء، فإنه ينتظر عند رأسها إلى أن تستيقظ، ثم يباشـر بنفـسه إطعامهـا الطعام وإشرابها الشراب، وتذكرت بذلك قصة الثلاثة الـذين حبـسوا فـي المغارة وأخذ كل واحد منهم يتذكر ما عمل من عمل طيب يتقرب به إلـى الله، لكي يزيح عنهم تلك الصخرة التي أغلقت عليهم المغارة، ومـن بيـنهم كان ذلك الرجل البار بوالديه الذي لا يوقظهما، ولا يشرب شـيئًا هـو ولا أبناؤه حتى يشرب والداه أولاً.

التوجيه فطري

المتتبع لآيات القرآن والأحاديث النبوية فإنه يجد أن التوجيه كله منـصب على تعريف الأبناء والبنات بحق الوالدين وفضلهما ومالهمـا وتـوجيههم فـي مواضع كثيرة بوجوب القيام بأداء ذلك الحق ورد الجميل، ولم تكن هنـاك آيـة واحدة توصي الوالدين بأداء الحق العاطفي والفطري للأبناء والبنات، والـسبب في ذلك واضح وهو أن التوجيه فطري لا يحتاج إلى مزيد.

بل إن الوالدين ليتفطر قلبهما على أبنائهما، بينما قلـوب الأبنـاء ليـست كذلك، ويوضح ذلك المثل الذي يقول: قلبي على ولدي انفطر، وقلب ولدي عليّ حجر.

والبنات كما هو معروف أكثر حنانًا وعطفًا على والـديهما مـن الأولاد، وهذا مجرب عند كثير من الناس ومعروف، ولعل السبب في ذلك يعود إلـى أن طبيعة البنات عاطفيات وحبيبات وتمتلأ دواخلهن حنانًا، بل كل خلية من خلايـا أجسامهن تنبض بالحب والعطف والحنان، والأم تمثل قمة النساء عطفًا وحنانًـا،

ولأجلها وبدعائها يكرم الله الذرية، لذلك مما ورد في الأثر أنه عندما تموت الأم ينادي مناد للابن: أن ماتت التي كنا نكرمك لأجلها.

استراحة الجمعة

- **آية:** يقول سبحانه وتعالى في سورة الإسراء: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [سورة الإسراء/آية ٢٣،٢٤].

- **حديث:** عن المغيرة بن شعبة ﷺ قال: قال رسول الله {ﷺ}: "إن الله حرَّم عليكم عقوق الأمهات، ووأد البنات، ومنع وهات، وكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال وإضاعة المال" متفق عليه.

- **قصة:** وردت هذه القصة في صحيح مسلم، حيث يقول عليه الصلاة والسلام: كان جريج رجلاً عابدًا فاتخذ صومعة فكان يتعبدفيها، فأتته أمه وهو يصلي فقالت: يا جريج، فقال: يا رب! أمي وصلاتي، فأقبل على صلاته، فانصرفت، فلما كان من الغد أتته وهو يصلي فقالت: يا جريج، فقال: يارب! أمي وصلاتي، فأقبل على صلاته، فانصرفت، فلما كان من الغد أتته وهو يصلي، فقالت: يا جريج: فقال: يارب أمي وصلاتي، فأقبل على صلاته، فقالت: اللهم لا تمته حتى ينظر إلى وجوه المومسات، فتذاكر بنو اسرائيل جريجًا وعبادته، وكانت امرأة بغي يتمثل بحسنها، فقالت: إن شئتم لأفتننه لكم، فتعرضت له، فلم يلتفت إليها، فأتت راعيًا كان يأوي إلى صومعته فأمكنته من نفسها فوقع عليها، فحملت فلما ولدت قالت: هو من جريج، فأتوه فاستنزلوه، وهدموا صومعته، وجعلوا يضربونه، فقال: ما

شأنكم؟ قالوا: زنيت بهذه البغي فولدت منك، فقال أين الصبي فجـــاؤوا بـــه فقال: دعوني حتى أصلي، فلما انصرف، أتى الصبي فطعن في بطنه وقال: يا غلام من أبوك؟ قال: فلان الراعي! فأقبلوا على جريج يقبلونه ويمسحون به وقالوا: نبني لك صومعتك من ذهب؟ قال: لا، أعيدوها من طـــين كمـــا كانت ففعلوا، وفي رواية الأدب المفرد أنه عندما جعلوا يضربونه (ثم انطلق به، فمر به على المومسات فرآهن، فتبسم وهن ينظرن إليه في الناس)، قال: فما الذي تبسمت؟ قال: أمرًا عرفته، أدركتني دعوة أمي، ثم أخبرهم.

- **طرفة:** أراد رجل أعمى أن يعبر مسيلاً من الماء، فحنَّ عليه شاب وقال له: يا عم سوف أحملك إلى الجهة الأخرى من هذا المـــسيل... اركـــب علـــى ظهري فما أن ركب على ظهره واستوى، حتى قال الرجل الأعمى: سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين.
- **دعاء:** رب اغفر لي ولوالديَّ وللمؤمنين والمؤمنات يوم يقوم الحساب.

وهل ينتفع بالماء الغريق ؟

(١٤١٥/٨/٢٥هـ)

إن العقاد ذلك الكاتب المتميز ... صاحب المقالات الفكريـــة المنافحـــة.. وصاحب الطرح المتمكن ... لم تتركه الأقلام وشأنه، فمنها ما انتقده في تنـــوّع الطرح، ولامه في إبحاره في المسارات المختلفة، ومنها – أي من الأقلام – ما كان أحمر يشطب أفكاره أو يلغي صحة بعضها محاولاً "هزّ" ما استقر في الذهن الصافي من صور فكرية أصيلة.. وتنوع الكتابة عند العقاد وغيره ربما يعـــود إلى أن الكاتب يعيش قضايا كبيرة – هي أصله في الانتماء – وهي قضايا أمته، ويعيش قضايا محدودة – هي أصله في العطاء – وهي قضايا مجتمعه فيلزمـــه في ذلك ضرورة التواجد في الاثنين معا: يبحر في محيط الأولى ويجـــدّف فـــي بحر الثانية. أما التشطيب على أفكار الآخرين فالعقاد كل لبيـــب يقابلهـــا هـــذا التشطيب بالمزيد من التوضيح، معطيًا الفرصة "للآخر" أن يراجع ذاته أو يتركه للزمن فإنه كفيل بطمس أثره وإزالة حبره.

البوسنة: ذنبهم أنهم مسلمون

ما من شك أن كل إنجاز حضاري ناجح تفتخر به النفوس، وتطـــرب بـــه العقول وتسعد به الأمة يكون له أصدقاء كما يكون له أعداء، والإســـلام نظـــام حضاري مثل النجاح كثيرًا، وأثبت فعاليته قروناً عديدة. ومن هنا لابد أن يحدث الصراع الحضاري والاعتداء البشري، ولا أظن أن عاقلاً من الأعداء يرى حال الأمة المسلمة اليوم، ويسمع قلبها (يدق) في كل مكان، ثم هو لا يعيرها انتباهًا، ولا يلقي لها بالاً أو يتجاهلها... فإذا وصل الأمر إلى ذلك فإن النتيجـــة التاليـــة تحلق في سمائنا: الأمة ليس لها أعداء، والعكس بالعكس إذا شعر الآخرون بـــأن هذا الدين يمكن أن يسيح في الأرض فيدخل قلوب الناس قبل أن يدخل ديـــارهم، فإنه من البديهي أن يخططوا لتلافي ضرره وتجنب خطورته حسب ما يعتقدون،

وبالتالي البحث عن آلية للتعامل معه ... فأيها أقرب للواقع: الأول أم الثاني؟ إذا كان الأول فذلك "السماح" بعينه أما إذا كان الثاني فذلك "الحمد" أن بصّرنا الله بحقيقة عدونا، وسواء الأول أو الثاني فإني على يقين أن كثيرًا من مناطق المسلمين اليوم تعاني من تخلف في كل شيء، خاصة في الوعي السياسي، إلا أنني أظن أن "السياسة" البوسنيين يستثنون من هذه القاعدة، وللتأكد من ذلك يمكن دراسة وضع البوسنة: حكومة وشعبًا وتاريخًا، ويكفي دلالة على ذلك أنهم ينحدرون والصرب من عرق واحد، وأنهم والأوروبيين ذوو حضارة واحدة ... لكنهم (آه على لكنهم هذه) لكنهم مسلمون ينتمون إلى كلمة التوحيد "لا إله إلا الله محمد رسول الله" وهذه مشكلتهم مع الصرب وغير الصرب ... لأن "سراييفوا" عاصمة لا تعاني من جهل ولا تخلف، وحكومتها لا تعاني من خلافات ولا فرقة... فهل الغارة عليها غارة وهمية لا حقيقة لها؟ وهل الصرب مسلمون "يخفون" إسلامهم لكي يقوموا بواجب الفرقة، وبالتالي الحرب؟ قد يكون السبب تخوف الغرب من الإسلام: ممكن، قد يكون حقدًا صليبيًا محتملاً، أما أن يكون المسلمون أنفسهم هم كل السبب، فإقحام ليس له معنى، وقد يقول قائل: السبب عرقي على مستوى أبناء عمومة فيجيء السؤال: لماذا لا ينطبق ذلك على الصرب البوسنيين كذلك ؟ لذلك أعجبت بشعار الهيئة العليا لجمع التبرعات لمسلمي البوسنة والهرسك وهو: ذنبهم أنهم مسلمون.

بين الحميد وأبو السمح

دار حوار بين الدكتور الفاضل عبدالواحد الحميد، والأستاذ الكريم عبدالله أبو السمح، حول سبب أزمات المسلمين: هل لأعدائهم دور في ذلك؟ أم أن المسؤولية ملقاة في ذلك على تخلف وجهل المسلمين؟ ومشاركة مني في إثراء الموضوع قدّمت بما سبق كمدخل للنقاط التالية:

- من البديهي أنه عند استقصاء وضع منطلقه في العالم الإسلامي أن يبحث بعمق في سبب تلك الأزمة، وأن تؤخذ في الاعتبار كل التحليلات السياسية، والأوضاع التي تمر بها تلك المنطقة.
- إنه من أصعب الأمور قبولاً أن تحوّل الحقيقة إلى وهم ... إن وجود أعداء لهذه الأمة – وبعضهم عدو للنخاع – حقيقة أزلية كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُوا۟ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [سورة النساء/آية ١٠١].
- كان الحوار يدور حول البوسنة والشيشان، وقد تبين من المقدمة السابقة أن قاعدة الأستاذ عبدالله أبو السمح لا تنطبق على البوسنة، حيث لا تخلف ولا جهل ولا اختلاف ولا عرقية.. أما الشيشان فإن بعض المحللين السياسيين الكبار مثل بسام كمال يتفق في الرؤية مع الدكتور عبدالواحد، حيث يقول (ولم لا إن روسيا التي عملت خلال السنوات الأخيرة على رعاية الحرب وشد ساعدهم في حربهم الصليبية ضد المسلمين في البوسنة قررت ما يبدو أن تدلي بدلوها في حرب مشابهة ما دام الفرق ليس كبيرًا بين المسلمين في البوسنة والشيشان) عكاظ عدد ١٠٣٥٥، وفي نفس الوقت يرى بعض السياسيين أن روسيا لم تعامل استونيا وأوكرانيا ... بمثل ما عاملت به الشيشان.
- عندما عدت لمقالتي الكاتبين الكريمين لم أجد ما نسبه الأستاذ أبو السمح إلى الدكتور الحميد بقوله (فاعتبرها حربًا دينية بين الروس الأرثوذكس والشيشان المسلمين) حيث أن الدكتور عبدالواحد لم يذكر في مقاله كله كلمة "الأرثوذكس" وفي تصوري أنه (أي الدكتور عبدالواحد) ركز في مقاله على نقطتين:

١- إن النظام الروسي بوضعه الميت المتهافت لم يستأسد إلا على مسلمي الشيشان فما السبب؟

٢- إن أرض المسلمين أصبحت مشاعة لكل متهافت يعبث بها كما يريد، حيث لا يملك أحد من المسلمين غير البكاء والشجب والاستنكار، لكني في نفس الوقت أميل إلى قول الأستاذ "أبو السمح" في أنه ليس شـرطًا أن يكون عدوهم أصحاب ديانة بعينها، فأحيانًا يكون العدو شيوعيًا أو علمانيًا، وأحيانًا يهوديًا أو نصرانيًا، وأحيانًا أخرى وثنيًا أو بوذيًـا .. والكل يندرج تحت "الكفر" والكفر ملة واحدة.

- من حسن الحظ أنني قرأت مقالة الدكتور صالح المانع حول منطقة الشيشان (عكاظ في ١٤١٥/٧/١٥هـ) فكان كاملاً جميلاً يضيف إلى كلام الـدكتور الحميد وصفا جغرافيًا وسردًا تاريخيًا وتحليلاً سياسيًا .. بل يؤكـد وجـود العداوة للمسلمين من زمن القياصرة، ويوضح أن من قادة الشيشان من توفي بين المدينة ومكة، عندما حاربه القياصرة وأخرجوه من دياره.
- إن كلام كل من الكاتبين الكريمين (وجود عداوة، ووجود تخلف وجهل فـي ديار المسلمين) يحمل بقية المسلمين جزءًا كبيرًا من المسؤولية لتأخرهم عن مناصرتهم وتخلفهم عن تعليمهم (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا).
- وأخيرًا أقول: إن الأستاذ أبو السمح عاد بعد فترة غياب إلى الكتابة كما يذكر الأستاذ العامودي في إحدى مقالاته وأنه عاد ليشاكس ... لذلك فإنني أؤيد ما ذكره الدكتور عبدالواحد، من أن الأستاذ أبو السمح ليس جادًا فيمـا ذهـب إليه، وإن كنت أظن أن مثل هذه الأمور ليست محل مشاكسة لاتضاح الرؤية فيها توجيهًا ومنهجًا، إلا إذا كان حوارًا، فالحوار يبقى المحبة والجوار.

وهل ينتفع بالماء الغريق ؟

إن أزمة البوسنة كشفت لنا عن التقاعس والتخـاذل المتعمـدين اللـذين "تتسلى" بهما الأمم المتحدة، لا أقول عن عجزها في الإمكانية، إنما عجزها فـي الوفاء للقيام بمسؤوليتها كإدارة عالمية تحفظ السلام في العالم... بل اتضح لكـل

صغير وكبير أنها تتعامل مع الأحداث بمعايير مزدوجة تحكمها في ذلك المصالح.

إن الغريق (البوسنة) لا تتحمل أن تصب عليها الأمم المتحدة اعترافها بالعجز، حيث يصبح وضعها كالماء الذي لا ينتفع به الغريق أبدًا، مع العلم أنه أساس الحياة، وكذلك حال الأمم المتحدة ومجلس الأمن، حيث أنهما أداة لإنقاذ الشعوب إلا أنهما بعجزهما لا تنتفع بوجودهما البوسنة على الإطلاق، والذي يؤكد ذلك ما قاله قائد قوات الأمم المتحدة في البوسنة السير مايكل روز، حيث يقول (إن جنوده البالغ عددهم ٢٣ ألف رجل لا يستطيعون ردع صرب البوسنة من الاستمرار في تدمير المدن ....) ويقول الكاتب الأمريكي وليام صفير (إن هذا الاعتراف من قبيل الاستسلام، وهي بذلك تحول حماة الأمم المتحدة إلى ضعفاء وموضع السخرية والازدراء. ويعد الوضع الراهن الآن في البوسنة دليلاً على أنه لا فائدة من الأمم المتحدة كوسيلة وأداة لاتخاذ موقف عسكري رادع ضد المعتدي، أو منتهك حقوق الإنسان).

استراحة

- **آية:** يقول الله سبحانه وتعالى في سورة آل عمران ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [سورة آل عمران/آية ١٣٩].
- **حديث:** عن أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله {ﷺ} قال: "من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا" رواه مسلم.
- **طرفة:** وقف سائل على باب فقال أهل الدار: الله كريم، فقال: كسرة، فقالوا: ما عندنا، قال: فقليل من بر أو فول أو شعير، قالوا: لا نقدر عليه، قال:

قطعة من دهن أو قليل زيت أو لبن، قالوا: لا نجده قال: فما جلوسكم هاهنا، قوموا فاسألوا فأنتم أحق مني بالسؤال.

- **من مدرسة الحياة:** يقول ميشيل روكار رئيس وزراء فرنسا الأسبق: إذا ما استمرت الحروب فلن يكون أمام البوسنيين سوى مساندة قيام جمهورية إسلامية... وفي الوقت نفسه سيكون جبناً أو عجزًا إذا تسببنا في بروز جمهورية إسلامية في أوروبا وهو أمر رهيب.

- **قصة:** جاءت هذه القصة في صحيح البخاري عن أبي هريرة الدوسي حيث قال: جاء رجل إلى رسول الله {ﷺ} فبعث إلى نسائه فقلن: ما معنا إلا الماء، فقال رسول الله {ﷺ}: "من يضم – أو يضيف – هذا؟ فقال رجل من الأنصار: أنا، فانطلق به إلى امرأته: أكرمي ضيف رسول الله {ﷺ} فقالت: ما عندنا إلا قوت صبياني، فقال: هيئي طعامك، وأصبحي سراجك، ونومي صبيانك إذا أرادوا عشاء، فهيأت طعامها وأصبحت سراجها، ونوّمت صبيانها، ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته فجعلا يريانه أنهما يأكلان، فباتا طاويين، فلما أصبح غدا إلى رسول الله {ﷺ} فقال: ضحك الله الليلة وأعجب من فعالكما، فأنزل الله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة الحشر/آية ٩].

((خصومات مغرية)) بين شعبان ورمضان

(١٤١٥/٩/٢٢هـ)

عندما رأيتها وجدت أنها لا تؤدي الغرض الذي من أجله كتبت فقارنتها بأصلها الإنجليزي الذي ترجمت عنه فعرفت المقصود منها. وقد خطر في بالي ما يخطر في بالكم الآن وأنتم تقرأونها لأن كل واحد منكم فيما أظن – وبعض الظن إثم – انصرف إلى أن المقصود منها هو ما يحدث بين الناس من خصومات وشحناء إلا أنكم تستغربون – وحق لكم أن تستغربوا – كيف توجد خصومات وتكون مغرية في نفس الوقت ؟ !! وبين من !! بين شعبان ورمضان إن في الأمر شيئًا ما ... نعم في الأمر شيء وأشياء وعليه فلم أقصدها بمعناها الذي ذهبتم إليه، أو أوشكتم أن تذهبوا إليه ... ومن هنا تجيء أهمية اللغة العربية وخطورة الترجمات الخاطئة.

لا خصومات في رمضان

حتى لا أطيل عليك عزيزي القارئ وتذهب بعيدًا، فإنني أؤكد لك أن منحنى (كيرف) الخصومات ينخفض في شهر رمضان المبارك إلى أقل مستوى... وهذا هو الشيء الطبيعي، فيمن يحب رمضان ويعرفه وإلا فإن خللاً في فهم وظيفة هذا الشهر يكون مصاحبًا لحياة من تكثر خصوماته في رمضان، وأكبر نعمة هي أن يمن الله علينا بمجيء هذا الشهر، ونحن من الأحياء الأصحاء، وهكذا هو رمضان يغيب عنا أحد عشر شهرًا حتى إذا جاء كالحبيب الغائب. ولنا أن نتصور إذا كان حبيبًا لنا لم نره طويلاً ..كم نشتاق إليه ؟!! وسنة الله اقتضت أننا إذا جفونا حبيبنا فإنه يجافينا، وسنحرم وقتها من كل ما يحمله معه من الهدايا والعطايا، لأنه وقتها سيبحث عمن يحبه ليعطيه إياها، خاصة من يحسن استقباله، ويعد العدة لإكرامه والاحتفاء به، لذلك مما ورد عن

الرسول {ﷺ} فيما أخرجه البيقهي في شعب الإيمان أنه استقبل عليه الصلاة والسلام شهر رمضان بخطبة في آخر يوم من شعبان بين فيها فضله ووضح مكانته ومما جاء فيها: من فطر فيه صائمًا كان له مغفرة لذنوبه، وعتق رقبته من النار، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء، قلنا يا رسول الله ليس كلنا يجد ما يفطر الصائم، فقال عليه الصلاة والسلام يعطي الله هذا الثواب من فطر صائمًا على مذقة لبن أو تمرة أو شربة من ماء، ومن أشبع صائمًا سقاه الله من حوضي شربة لا يظمأ حتى يدخل الجنة.

وكما هو معروف فإن النفوس فيها نوازع الشهوة والهوى، وفي الصدور مكامن الحقد والحسد، وما أن يجيء هذا الشهر حتى تترفع تلك النفوس عن وحل الآثام والشهوات، وتنتظف تلك الصدور من وسخ الأحقاد والضغائن، ومن هنا يجيء دور هذا الشهر: بأنه دورة تدريبية للنفس ليجعلها من أهل المقامات العالية، بل يذهب المخلصون للبحث عن مضاعفة الأعمال الصالحة التي منها:

١- تلاوة القرآن ومراجعة ما حفظ مع التدبر.
٢- صلة الرحم وتعميق مفهوم القرابة.
٣- تذكر من مات من الوالدين أو الأقارب، وبرهم بالصدقة عنهم والدعاء لهم.
٤- الالتزام بالفرائض على وجهها الصحيح من صلاة وزكاة.
٥- الإكثار من النوافل خاصة صلاة التراويح والتهجد.
٦- الابتعاد عن جرح رمضان بلهو عابث يبدل الحسنات إلى سيئات.
٧- ترك العادات الاجتماعية السيئة مثل الغيبة والنميمة.
٨- فرصة تعلم أحكام الشرع بمدارسة منزلية أو حلقة إذاعية، أو تليفزيونية.

"خصومات مغرية" بين شعبان ورمضان

في النصف الآخر من شعبان والأيام الأولى من رمـضان يكثـر تعليـق لوحات أو ملصقات مكتوب فيها: خصومات مغرية، ووجـدت أن كثيـرًا مـن المحلات والمعارض تستخدم هذه العبارة، وحاولت مرارًا أن أغـض الطـرف عنها إلا أنني لم استطع، ما من شك أن الأخطاء اللغوية تـشين جمـال اللغـة وتذهب برونقها، هذا إذا كانت الأخطاء لغوية، فكيف إذا كانـت اللخبطـة فـي الترجمة بحيث تركب عبارة أو جملة لا تؤدي الغرض، بل تؤدي أحيانًـا إلـى مفهوم مغاير؟!!.

وقد لاحظت أن "التلوث" لم يكن من نصيب اللسان العربي فقط بل امتـد إلى اللوحات والملصقات في الأسواق، والمراكز التجارية الكبيـرة، وحيـث أن العرب اليوم تستورد كثيرًا من المنتجات الصناعية والغذائية مـن بـلاد غيـر عربية، فإنها تبقى كثيرًا من الأسماء على حالتها الأعجمية فتـسمع: بنطلـون، جاكيت، بلوزة، نايلون، تلفون، فاكس، ميلك... وأرى أنه في الفتـرة الأخيـرة زاحمت كثير من المصطلحات الأجنبية لغتنا الغالية، ولعل السبب يعـود إلـى تقصير المجامع اللغوية في أداء رسالتها بالإضافة إلى الغـزو اللغـوي عبـر الوسائل الإعلامية، وإلا فإن اللغة بطريقة التوالد والاشتقاق يمكنها إيجاد كثيـر من الكلمات العربية التي تسد مسد الكلمات الأجنبية، ومن ذلك مثلاً كلمة FAN التي تعني "مروحة" وكلمة Pilot التي تعني "طيار".

ومع أن كثيرًا من الأسماء المعربة تؤدي الغرض المطلوب، إلا أن بعض أهل اللغة يرفضون الأسماء المعربة، مطالبين بإيجاد أسماء عربية وعربية فقط، فمثلاً كلمة سندوتش لو حاولت أن تقنع الناس بأنها الشطيرة لما التفت إليك أحد، حتى ولو مات من الجوع لا يطلب إلا سندوتشًا، وقديمًا عربـت بادنكـان إلـى

باذنجان وإلى اليوم الناس تستخدمها مع أن لها عشرة أسماء عربية منها اللقاح والحيصل ... وكذلك كلمة نرجس معربة عن نركس، وهي بالعربية الفهة والقهد وهكذا برنامج عن برنامه.

المهم أعود إلى عبارة خصومات مغرية نجد أنها ترجمة خاطئة لإحدى العبارات الإنجليزية التالية: Big sale، Reduced Price، Discount كان من الممكن تقبل كل العبارات التالية في الترجمة التخفيضات الكبرى، تنزيلات هائلة، أسعار مخفضة، حسميات أو حسومات إلا كلمة خصومات؟!! خاصة عندما تكون مغرية في نفس الوقت ؟ وحاولت أن أعرف المدلول اللغوي لكلمة خصم الدارج استعمالها بمعنى حسم Discount ووجدت ترجمتها في القاموس الإنجليزي تحمل معنى اللفظتين (خصم، حسم) (المورد لمنير البعلبكي، طبعة ٨٥) إلا أن مراجع اللغة العربية تذكر الخصم بمعنى العدو، ويستوي فيه المذكر والمؤنث والجمع، لأنه في الأصل مصدر، ومن العرب من يثنيه ويجمعه فيقول: خصمان وخصوم ولها اشتقاقاتها وتفريعاتها الأخرى. إلا أن الذي أريد أن أقره هذا أنها لا تأتي بمعنى الحسم الذي هو بمعنى القطع، أو ما هو معروف من تخفيض سعر السلعة المراد بيعها إلى ثمن أقل من ثمنها الأصلي....

لماذا الحسومات مغرية ؟

ما من شك أن المستهلك يستفيد كثيرًا إذا كان هناك تخفيض (حقيقي) على السلع، خاصة ما نحن بصدده هذه الأيام من شراء ملابس العيد، وهذه الطريقة تجعل بعض الأسر والعوائل، خاصة في إنجلترا تنتظر هذه الأيام (أيام السيل Big Sale) لتشتري ما تحتاجه خلال العام. وهي طريقة عملية لجذب الزبون، وتصريف البضائع في نفس الوقت، وفيها إنعاش للحركة التسويقية... المهم أن هذه الظاهرة نراها بين شهري شعبان ورمضان فحبذا لو (تُرسّم) ويكون لها

ترتيب خاص من الغرفة التجارية بحيث يضمن المستهلك صـدق البـائع فـي التخفيض، وذلك بإلزام المحلات بوضع ملصقات تحمل سعر السلعة قبل وبعـد التخفيض (هذا موجود في بعض المحلات فقط) ليس هذا فحسب ولكن مراقبـة "الفحش" في الأسعار عند بعض المحلات وأقول "الفحش" ولم أقل الربح المعقول ليقيني بأن الإنسان من حقه أن يبيع بأي ثمن يريد لكن (وهـذا واقـع) عنـدما يشتري إنسان فستاناً مثلاً بألف ريال ثم يجد نفس الفستان ونفس المقاس ونفـس الموديل وجهة الصنع بل وتقارب المحلين في المستوى من حيث الديكور... إلا أنه عند الثاني لا يزيد عن أربعمائة ريال... ترى من يطفيء الغبن الذي يتولـد في قلب المستهلك؟ قد يقول البعض يستقصى ليه عن السعر؟ وليـه مـا نـزل زوجته تشتري؟ وليه؟ وليه؟ و(عمره) الرجال ما تعرف تشتري، أقـول بكـل صراحة إن النساء هذه الأيام هن اللواتي ينضربن على وجههن في الشراء!! هذا إذا استثنينا القليل منهن! والسبب واضح لأن المرأة إذا لم تشتر لبنتهـا فـستاناً غاليًا للعيد فإنها ما ترتاح ... لذلك فإن البائع يعرف كيف تؤكل الكتف، ولا أريد أن أقول هنا أن عقولهن صغيرة – حاشا لله – ولكن أقـول جيـوب أزواجهـن كبيرة تحمل دائمًا "الخمسميّات"...

لا جديد بعد العشرين

يتردد بعض الناس طيلة رمضان على محلات الملابس والأحذية سائلين: هاجاء الجديد ؟ فيجيب صاحب المحل: لا ... قريب.. وتستمر هذه الاسـطوانة في بعض الأحيان إلى العشرين من رمضان ... والجديد كله موجود لكنه مخفٍ ويحبكها البعض إلى يوم ٢٥ رمضان... وهنا أتمنى من الغرفـة التجاريـة أن تتدخل لا لأجل البيع والشراء نفسه، إنما هذه المرة لأجل رمضان... هذا الشهر الكريم الذي يحتاج منا أن نحترمه كثيرًا، خاصة العشر الأواخر منه، فلو عممت

بشيء من العقوبة على أن المحلات والمعارض ليس لهـا الحـق فـي تـأخير الموديلات الجديدة إلى ما بعد العشرين من شهر رمضان، لأراح هذا التـصرف كثيرًا من الناس بحيث لا تدخل الليالي الفضيلة من العشر الأواخر إلا والأسواق لا يتجول فيها إلا "الفاضون" غير ذوي الأغراض التسويقية، ومـع أن ظـاهرة تسوق الناس وشرائهم ما يلزمهم للعيد بدأت تظهر في أيام شعبان وذلك حفاظًـا وإكرامًا لشهر رمضان إلا أن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن، وعليه فـإن هذا مجرد طلب يمكن للغرفة التجارية أن تتعامل معه كما تحب.

مع تقديري الكامل أن أفراد المجتمع يستطيعون بطريقة الشراء المبكر، أن يرغموا الباعة والمحلات التجارية على إنزال ما عندهم في أوقات مبكرة، وليس ذلك إلا لأنها عشرة أيام فقط في السنة كلها، تريد أن تتجه فيها إلى ربنا صـلاة وقيامًا ودعاء، طالبين فيها أن يرزقنا الله سبحانه وتعالى ليلة القـدر والتـي لا يدري الإنسان هل سيعود فيها في العام القادم أم لا ؟

ماتت .... فمات والدها

(١٤١٦/٣/٨هـ)

هذه قصة واقعية... حدثني بها أحد أفراد العائلة (عائلة صاحبة القصة).. وكان يومها يروي القصة وكله ألم وحزن .. وخشيت أن أكتب عن تلك القصة في حينها فتجيء وكلها عاطفة وحزن وألم .. فدونت ما يلزمني ووعدت صاحبها بأني سأكتب عنها بإذن الله، وذلك رغبة مني أن أنزل العقل منزله، وألا أندفع وراء قصة طارئة لا يقدم على تنفيذها إلا "القساة" من البشر وحاولت أن أجد عذرًا لذلك (.....) الذي تسبب في موت زوجته، ودفنت وكلها ألم، تلك التي ماتت تحمل في داخلها شكوى ستحاج بها من ظلمها يوم القيامة.. خرجت روحها وهي تئن بصوت خافت آهـ..آهـ..آهـ.. ماتت كما يحكي قريبها: مكسورة الخاطر محطمة النفس ممزقة الجسد ... تنظر إلى صغارها، وهي تبكي، تاركة دموعها مياهًا دافئة يحتمون بها من سبر الشتاء، مخلفة نظراتها "أسئلة مدوية" يحفرون بها صخرة الحياة!! وعندما جهزها والدها للدفن سحبته معها .. بأحزانها وآلامها وعاطفة الأبوة – ودفنته وهو حي!!.

- **القصتـــــان**

القصتان اللتان سأذكرهما هنا لهما علاقة كبيرة بالمجتمع.

إحدى القصتين ذات مغزى اجتماعي ساد في الجاهلية.. نراه يتجدد عند بعض الناس في هذه الأيام ... الجاهلي عندما يُبشر بمولودة أنثى سرعان ما يتوارى عن القوم من سوء ما بُشر به .. ويبدأ يضرب أخماسًا في أسداس ويفكر كثيرًا ... ماذا يعمل بهذا المخلوق الذي يُدعى "بنتًا"؟! أيدسها في التراب؟! أم أنه يربيها خفية، ويتحمل تبعات عارها، وملاحقة الناس له بالخزي والعيب.

والقصة الثانية ذات مفهوم رباني، حيث يتضح فيها التوجيه الاجتماعي في الإسلام فيما يخص "البنت" بل لها حق كل من يدعو إلى رذيلة قتلها أو التقليل من شأنها ... وجعل لها الصدارة في التربية والنشأة وغيّر في نفسيات الجهلة عندما أخبر المولى سبحانه وتعالى قائلاً: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ [سورة التكوير/آية ٨-٩] وحث على حب البنات وقال عليه الصلاة والسلام فيما يرويه الإمام أحمد والطبراني "لا تكرهوا البنات فإنهن المؤنسات الغاليات".

القصة الأولى تحكي مدى قسوة قلب الأب نحو ابنته .. والثانية تحكي مدى محبة الأب لابنته حتى أنه دُفن وهو حي .. القصة الأولى جاءت من أعماق الماضي ... من الجاهلية، والثانية لا تزال تنبض في جسم المجتمع .. (طازجة) لعائلة تعيش بيننا فرق كبير بين الأولى والثانية!!

أرجو أن تدركوا الفرق بين الاثنتين!!

- **القصة الأولى**

جاء ذكر هذه القصة في كتاب "رحمة الإسلام للنساء" للشيخ محمد الحامد وكذلك في تفسير القرطبي يقول: روى أن رجلاً من أصحاب النبي {ﷺ}: كان لا يزال مغتمًا بين يدي رسول الله {ﷺ} فقال له رسول الله {ﷺ}: مالك تكون محزونًا؟ فقال: يا رسول الله إني أذنبت ذنبًا في الجاهلية فأخاف ألا يغفره الله وإن أسلمت، فقال له: أخبرني عن ذنبك، فقال: يا رسول الله، إني كنت من الذين يقتلون بناتهم، فولدت لي بنت فتشفعت إلى امرأتي أن أتركها فتركتها حتى كبرت وأدركت وصارت من أجمل النساء فخطبوها، فدخلتني الحمية، ولم يحتمل قلبي أن أزوجها أو أتركها في البيت بغير زوج فقلت للمرأة: إني أريد أن أذهب إلى قبيلة كذا وكذا في زيارة أقربائي فابعثيها معي فسرت بذلك، وزينتها بالثياب والحلي وأخذت عليّ المواثيق بألا أخونها، فذهبت بها إلى رأس بئر

فنظرت في البئر، ففطنت الجارية أني أريد أن ألقيها في البئر، فالتزمتني وجعلت تبكي وتقول: يا أبتي ماذا تريد أن تفعل بي، فرحمتها، ثم نظرت في البئر فدخلت عليّ الحمية، ثم التزمتني وجعلت تقول: يا أبتي لا تضيع أمانة أمي، فجعلت مرة أنظر في البئر ومرة إليها وأرحمها، حتى غلبني الشيطان فأخذتها وألقيتها في البئر منكوسة، وهي تنادي في البئر يا أبتي قتلتني، فمكثت هناك حتى انقطع صوتها فرجعت، فبكى رسول الله {ﷺ} وأصحابه وقال: (لو أمرت أن أعاقب أحدًا بما فعل في الجاهلية لعاقبتك) ذلك لأن الإسلام يجب ما قبله.

○ **القصة الثانية**

هذه قصة رجل كبير في السن يحب ابنته حبًا جمًا.. كبرت وتعلمت ففرح كثيرًا .. وفرح أكثر عندما رآها تزف لزوجها .. ولا أريد أن أتعرض إلى تفاصيل سترها الله .. لكن زوجها منهمك إلى أذنه مع شلة لا تخاف الله .. أراد الله أن يكون زوجها كذلك، يضربها عند دخوله المنزل وعند خروجه منه.. يتأخر عليها ليلاً بسبب (البشكة) ويجيء ليذيقها المر، ويضربها كما تضرب الدواب والأنعام، تحتمي إلى بيت والدها، ثم تعود في كل مرة إلى بيتها من أجل رضيعها وبناتها... ليعود إليها الفحل .. الرجل المغوار (كريندايزر) الذي لا يفتل شواربه إلا على امرأة... لا يكون رجلاً إلا في بيته، أما في خارج منزله فهو أنثى أو أتان .. وأخيرًا تعود إلى بيت والدها ليقول لها والدها: ليس أمامي إلا أن أطلقك منه.

وفعلاً طلقها من ذلك الوحش ... إلا أن صاحبنا أخذ يتفنن في تعذيب تلك المرأة بحرمانها من أطفالها .. وكتب الله عليها أن ابتليت بمرض ... مرضت تلك الأم الشابة.. مرضت مهمومة مغمومة، أدخلت الحزن على كل من عرفها من أقربائها.. أبوها (مرتم) في فراشه لا يعرف ماذا يصنع لابنته!! هدّه ما حل

بابنته من مرض، وما نزل بها من معاملة زوج (يقرص)عليها بأطفالها، وبعد تدهور لحالتها طلب أحد أقربائها من ذلك الزوج أن يسمح بأن يذهب الأطفال لأمهم، وإلا فإن المحكمة ستفرض عليه ذلك، وأراد الله أن ترى الأم أطفالها، وبعد مضي يوم أو اثنين أراد الله لها الرحيل عن هذه الحياة الفانية، وهي توزع نظراتها على من حضر عندها، يقول قريبها: وعندما جهزت جنازتها، وخلال عملية دفنها، أخذ والدها دوار شديد فارتمى على حافة القبر، وكله ألم وحزن إلى أن انتشله الناس وذهبوا به إلى داره ليعيش ميتًا وهو حي، وليكمل حياته، وكله تفكير في تلك البنت الوديعة التي كانت ترتمي في حضنه (وتطلع) على رأسه وفوق ظهره، كيف تمكن ذلك الرعديد من كسر خاطرها، وتحطيم نفسيتها، وتمزيق جسدها؟؟! إنه حب البنات الذي زرعه الإسلام في قلوب الآباء.

○ **أبو حمزة وزوجته**

من ملحقات الجاهلية ما يقذف به بعض الرجال هذه الأيام المرأة بأنها هي سبب جلب البنات.. وسمعنا كثيرًا عن تصرف بعض الأزواج حيال زوجاتهم الحوامل بأن (.....) ستلحقهن إذا هن أنجبن البنات!! وقصة "أبو حمزة" مع زوجته معروفة، وقد كتبت عنها في مقالي "الأربع المكتوبة وذات الأحرف الثلاثة" والقرآن الكريم وضح الحقيقة العلمية التي تبين أن سبب إنجاب البنات – بعد الله سبحانه وتعالى – هو الرجل وليس المرأة، وقد كتبت عن ذلك في كتابي "الهندسة الوراثية وتكوين الأجنة" يبقى سؤال حول استخدام التقنية الحديثة في التحكم في تحديد جنس المولود!!.

إن الذي عليه أبحاث اليوم أن الإنسان يستطيع بإذن الله سبحانه وتعالى أن يتحكم في تحديد جنس الجنين بنسبة ٩٥٪ كيف ذلك ؟ وهل في ذلك تعارض مع الشرع؟ هذا ما أرجو أن أوضحه في مقالة مستقلة بإذن الله.

○ **البنات: مشاكل !!**

إن البعض يستدل من بعض مشاكل البنات وما يجلبنه من "بلاوي" دليل على فطرة كرههن، وتفضيل الأولاد عليهن، وهذا خطأ كبير، إن هناك فرقًا بين رغبة النفس وبين (صحة) التعامل مع ما يهبه الله سبحانه وتعالى للإنسان... والبعض يستدل بقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ﴾ [سورة آل عمران/آية ٣٦] في تفضيل الولد على البنت، وبالتالي محبة الولد وكره البنت وهذا خطأ كذلك، لأن الآية السابقة جاءت في معرض الحديث عن امرأة عمران عندما نذرت ما في بطنها محررًا أي خالصًا مفرغًا للعبادة ولخدمة بيت المقدس، يقول ابن كثير في قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ﴾ أي في القوة والجلد في العبادة وخدمة المسجد الأقصى.

لي صديق عنده ستة أولاد وحملت زوجته وكلها أمل أن يرزقها الله بنتا، وقد جهزت فستانها، وهيأت نفسها على أن مولودها أنثى... لكن قدر الله أن يجيء المولود ذكرًا .. فأخذت تبكي (وتولول) وأثر ذلك في نفسيتها طفشت من الأولاد وتريد بنات .. حتى أن الدكتور اقترح على زوجها – لتحسين نفسيتها – أن تلبس الولد الفستان، وأن تتعامل معه كبنت مبدئيًا فنحن لا نطلب من رزقه الله بنات بألا يطلب أولادًا أو يرغب بهم .. لا فتلك فطرة نتعامل معها، وشيء داخلي لابد من تحقيقه ... لكن لا تسخط، لا تغضب... لا تهدد... ونحمد الله أن يكون الطفل سليمًا غير مشوه.

○ **البنات المطلقات**

إن من الهم والغم على الأب أن يرى ابنته يجور عليها من لا يستحق ظفرها ... ولتحقيق الراحة والطمأنينة في هذا الموضوع فلابد أن نعلم أن

الزواج قسمة ونصيب، وأن التوفيق في هذا الموضوع هو من عند الله سبحانه وتعالى.

- **مطلقات (٢٢٠ فولت)**

هناك من النساء المسترجلات المستقويات اللاتي ليس لهن علاج إلا الطلاق، وليس ذلك إلا لأن الزوج لا يتحمل الفولتات العالية صريخ في الوجه، عدم طاعة تكرار التدخل في شؤون الرجل... فعند زيادة العيار يكون طبيعيًا أن "يسلت" الرجل الفيش ليحافظ على أجهزته من أن تحترق.

وهذا النوع من النساء كما ذكرت في أحد مقالاتي تزيد في دمائهن نسبة الهرمون الذكري "التستروسترون".. مما يجعل هناك شحنات متماثلة في المنزل فيحدث النفور، وبالتالي الطلاق الذي سببه صاحبات الفولتات العالية (٢٢٠ فولت) وهذا النوع يعطي صورة سيئة عن النوع السابق مع أنه أقل نسبة منهن في المجتمع.

القلب أعلم يا عذول بدائه

(١٤١٧/٦/٨هـ)

عاتبني العديد من القراء على ما جاء في مقالي "ألا من يشتري سهرًا بنوم" حيث إنني ذكرت فيه "أن الحب والعشق من الأسباب التافهة لعدم النوم".

وحفاظًا على صداقتي مع من أحبني من القراء – خاصة المنافحين عن العشق – أود في هذه المقالة أن أوضح أحاسيسي الخاصة في فهم العشق، وأن أترك المجال في آخر المقال لأحد القراء الكرام وهو الشاعر الطبيب الدكتور أحمد سالمين بلغصون ليقول ما به، وفي اليوم الذي نشرت فيه تلك المقالة ثار في وجهي أحد القراء من كبار الشخصيات غاضبًا وقال: لن أقرأ لك بعد اليوم أبدًا، قلت له: لماذا ؟! قال مستنكرًا: العشق سبب تافه؟! ألم تسمع فايزة أحمد (أو هو قال نجاة الصغيرة) ماذا تقول:

الحب في الأرض بعض من تخيلنا.

لو لم نجده عليها لاخترعناه.

وعندها قلت: ثكلتك أمك يا صالح!! الناس ظمأى فأسقيتهم ماء حميمًا، وجوعى فألقمتهم الحجارة، وعراة فكسوتهم أوراق الشجر، ولم يخطر في بالي أبدًا أن الناس "عايشة" على العشق: تتنفس هواءه، وترتوي من مائه، وتستظل تحت سمائه، وأنا أقول لهم: لا عشق وأن العشق من أوهام الشيطان. لذا فإني أعتذر أولاً لمن غضب مما قلته، وأعتذر ثانيًا لأني سأتمادى هنا وأؤكد على أن العشق في معظمه (نسبة ٩٩٪) إنما هو عشق أجساد: عيون وخدود وأنامل العذرى الفطري، فما هو العشق العذري الفطري يا ترى؟!.

العشق العذري: فطري

عشق العيون قد لا يكون صافيًا في كثير من الأحيان، خاصة في هذا الزمن الذي انتشرت فيه العدسات الملونة، ولا يستثنى من ذلك إلا العيون التي

ينسكب ماؤها على قلبها (لا على شيء آخر) كقطرات الندى فتلامس شغاف القلب وخلاياه، وترتوي منها أرضيته وأوديته، فتتعلق روحان بحب واحد ويسكن قلبان داخل جفن واحد. وعندها أقول بأن هذا عشق عذري يحصنه ويحميه، بل يرعاه وينميه النكاح لا كما يدعي البعض حيث يقولون: العشق إذا نكح فسد.

وأحسن مثال للعشق العذري الفطري حب الطفولة، وهو نموذج رائع، فالغلام الصغير عندما يرتبط قلبه ويتعلق بإحدى بنات جيرانه فإنه لا يزال يترسم حركاتها، وتلوح في خاطره صورتها ويتذكرها، ويتذكر مواطئ لعبها، بل وصراخها عليه، ومنادتها له، إنه التقاء البراءة وحب النزاهة، إنه حب فيه راحة نفسية لأن العشق هنا عشق إنسان لإنسان، ليس وراءه تحقيق هدف وهو في نفس الوقت تعلق روح بروح ليس خلفه مطمع أو شهوة.

إن قصة الأميرة دعد اليمامية نموذج لحب نظيف، وهي قصة مروية، حيث يقال: إنها اشترطت ألا تتزوج إلا بمن يصفها قبل أن يراها، فتبارى الشعراء في وصفها، إلى أن التقى شاعران أحدهما من اليمن، والآخر من تهامة، فتبادلا سماع القصيدة التي قالها كل واحد منهما فيها. فأعجب اليمني بقصيدة التهامي فقتله وأخذ قصيدته، ثم توجه إلى زوجته، وعندما أنشدها القصيدة سألت: من أنت؟! فذكر لها اسمه، فقالت: اقتلوا قاتل زوجي فهذا حب ليس للعيون فيه نصيب. وفيما أتذكر أن أحد أبيات القصيدة يقول:

إن تتهمي فتهامة وطني

أو تنجدي يكن الهوى نجدُ

ولأن العيون مدخل سحري للعشق، فإن الإسلام حذر من التمادي في النظرة تلو النظرة، لكنه أباح نظرة الحب والمودة، وهي نظرة الخطبة قبل الزواج، لذا فإن الحديث النبوي الشريف يوضح أن النظرة سهم مسموم من تركها مخافة الله أبدله الله إيماناً يجد حلاوته في قلبه.

إن العيون لها فعل ساحر وجذاب، وهي باب يلج منه العشق للقلوب، وهذا ما أدركه الأمير عبدالله الفيصل فنظمه شعرًا إذ قال:

مـــا كنـــت أؤمـــن بـــالعيون وفعلهـــا
حتـــى دهتنـــي فـــي الهـــوى عينـــاك
الحـــسن قـــد ولاك حقًـــا عرشـــه
فتحكمـــي فـــي قلـــب مـــن يهـــواك
قلبـــي كمـــا تبغـــين ألـــف صـــبابة
قـــد مـــل كـــل خريـــدة إلاك
بـــالله يـــا أملـــي الحبيـــب ترفقـــي
إني وربـــك فـــي الهـــوى مـــضناك

إن الحب الفطري يدعو لأن يكون كل شيء فطري في حيـاة العاشـقين، وأن يدوم، ويدوم، ويدوم، ولا تزيده الأيام إلا لمعانًا وبريقًا، ولا مجال فيه للظلم أو التعدي، بل يضفي عليه عقد الزوجية الشرعي كل سكينة ومـودة ورحمـة، وعندها لا يلام العاشق كما قال المتنبي:

القلـــب أعلـــم يـــا عـــذول بدائـــه
القلـــب أعلـــم يـــا عـــذول بدائـــه

إلى أن قال:

لا تعـــذل المـــشتاق فـــي أشـــواقه
حتى يكـــون حـــشاك فـــي أحـــشائه
إن القتيـــل مـــضرجًا بدموعـــه
مثـــل القتيـــل مـــضرجًا بدمائـــه
والعـــشق كالمعـــشوق يعـــذب قربـــه
للمبتلـــى وينـــال مـــن حوبائـــه

عاشق الفطير يطير !!

كثير من الناس يخلط بين العشق والغرام، وابـن القـيم – رحمـه الله – صنف مراتب المحبة إلى عشر مراتب وهي كما ذكرها:

العلاقة – الإرادة – الصبابة – الغرام – الوداد – الـشغف – العـشق – التتيم – التعبد– الخلة.

الغرام كلمة يلوكها كثير من الفنانين والفنانات وهي محبة مبعثها غـرض جسدي، تبدأ بالنظرة المحرمة، وتنتهي بالسقوط فـي حبائـل الـشيطان، حـب الغرامات، حب واجهات وديكورات، وعطورات، ليس للروح والنفس... والقلب فيها مكان، ويتمادى البعض في غيه حتى يختلط الأمر علـى بعـض الفتيـات المسكينات فينخدعن به، ولا يدركن أن هذا عاشق فطير يأكله ثم يطيـر، هـو عاشق لا يهتم إلا بالبنية التحتية بعد أن يستحوذ عليها بغمزة العين، وهذا العشق أحاسيس يزينها إبليس، وأسواقنا تكتظ بمعدومي الإحساس الذين يتسكعون بحثًـا عن الفطير، حيث يأكلونه باسم الحب والعشق والغرام، ولا يستيقظون إلا علـى قول الشاعر:

وإذا أفـاق القلـب وانـدمل الهـوى
رأت القلـوب ولـم تـر الأبـصار

العاشقون ومدارج السالكين

لابن القيم الجوزيه العديد من الكتب الرائعة في هذا المجال مثل: مـدارج السالكين، وكتاب طب القلوب، الذي جمع مادته الدكتور عجيل النشمي، وفي كلا الكتابين تطرق ابن القيم للعشق، وقد عرفه بقوله: هو الحب المفرط الذي يخاف على صاحبه منه، وذكر في اشتقاقه قولين: أنه من العشقة وهي نبـت أصـفر يلتوي على الشجر، فشبه به العاشق، والثاني أنه من الإفراط، وقد اعتبـر ابـن القيم العشق مرضًا قابلاً للعلاج، وله أنواع من العلاج، واذكر هنا علاجًا واحدًا

فقط (العلاج الجراحي) وهو وصل العاشق بمحبوبه شرعًا وقدرًا، وقد روى ابن ماجه في سننه عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي {ﷺ} أنه قال: "لم نر للمتحابين مثل النكاح" وفي لطائف ابن القيم في تفسير – قوله تعالى في سورة النساء/آية ٢٧، ٢٨ ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمًا ٢٧ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا﴾ ، إنه قال: فذكر تخفيفه في هذا الموضع وإخباره عن ضعف الإنسان يدل على ضعفه عن احتمال هذه الشهوة، وأنه – سبحانه – خفف عنه أمرها بما أباحه له من أطايب النساء مثنى وثلاث ورباع.

قل ما بك يا سيدي فكلنا عشاق

من منا لا يعشق أو لا يحب ؟!

لنا أن نحب الكلمة الحلوة ونعشقها، ولنا أن نعشق حسن أداء العمل، ولنا أن نحب ونعشق ما نشاء في حياتنا لكن ذلك كله يجب أن يكون ضمن محبوبات الله – سبحانه وتعالى – لأنه كما يقول ابن القيم إن من علم منزلة محبة الله انشغل بها، وتفانى في تحقيقها، وروح نفسه بنسيمها، فهي موت القلوب، وغذاء الأرواح، وقوة العيون من عاش لها عاش على الحقائق، ومن تعلق بمحبة سواها تعلق بالرسوم، وقد تلقيت رسالة من الشاعر الطبيب الدكتور أحمد سالمين بلغصون يوضح فيها لومه على ما كتبت، وأن العشق قد يكون بين حبيبين كالرجل وزوجته، خاصة في فترة الخطبة، وقد يشتعل عند فراقهما لسفر، أو بعدهما عن بعضهما لسبب أو آخر، مما يجعل قريحة الشعراء تتفتق بأبيات تغوص في العمق، كالقصيدة التي أرسلها بعنوان: أسير لقبلة العشاق. وقد قرأت العديد من قصائد هذا الشاعر، وأعجبت بها، خاصة التي تتحدث عن الأمة الإسلامية، وحيث إن حديثنا هنا عن العشق فأذكر أبياتًا من قصيدته عن العشق التي يقول فيها:

أنـــا لـــست أدري مـــا الهـــوى لـــولاك
أنـــا مولـــدي قـــد كـــان يـــوم لقـــاك
أنـــا قـــد لبثـــت ســـنين عمـــري ضـــائعًا
فأتيـــت نـــورًا فاتبعـــت خطـــاك
وأتيـــت غيثًـــا بعـــد جـــدب فـــي الحـــشا
فزرعـــت زهـــري مـــن بـــذور ربـــاك
وأتيـــت حبًـــا قـــد تملـــك خـــافقي
فـــشربت حبـــك فاحترفـــت هـــواك
وأتيـــت ســـحرًا فارتعـــشت وهزنـــي
فكـــأني زلـــزال بعـــد رؤاك
وحملـــت عطـــرًا هامـــسًا فـــإذا بهـــا
أطيـــاب كـــل الأرض بعـــض شـــذاك
وأتيـــت فجـــرًا بعـــد ليـــل صـــارخ
فهزمـــت أنـــت فلـــول ليلـــي البـــاكي
وهزمـــت بأســـي فاحتـــسبت ســـعادتي
بأســـر شـــعري بـــين همـــس شـــفاك
ورويـــت فـــي ظمـــأ ســـنين قـــد خلـــت
مـــا كـــان يـــروي مـــا رويـــت ســـواك
وعزفـــت لحنًـــا مـــن لحـــون الموصـــلي
فـــإذا بخفقـــي قـــد أعـــاد صـــداك
يـــا حلـــوتي أنـــت الجمـــال رعيتـــه
وســـقيته حتـــى ارتـــوى بنـــداك
يـــا حلـــوتي شـــعري وعقلـــي حلـــوتي
وجميـــع أهلـــي والهـــوى يفـــداك
لو عـــشت فـــي عمـــري كنـــوح عاشـــقًا
مـــا زلـــت أعـــشق حلـــوتي إيـــاك
ولمـــا اتخـــذت ســـواك أيـــة قبلـــة
فـــي الحـــب يـــا طهـــر الهـــوى إلاك
فأنـــا جميـــل مـــا تغنـــي بـــالهوى
مثلـــي ولا بثنـــي لهـــا كبهـــاك
أبـــدًا ولا قـــيس تعلـــق مثلمـــا
قلبـــي تعلـــق ســـابحًا بفـــضاك
كـــلا وعنتـــرة الـــشديد فعـــشقه
فلـــك وعـــشقي حامـــل الأفـــلاك

((تقهْو)) يا رجـــال !!

(١٤١٧/٦/١٥هـ)

فتح الله على الملك عبدالعزيز – طيب الله ثراه – فحول فلـول القبائـل المتناحرة إلى قبيلة واحدة تسمى الوطن، وفي ذلك تأمل وشكر، أما التأمل فهـو تجميع الذرات المتناثرة لتشكل تركيبًا جديدًا، وتعطي جسمًا واحدًا، وأما الـشكر فهو لله وحده سبحانه وتعالى على نعمه وآلائه وبشكره تدوم النعم.

مما لا شك فيه أن طبيعة القبائل المتعادية الاقتتال فجاء دين الله ليلغي ذلك كله، ولتبقى الشريعة الإسلامية حكمًا بين الناس، لذلك كانت "وحدة" هذا الـوطن وتم "اتحاده" وهل "هلاله" وتأكد "نصره" وأصبح عاصمته "الريـاض" وكرمـه "الطائي"، وأكرمه الله "بالاتفاق" والكل ينادي الوطن "أهلي"، حتى غدا "نجمة" في الآفاق فالتف حوله "الأنصار" فسار معتمدًا – بعد الله – على "الشباب" مـستعدًا للنزول في أي "قادسية" وذلك هو المرتقب من المنتخب.

المرتقب من المنتخب

في اليوم الذي كتبت فيه هذه المقالة كان المنتخب السعودي في صـدارة فرق الخليج، لذا أقول إن المرتقب من المنتخـب الـوطني أن يكمـل مـسيرة العطاءات ويتم الفرحة، لأن القلوب كلها معه حبًا وتشجيعًا.

يعجبني كثيرًا في شباب منتخبنا أنهم حريصون كل الحـرص علـى أن يكونوا قدوة حسنة للآخرين، ويظهر ذلك جليًا على تصرفاتهم مما ينم عن لياقة سلوكية راقية، وهذا ليس غريبًا على أبناء المملكة، لأنهم مطالبون زمانًا ومكانًا أن يكونوا قدوة للعالم لأن الجميع ينظر إلينا كذلك، وهو كذلك ينتظـر منـا أن

نكون أوفياء لذلك، فإن المرتقب من الشعب السعودي أن يكون في مقدمة الشعوب التزامًا بمنهج الله.

إن الطبيعة البشرية تقتضي أن يضع الناس في الاعتبار أننا أصحاب أخطاء، وعلينا ملاحظات لكن صدورنا وقلوبنا تسع التصحيح والعودة إلى منهج الله في كل صغيرة وكبيرة. وحيث أن حديثي اليوم بعنوان "تقهْو يا رجال" فإن ذلك يقودني إلى أن أذكر بعض الملاحظات غير الشرعية التي استمر عليها بعض الناس، وقد طلب مني ذلك بعض القراء بناء على ما يرونه من عادات لا تمثل الشرع لا من قريب ولا من بعيد، خاصة لدى الأعراب فماذا تحدث القرآن عن الأعراب ؟!.

الأعراب منهم الأصحاب

التصحر مشكلة بيئية تعاني منها الجزيرة العربية، خاصة إذا بدأت تزحف نحو القرى، وزحفها قد يكون بطيئًا أو سريعًا، ويكون ذلك واضحًا عندما يتأخر نزول القطر من السماء، فإن الجدب يفرد جناحيه على الأرض وتتحرك الطعوس لتلقي بفلذات أكبادها من الحبيبات الرملية على خيام البدو، وتتقد حرارة الشمس لتحل ضيفًا ثقيلاً على أجساد الناس، وعندها يشعر صاحب الإبل والغنم بافتقاره إلى ربه وحاجته إليه، خاصة إذا أحدق الموت عليه من كل جانب، فأهلك الزرع والضرع ولم يبق أمامه إلا أن ينهش في لحم هؤلاء الذين هزلت أجسامهم، واكتوى بفقد الصاحب والقريب واحدًا تلو الآخر ... في وضع كهذا وفي سنة من السنوات المجدية سمع الصحابي الجليل النعمان بن مقرن المزني وهو من قبيلة مزينة التي كانت تتخذ منازلها قريبًا من المدينة المنورة، سمع بمقدم رسول الله {ﷺ} وقرر أن يفد إليه ليدخل في هذا الدين إلا أنه استحى أن يفد إليه دون أن يحتمل له شيئًا في يده، فطاف ببيته وبيت أخوته وجمع ما تبقى

من غنيمات وساقها – وهي كل ما يملك – ساقها وقدم بها على رسول الله {ﷺ} وأعلن إسلامه بين يديه، وتقبل الله عز وجل غنيماته، وأنزل فيه قرآنًا يتلى إلى يوم القيامة، حيث قال في سورة التوبة/آيـة ٩٩: ﴿ وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرۡبَةٞ لَّهُمۡۚ سَيُدۡخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾.

ذلك نجم واحد من نجوم الصحراء الذين يبحثون عن رضى الله. والسيرة العطرة تكتظ بأسماء العديد من الأعراب، وأهل البادية الذين أحبوا الله ورسوله، فهؤلاء هم الأصحاب والأحباب، وفي الجانب الآخر فإن القرآن الكريم يوضح أن منهم أذنابًا لا قيمة لهم، خاصة من تعاظم كفره واشتد نفاقه، كما قال تعالى: ﴿ ٱلۡأَعۡرَابُ أَشَدُّ كُفۡرٗا وَنِفَاقٗا وَأَجۡدَرُ أَلَّا يَعۡلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦۗ ﴾ [سورة التوبة/آية٩٩]، يقول ابن كثير أن هذه الآية توضح أن كفر الأعراب ونفاقهم أعظم من غيرهم وأشد كما أنهم أحرى بعدم العلم الشرعي، لذلك فإن يوسف عليه السلام جعل خروجه من السجن ومجيء أهله من البدو من الأمور المستحسنة، حيث قال تعالى في سورة يوسف/آيـة ١٠٠: ﴿وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ ﴾.

أمير ورسالة

عمل الملك عبدالعزيز – طيب الله ثراه – على توحيد الجزيرة وجمع شتاتها، ولم كلمتها وشملها تحت راية التوحيد. وكان يتمتع بحس مرهف في تطبيق شرع الله ويحاسب أمراء المناطق بنفسه إذا وقع تقصير في ذلك وقد نشرت جريدة "المسلمون" في عددها (٦٠٨) مقالاً بعنوان من رسائل الملك عبدالعزيز رحمه الله بقلم د. سليمان أبا الخيل توضح ما تقوله وننقلها نصًا كما

جاءت: "..... وبعد: فقد بلغني ما كدر الخاطر وهو أنه يوجد ناس من أذناب البادية من جماعتكم وغيرهم تركوا الصلاة، وفعلوا المنكرات، وربما أن البيت والبيتين والسلف ما يؤذن فيه مع إظهار بعض المنكرات، وهذا مما يوجب غضب الله وعقابه، والراضي كالفاعل، ونحن والحمد لله مقدرنا الله على تقويم شرائعه وسنة رسوله {ﷺ} لكن هالمدة معتمدين على الله ثم على كباركم وبعض الإخوان الذي فيه خير منكم، ولكن والعياذ بالله لم يرفع لنا هذا الخبر إلا قليل من الناس، الله يجزاهم بالخير، فالآن تفهمون أن ما لنا حياة ولا قوة إلا بالله، ثم تقويم هذه الأركان الخمسة والمحبة فيها، والبغض فيها، وتقويم كلمة التوحيد، والقيام بأمر الشرع، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، نسأل الله تعالى أن يحيينا عليها ويميتنا عليها، ويذل من خالفها، إنه جواد كريم فبهذا السبب تكدر خاطري، وعزمت بحول الله وقوته أن أقوم بما يرضي الله، والله المسؤول أن يمدنا بالتوفيق والعناية وجميع إخواننا المسلمين، وأن يوفقنا للعمل بكتابه وسنة رسوله {ﷺ}، وأني آمر جميع أمرائي من الحاضرة والبادية، وكذلك من له معرفة في دين الله ويرجو ثواب الله أن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر، ويحضوا على طاعة الله وطاعة رسوله {ﷺ} وأن يقوموا بذلك باطنًا وظاهرًا على العسر واليسر، ولا لأحد في ترك ذلك عذر عند الله – سبحانه وتعالى –، ثم عندي وعند المسلمين، ومن ترك ذلك من أمير أو مأمور أو منتسب فقد عصى الله، وتعرض لسخطه، ثم عصاني أنا وليّ أمره أوجب على بغضه، والقيام عليه بما تقتضيه الشريعة الغراء، ومن قام بذلك على الوجه المشروع بلا هوى ولا جهل ولا غلو فقد أدى الواجب ورجا عفو الله ورحمته، ثم أرضاني أنا وليّ أمره فبهذا آمركم والأمر من ذمتي في ذمتكم، الجاهل علموه وانصحوه والقايم بأمر الله ساعدوه، والعاصي المخالف لأمر الله اهجروه، وكافحوه وارفعوا لنا أمره، وكل أمير أو مأمور أو منتسب ما يقوم بذلك ويرفعه إلينا فقد

استحق البعد منا وعدم الوثوق به، فإذا فهمتم ذلك فقد برئت ذمتي ممـن تـرك الواجبات، وارتكب المحرمات التي توجب قتاله، واستحلال دمه ومالـه فبهـذا أخبركم....".

"تقهْو" ... يا رجال...!!

اتصل بي بعض القراء ليوضحوا أن هناك عادات ليست مـن الـشرع، ولازالت تتحكم في كثير من الناس، نذكر هنا بعضها فقط، ونترك ما تبقى ممـا لم نذكره ليوزن بميزان الشرع.

- هناك مبالغة عند بعض الناس في إكرام ضيفه، ويذكر لي أحدهم أنه أثقـل بالديون من كثرة ما يذبح من ذبائح عندما ينزل عنده أي ضيف، وقد كثـر عليه الضيوف في هذا الصيف، وحيث أنه لكل ضيف ذبيحـة فـإن جيبـه انذبح، وجلده انسلخ، وجسمه انطرح من هموم الدين .. وهـذا بـلا شـك مخالف للسنة لأن النبي {ﷺ} وهو الآمر بكرم الضيافة إلا أنـه كـان يقـدم لضيفه مما عنده دون مبالغة في ذلك، فنقول "تقهو" يا رجال ومرحبًا وأهـلاً وسهلاً، لكن ليس شرطًا لكل شخص ذبيحة، وإلا فلا مرحبًا، ولا أهـلاً ولا سهلاً.

- الوعي في إعطاء المرأة مكانتها بحيث يجب أن تتحول تلك العادة الجاهليـة في التعامل إلى الحق الشرعي الذي فرضه الله – سبحانه وتعـالى – فـلا داعي للإهانة فنسمع من يقول "مره أعزك الله" أو أن تحجز البنت لولد عمها قسرًا، أو أن تعامل قاصرة أو من سقط المتاع أو يسقط حقها من الإرث أو التلاعب بها دائمًا بقول: "عليّ الطلاق".

- وليمة العرس وإرهاق الزوج بالصرفيات عادة سيئة، وقد تمتد لتصل جميع أطراف الدنيا دعوة وحضورًا، وحبذا أن يتبنى المقتدرون والأغنيـاء مـن

شيوخ القبائل وكبار القوم التقليل من ذلك، ليكونوا لمن خلفهم قدوة، فيسري ذلك على صغار القوم وتسهل حياتهم وزيجاتهم.

- أخبرني البعض أن هناك من لا تزال أم الزوجة لا تكشف أبدًا علـــى زوج ابنتها، واعتباره أجنبيًا، وهذا يتعارض صراحة مع ما جـــاء فـــي القـــرآن الكريم.
- إن احتكار أرملة الأخ على أخيه عادة سيئة، مع أن ذلك فيه خيـــر ووفـــاء لأبناء الأخ إلا أن "حكره" واحتكاره ليس من الشرع.
- انتشار بيع العينة واستغلال المحتاجين بالحيل الربوية فإن ذلك "لـــيس مـــن الشرع لا من قريب ولا بعيد".

حذارِ يا عذارى !!

(١٤١٧/٧/٢٠هـ)

العفة والعرض والعار ... مصطلحات عربية لا يوجد مقابلها عمقًا باللغة الإنجليزية، وإن وجدت فإن واقع حياتهم لا يمثلها أبدًا ... فلم يعد يهم الرجل الغربي أن تكون البنت أو الزوجة عفيفة .. وليس هناك عرض يحميه الرجال أو يغارون عليه، إلا من رحم ربي فلماذا؟!

يقال إن سبب ذلك هو مرحلة التبذل التي وصلت إليها المرأة من استخدامها وتشغيلها وإخراجها بتكليفها بالبحث عن لقمة عيشها والصرف على نفسها. لذا كثرت بيوت الدعارة والملاهي الليلية، ويرجعون ذلك إلى ذهاب الحياء، وخروج المرأة على كل صغيرة وكبيرة لتشارك الرجل وتزاحمه، لذلك فإن المرأة المسكينة اليوم تدفع ضريبة ذلك من جسدها، وعلى حساب نفسيتها وراحتها، فهل تعتبر من هذا؟ في الجانب الآخر نرى دولاً ذات نموذج معافى – مثل بلادنا الغالية – لنتعرف على المنهج الذي استطاعت به أن تقي بناتها من الجراحات الدامية، والوقوع في مثل تلك الأوحال الآسنة !!

مسكينة "هالبنية"!!

بنات البيت أو العذارى في خدورهن كما يقولون هن اللائي وصى المصطفى {ﷺ} عليهن، وخصهن أكثر بالرعاية والتعهد والتربية، ووعد من اعتنى بأمرهن بأن له الجنة – كما قال عليه الصلاة والسلام – أو كان له حجابًا من النار، أو يأتي يوم القيامة مرافقًا للرسول {ﷺ} كما وردت في ذلك بعض الروايات.. وهذا يوضح عظم حقوق البنات على أولياء الأمور، وكذلك على المجتمع الذي يتحمل جزءًا كبيرًا من المسؤولية في المحافظة على تربية الإناث العامة.

إن أول ما ينبغي أن يعطى للبنات من حقوق هو: الإجابات الصادقة نحو الحياة، فالبنات لديهن أسئلة غزيرة كالمطر الساقط على جدة هذه الأيام غـزارة وتدفقًا، ومتراكمة كالضباب الذي على لندن كثافة وتراكمًا، ومغبشة كالغبار الذي في الصحراء بعثرة وغبشًا، وفي المقابل فإن بعض البيوت للأسـف لا تعـرف الجو الديمقراطي، ولا المحاورة، ولا حتى الرأي الشرعي في كيفيـة التعامـل، إنما هو الشخط والصراخ وهذا حرام وذلك عيب، وليه تمسكي سماعة الهاتف؟ وما في خرجة !! .. وتأخذ البنت على رأسها فها البنية مسكينة ... وأكثر منهـا مسكنة من تعيش في جو مفتوح تجيء وتروح والباب لها كل يوم مفتوح، تخرج بطولها، وترجع بشيء من عرضها، لا يعرف والدها أين كانت سوى الـسوق، ومع الصديقات، ولا حجاب ولا عيب، إنما هي تربية الثقة المطلقة، والإدمـان على الأفلام، وتغذية فكرها ببعض الكلام المشبوه عن دينها فتنظر إلى الفـضيلة بأنها تخلف ... فهذه الأخرى ياعيني مسكينة!! يشتكي البعض من تردي حالـة البنات فلماذا؟!

بنظرتي القاصرة فإنني أظن أن السبب هو التأرجح بين التربية التقليديـة والتربية اللامسؤولة، وما ينقذ من ذلك إلا اتباع النموذج الأمثل في ذلك، والذي يراعى التوجيهات الربانية، ولعل منه ما يلي:

- إن الحياء فضيلة وزينة وحلة ترتديها البنت، عند سقوطه فإنهـا تعـرض نفسها للإيذاء وتجرح كرامتها، فالمحافظة عليه و"تجريع" البنت منه نقطًـا كل يوم كفيل يكسبها مناعة طبيعية ضد كل ما يخدش الحياء وفـي ذلـك خير كبير.
- صحة التربية وعدم ازدواجية التطبيق، أو الانحراف التربوي فـي أحـد الاتجاهين المتناقضين إهمالاً أو تشديدًا.

- إعطاء البنت حقها من الاحترام، وعدم تهميش شخصيتها من خلال فرض الأوامر من الأب أو الأخ.
- إن هناك سناً تتأجج فيها المشاعر وتفيض فيها العاطفة وتـضطرب فيهـا الأحاسيس، وهذه كلها تجعل البنت تعجب ببعض من ترى من الشباب أو الرجال ... أقول تعجب لا تحب وعليه يجب أن يكون هنـاك دقـة فـي التعامل معها فيما يخص ذلك.
- مدها بصور رائعة من حياة النساء، سواء سلف هذه الأمة أو حاضـرها لتسير في حياتنا بحكمة أم سلمة، وثقافة عائشة، ووعي أسماء، وشـجاعة خولة، وإيمان الخنساء.
- تحديد وتوضيح مفهوم المشاركة الفاعلة للمرأة في المجتمع السعودي.
- تحبيب الأوامر الشرعية لها وعدم التساهل في قضايا الحشمة والحجـاب، والظهور على الأجانب، وخير للمرأة ألا يراها الرجال كما قالت الـسيدة فاطمة بنت الرسول {ﷺ} عندما سئلت عما هو خير للمرأة فقالت (ألا ترى رجلاً ولا يراها).
- الاهتمام بالنواحي الترفيهية للبنت لما في ذلك من أثر اجتماعي يجعلها في نفسية عالية، ويحبذ إشباع ما تصبو إليه وتهـواه إذا كانـت مـن أهـل الهوايات.

البنات وعقارب الساعة

إن من أهم القضايا المعاصرة التي تحتاج للتوضيح لبنات هذا العصر، هو ما تفيض فيه المجلات النسائية من شبه حول حقوق المرأة، وقبل أن نبـدأ فـي نقاش هذه الشبه، نود أن نشيد بكل تجرد، بل نفتخر بنجاح التجربة السعودية في

الحفاظ على المرأة بعيدًا عن الاختلاط، وقد أصبح يشار إلى ذلك بالبنان، وتفردت به المملكة وتميزت، وكان نموذجًا للتوفيق بين مواكبة التنمية والمحافظة على الدين، وقد أعجبتني إجابة صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبدالعزيز على أحد الأسئلة فيما يخص ذلك، بل افتخاره – حفظه الله – بأننا فعلاً مجتمع متميز ومحافظ ولنا خصوصياتنا الناجحة في حياتنا، لأننا مجتمع يطبق شرع الله. وفيما أظن أن ذلك يجيء من سموه لوضوح الرؤية المنهجية لديه – حفظه الله –، وقد سمعنا كثيرًا أن هناك محاولات جادة في دول عربية وإسلامية في تبني النموذج السعودي، سواء في الدراسة الجامعية أو الحياة الوظيفية، خاصة تجنب الاختلاط، حيث عانت تلك المجتمعات من الاختلاط، وما له من آثار تربوية سيئة على الأجيال. إن أكبر قضية تجترها الصحف النسائية وتلوكها وتعوكها وتشغل نفسها بها هي: مساواة الذكر بالأنثى، والرجل بالمرأة، وإفهام البنات بأن الرجال معتدون على صلاحياتهن، وأن الدور حان لأن تنطلق البنت غير آبهة بأب أو بأخ أو زوج، بل عليها أن ترمي أحيانًا مهامها المنزلية على الرجل، لتتفرغ للعمل، وتتم بذلك المساواة وتتحقق العدالة. ويعجب الإنسان لكلام مثل هذا، حيث لا نجده في المجموعات الحيوانية، وتذكرني بعض الكاتبات اللائي ينادين بمثل هذا بإناث العقارب، حيث هن الوحيدات اللائي يؤلبن بناتهن على الرجال "ذكور العقارب" لذلك فإن بعض العقارب يستأسدن على الرجل، وما تنظر كل واحدة منهن إلى زوجها إلا وتقدح عيناها شررًا، وتأكل في نفسها، وتتساءل: كيف تكون له الكلمة؟! من هو حتى يصبح القائد والرائد؟! لماذا كل شيء بيده ؟! إلا لأنه ذكر؟ لماذا لا أشاركه في القوامة؟ كل هذه الأسئلة تطرحها (إناث العقارب) كبعض كاتبات الصحف النسائية تمامًا، لذلك فإن بعض إناث العقارب، خاصة الصحفيات منهن أول عمل تعمله هو التخلص من هذا الذكر، والوقوف له بالمرصاد، وسلبه ما أمكن من

خصوصياته، وإعطاؤه درسًا يفهم الرجال (ذكور العقارب) من بعده بأن هنـاك تطورًا في الحياة حدث وأهلهن إلى المشاركة في تسيير المجتمع فما تكـاد تـتم عملية الزفاف، ودخول بيت الحياة الزوجية حتى تحاوره وتناقشه، أخـذًا بمبـدأ الديمقراطية وتقول له: نريد أن نتفاهم حول الحقوق، ومين يخرج مـن البيـت ومين يبقى ؟ فيغضب الذكر، وهي عادة الرجل العربـي المغـوار، ويزمجـر فتهديء من روعه وتقول له: موعدنا الليلة، وما أن يلتقيا جسديًا في عرس بهي حتى تطرحه أرضًا صريع الرجولة والفحولة، وتجعله عبرة لمن لا يعتبر مـن الرجال (ذكور العقارب).

إن علماء البيولوجيا محتارون: لماذا تقوم هذه الوديعة ذات المشية المدللة:

غـراء فـرعاء مصقـول عـوارضها
تمشي الهوينى كما يمشي الوجى الوحل

والتي ما فتئت من وضع المكياج على وجهها، وأحيانًا على كفيهـا عنـد رفع ذيلها في بداية التزاوج والغزل ... لماذا تفعل كل هذا مع زوجها وذكرهـا وأبي عيالها ؟! قيل إنها من المتحررات اللائي يطالبن بالتسوية وحقوق الأنثـى ولم يسمع لها؟! فعمدت مع بعض زميلاتها لتأسيس جمعية أطلقن عليها: جمعية إناث العقارب النهضوية لتحرير بنات حواء، وفي أول اجتماع لهن اتخذن قرارًا بإعداد الرجال، وكان من دهائهن أن وضعن شرطًا لتحقيق ذلك ألا وهو ألا يتم ذلك إلا بعد عملية التزاوج وذلك ضمانًا لبقاء النسل، والاستمرار في المزيد من تكثير عضوات الجمعية من البنات.

إن قلة قليلة من شواذ الحيوانات تتبنى مشاريع المساواة تلك، لكن يحـدث العكس في المجتمعات البشرية، فقلة قليلة من النساء من تحـافظ علـى بعلهـا وزوجها، وتتبادل معه فهم الحقوق والواجبات.

إن المنهج القرآني سوره وآياته وتوجيهاته قد وضع المرأة "أمًا وزوجًا وبنتًا" على أحلى التصورات فيما يخص الحقوق والواجبات، حيث يذكر الله سبحانه وتعالى ذلك في قوله تعالى:﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ﴾ [سورة النساء/آية ٣٢] هذه الآية آية توازن وانسجام لحياة الرجال والنساء، فللرجال مجالهم، وللنساء مجالهن، وهذا يكمل تلك وتلك تضع يدها بذاك، وللرجال خصوصيتهم، وللنساء خصوصياتهن، كما توضحه كثير من الآيات والأحاديث النبوية لذلك فإن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [سورة النساء/آية ٣٢].

إن البنت كامرأة لها دورها في بناء هذه الحياة، خاصة ذريتها وأسرتها وزوجها إن هي تزوجت، وذلك حلم الحياة كلها ... ذلك يجيء مع مشاركتها البناءة في مجتمعها كمعلمة، وطبيبة، وممرضة، واجتماعية ... كل ذلك يتم في إطار الفهم الحقيقي لمقاصد الشريعة الإسلامية.

إن الجميل إذا أخفيته ظهرا

(١٤١٧/٨/٥هـ)

إن الناس – للأسف – لا تذكر من العطاء إلا ما كان مرتبطًا بالنفقة والمال، والعطاء في حقيقته أكبر من ذلك، بل إن عطاء القلوب ومنح الآخرين مساحة من شغافها ليستريحوا عليها، أو غرفًا ليسكنوا فيها لهو من أرقى أنواع العطاءات.

فكم من مهموم لا تغمض عيناه إلا عندما يجد صاحب معروف يواسيه!!

وكم من مكتئب لا تنفرج أساريره إلا بنظرة تملأ أشواقه!!

وكم من أستاذ ومرب تعلقت به القلوب لما له من جميل تعليم وتأديب!!

وكم من طبيب ماهر ارتاحت له النفوس وكان على يديه الشفاء!!

وكم من موظف سمت به أخلاقه التعامل إلى الذرى فأصبح يشار إليه بأنه "الجميل" في أدائه وأخلاقه!!

وكم من صاحب جميل (معروف) أظهرته الذكرى الحسنة حتى ولو نسيه الناس، أو نسى هو ما قدم للناس، فإن رائحة الجميل فواحة تعلن عن نفسها، حتى ولو خفي الجميل نفسه كما قال الشاعر:

ينسى صنائعه والله يظهرها.

إن الجميل إذا أخفيته ظهرا

- **فينك يا "جميل "؟!**

كان الجميل (المعروف) رابطة حميمة تربط الغني بالفقير، والكبير بالصغير، والجار بجاره، والصديق بصديقه ... وقد كان – أي الجميل – أحد

خصائص مجتمعنا الفاضل، حتى إذا ما زادت النعمة وكثر الخير فقدناه، وأخذنا نبحث عنه فلا نجده إلا قليلاً، لكن مع ذلك يبقى لأن الله سبحانه وتعالى أوجد الجميل وخلق له أهلاً حببه إليهم، حتى أن بعض الحكماء يقول: إن الله إذا أراد بعبده خيرًا جعل قضاء حوائج الناس على يديه، وطبيعي جدًا أن من كثرة نعم الله علينا – مادية أو اجتماعية، أو سابق خبرة وحسن تصرف – تعلق الناس به. والعجيب حقًا أن قلة قليلة من الناس هي التي تستقبل هذا التعلق بصدر رحب، بينما الكثرة الظاهرة تنفر منه وتقابله بالملل والتبرم والضجر ناسين أو متناسين قول المصطفى {ﷺ} فيما أخرجه الطبراني وابن أبي الدنيا (أن لله أقوامًا اختصهم بالنعم لمنافع عباده يقرها فيهم ما بذلوها فإذا منعوها نزعها منهم فحولها إلى غيرهم).

وعن ابن عباس مرفوعًا (ما من عبدأنعم الله عليه نعمة أو سبغها عليه، ثم جعل حوائج الناس إليه فتبرم، فقد عرض تلك النعم للزوال) رواه الطبراني بإسناد جيد.

إن أهل العلم والعارفين بالله والمحبين له يفرقون بين مفهوم تفريج الكرب وبين تنفيسه، ذلك أن صنع المعروف وإسداء الجميل استحوذ على حياتهم وأفهامهم فقالوا: إن تفريج الكروب أعظم وأكثر أجرًا من تنفيسها لأن التفريج يعني إزالتها وإزاحتها عن حياة المسلم، بينما التنفيس يعني تخفيفها وكسر حدتها في حياة المبتلى بها مع بقاء شيء من آلامها وأوجاعها.

إن هناك شكوى بهمس النجوى حول غياب الجميل (المعروف) من حياة الناس اليوم بحيث أن هناك الكثير من يئن تحت وطأة الحياة القاسية. فكم من قريب لا يعرف أهله وأقرباءه وأرحامه إلا اسمه وانتماءه لشجرة العائلة، لكن حياته ملأى بالآهات والأحزان والآلام، وكم من جار لا يعرف عن جيرانه إلا

أنه يفتح باب داره ويقفله، ولديه سيارة بلون أحمر أو أبيض، بينما هو يعيش في حياة مريرة، وكم من صديق لا يعرفه أصدقاؤه إلا في "الشلة" وصكة البلـوت، وما أن يبتلى أو يصاب حتى يمسي طريح الفراش من كثرة ما نزل به من الهم والغم ... كل ذلك تفاقم اليوم وزادت نسبته، لأن الجميل وإسداء المعروف غائب عن حياتنا .. سواء الجميل المادي الذي يرفع الحرج عـن الأرملـة والأيتـام والمعوزين وأصحاب الديون، أو الجميل المعنوي الذي يرفع من شأن النفـوس ويعالج المواقف ويتدخل للإصلاح أو ما يعرف "بوقفة الرجال" لذلك فإن الكثيـر يبحث عن الجميل وهو ينادي فينك "يا جميل"؟! وحشتنا "يا جميل"!! اللي يشوف "الجميل" يدلني عليه أو يجيبه وله نصفه!! ومن منا لا يحتاج للمعروف؟! والذي لا يحتاج له اليوم فإنه في الغد سيطلبه وسيبحث عنه، ويشتاق لطلعتـه البهيـة، ونظرته الزهية، لأن الناس بالناس والكل بالله.

- **جميل الحياة جميل**

إن إسداء المعروف والقيام به حاجة بشرية تحتاجهـا كـل المجتمعـات، وظهوره بين الناس علامة من علامات الصحوة الاجتماعية، وغيابه دليل علـى استحكام الشر في النفوس، لذلك فإن ديننا الحنيف حث على كل ما لـه علاقـة بالمعروف، وجعل كلمة المعروف تستخدم كمصطلح في أصغر الأمـور شـأنًا كإزالة الأذى عن الطريق أو التبسم في وجه الآخر وأعظم الأمور شـأنًا مثـل السير في حاجة الآخرين.

وحياة المبادرة بالجميل وإسداء المعروف موجودة حتـى بـين الكائنـات الحية، فهي في الجو بين الطيور وفي البحر بين الأسماك وعلـى الأرض بـين الدواب، وهي على شكل حياة تكافل أو تبادل منفعة Mutualism حيـث يعـيش نوعان مختلفان من الكائنات الحية معًا، ينتفع كلاهما بالعيش معًا، وهنـاك مـن

الحيوانات من يقدم المعروف والجميل لغيره دون مقابل مثل: سـمك القـرش، حيث يقدم بسخاء شيئًا مما يصطاده من أكل إلى سمك اللشك الذي يلتـصق بـه باستمرار ... وبقدر ما هناك من حيوانات مفترسة في الغابة وذات جرم كبيـر، بقدر ما يكون هناك من حيوانات وديعة وأليفة "وضعيفة"، وكلها رحمة وعطـف وصاحبة أياد بيضاء.

○ **جميل الوظيفة جميل**

إن أهم ما يواجه شباب اليوم وخريجي الجامعات والمعاهد والكليات هـو المستقبل الوظيفي والبحث عن الرزق، وكان أصحاب القطاع الخاص في السابق (التجار وأصحاب الأموال) على ما كانوا عليه من تواضـع مـالي، إلا أنهـم أصحاب أياد بيضاء وصناع معروف، حيث يعتمدون بعض المبـالغ كقرضـة حسنة لبعض أفراد المجتمع من القرابة والجيران والأصحاب ليتاجر بها علـى الحساب كما يقولون، وهذا جميل يقبع في زوايا المخ كلما تزامن وقدم أو أوشك على التلاشي والاندثار أظهره الله وحفظ لصاحب الجميل جميله، كما أن البعض كان يتبنى بعض الأبناء في الأعمال حتى يغدوا رجالاً يعتمد عليهم في الـصنعة والعمل، وذلك من صنائع المعروف أيضًا.

وحيث إن القطاع الخاص اليوم بيده سيدة الوظائف، ويستطيع أن يقدم من صنائع المعروف الشيء الكثير، فإن حشود الأبناء الباحثين عن لقمة العيش فـي تزايد، فليس عليه إلا أن يتبنى شباب هذا الوطن بحيث يهيئ لهم فرص التدريب أولاً، والوظائف المناسبة بعد ذلك، ويمنحهم جميلاً في حياتهم لا ينسونه أبـدًا، حتى ولو كان في ذلك شيء بسيط من التنازل عن المطلوب ربحًا على أن يـتم تحسين العطاء مع مرور الأيام، وحبذا أن يأتي ذلك مـنهم – أي مـن التجـار

ورجال الأعمال – عن طيب نفس وصنيع معروف قبل أن تقصر عليه النفـوس قصرًا.

- **ذوق ومروءات**

سُئل الأحنف بن قيس عن المروءة؟ فقال: المروءة التقى والاحتمـال ثـم أطرق ساعة وقال:

وإذا جميـــل الوجـــه لـــم
يـــأت الجميـــل فـــي جمالـــه
مـــا خيـــر أخـــلاق الفتـــى
إلا تقـــــاه واحتمالـــــه

إن الحديث عن صنائع المعروف والجميل تجعلنا نضع في اعتبارنا أن من الناس من يصنف بعض أعمال المعروف بأنها ذوقيات رفيعة، وبعضهم يجعلها مروءات سديدة، وبعضهم يصنفها بأنها علاقات وطيدة، وبعضهم يجعلهـا مـن المباحات الرفيعة وهناك من يجعلها من الواجبات الأكيدة .. وأيًا كان التـصنيف سيظل الجميل لوحة فنية واسعة المجال وبعيدة المنال، وتعبيرًا عن ألـف حـال وحال، لذلك فإن الله سبحانه وتعالى يقول في سورة الأعراف/آيـة ١٩٩: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ إن التصوير الفني في هذه الآية بليغ جدًا حتى لتشعر ونحن نقرأها بأن هناك أطرافًا معنية ذات حركة دائمة، وهي تمـد يدها لأخذ العفو، وتستعمل لسانها للأمر بالعرف، وتدير جميع جسمها، وتعطـي ظهرها لكل ما هو من أمر الجاهلية، وذلك كله يجيء في طور الذوق الرفيع في المعاملات مع الآخر أيًا كان هذا الآخـر، وإن كانـت الآيـة خطابًـا موجهًـا للمصطفى {ﷺ} إلا أن ذلك لعامة أفراد المجتمع، وفي ذلك رياضة للنفـوس لأن تتطبع بمكارم الأخلاق والأريحيات والمروءات، بل أبعد من ذلـك، حثهـا لأن تتطوع لجميع ألوان الخير دون تكليف، بل تعتاد بذاتها النهوض بـأمر العـرف

والجميل في يسر وطواعية ولين، وذلك كله في إطار الآخـر المنـاوئ فكيـف بالقريب والجار والصديق.

إن بعض الناس يسمي صنائع الجميل: أدب العلاقات وهو الحـد الأدنـى الذي يجب أن يتوفر في النفس البشرية السوية ورسول الله {ﷺ} كان له في هـذا القدر الأعلى ... ألا ترى إلى ما قالته السيدة خديجة رضي الله عنها لـه يـوم رجع بالوحي، وأخبرها أنه قد خشي على نفسه فقالت: { كلا والله لا يخزيك الله أبدًا: إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق) رواه البخاري.

هذا عذر ((بدي)) اعتذار !!

(١٤١٧/٨/١٩هـ)

ما من إنسان إلا وهو معرض للزلل، والخطأ، والتعدي علـى الغيـر، أو التقصير في شأن من شؤون الآخرين، أو السقوط – عمدًا أو سهوًا – في دائرة الظلم فيكون المساس من قريب أو بعيد بحياة إنسان آخر، وما من شيء يعدل به الإنسان المائل عوجه إلا أن يستسمح صاحب الشأن بأن يعذره فيكون منه العذر أو الاعتذار، حيث هما أقرب علاج يداوي بهما خطأه وما بدر منه من زلل، أو نقص، أو ظلم.

إن بعض من يقع في الخطأ يسرع الخطى و "الهرولة" إلى سلة الأعـذار فيلتقط منها ما يروق له من أعذار ليقدمها بين يدي من قصر في حقه، أو أخطأ في شأنه ويغطي بذلك عيبه ويستر عورته، إلا أنه – وأن انطلى عـذره علـى صاحبه – سيظل كذبه ملتصقًا به حتى إنه ليظهر من شدة قبحه أن الذنب نفـسه أخف منه، وعندها يقال: "عذر أقبح من ذنب".

أما إذا كان العذر قادمًا من بوابته الصحيحة، حيث أنه أرغم في تقـصير معين أو تأخر عن واجب، أي أن هناك ظرفًا حقيقيًا، وفي نفس الوقـت لـسان حاله يقول: "العفو وسامحنا" أو "حقك علينا" أو "لك العتبى حتى ترضى" فعنـدما ينشرح له الصدر ويقبل منه العذر.

أخطاء لا عذر لها

إن هناك من الأخطاء ما يمكن أن يصححه عذر أو اعتذار، وهناك جـور وتعد وزلل لا تكفيه جميع أعذار الأرض، ولا تمحوه كل خطابات الاعتذار، ذلك لأنه يجيء من أشد أبواب الكون ظلمًا وعتمة، ويتم التعدي فيـه قـسرًا علـى

الآخرين .. إنه الظلم ... ذلك السحاب الأسود القاتم الذي تسقط حياته على النفوس فتؤلمها، وعلى الأجساد فتمرضها، ولهول خطئهم – أي الظالمين وما يقومون به من أعمال أخبر سبحانه وتعالى أنهم تحت ناظره، ويتابعهم لحظة بلحظة حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [إبراهيم/آية ٤٢].

لذلك فإن الظلم يجيء يوم القيامة وكله ظلمات، كما أخبر عن ذلك المصطفى {ﷺ} فيما يرويه مسلم "اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة" وأعتى الظلم وأشده أن يقصر الإنسان بجانب خالقه وسيده كما قال تعالى في سورة الكهف/آية ٥٧: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا ﴾ وهناك أخطاء لا عذر لها ولا يمكن أن تقبل الاعتذارات والمعاذير في شأنها، وتذكر منها:

- يقول الله سبحانه وتعالى في سورة المرسلات/آية ٣٥-٣٦: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾، إن يوم القيامة رهيب وفي نفس الوقت مهيب لا يتخلله كلام، ولا تقبل فيه أعذار، ويوضح ذلك ويؤكده قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ﴾ [سورة التحريم/آية ٧] ... بل إن الإنسان يوم القيامة لو ألقى معاذيره وقدمها فإنها لا تقبل منه كما قال ذلك قتادة في تفسير قوله تعالى: ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴾ [سورة القيامة/آية ١٤، ١٥].
- صورة أخرى لا يقبل فيها العذر ولا الاعتذار، وهي صورة متحركة تفضح زيف من يتسترون خلف الأعذار والمعاذير، يبررون ضحكهم ودجلهم على خلق الله بأوهام الشطارة والحذاقة، خاصة إذا كان التعامل في القضايا ذات العلاقة بالله سبحانه وتعالى، أو دينه، وقرآنه، ورسله،

ومع علمهم بأن الله يعلم حقيقة أمرهم، إلا أن الجرأة في التعدي على سلطان الله جعلهم يتفننون في تقديم أعذار الانحراف، وبسط معاذير الخروج على شرع الله، وهم في تصرفهم هذا لا يختلفون عن "الخوالف" الذين عناهم الله بقوله تعالى في سورة التوبة/آية ٩٤: ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾ أي وفروا عليكم معاذيركم فلن نطمئن إليكم، لأن إيمانكم بدينكم مزيف كأعذاركم التي تقدمونها تمامًا، فأنتم فقط تريدون أن يقال عنكم بأنكم تتبنون الإسلام، وتحكمونه في حياتكم، لكن حقيقة الأمر يعلمها الله، وقد نبأنا الله من أخباركم من خلال تصرفاتكم وواقع حياتكم.

- ومن الأعذار التي لا تجد قبولاً في الآخرة هي أعذار الظالم. فمهما "مكيجها" أو قدمها بأروع الأساليب وأجملها، فإنها ستظل لهيبًا يكتوي منه المظلوم، ونارًا تحرق أعصابه، فكيف يريد أن يخمد النار ويطفئ اللهيب بنفخة هواء!!

إن الله سبحانه وتعالى من عدله أن جعل غفران ذنب الظالم مرتبطًا بالمظلوم، فتلك حقوق، والحقوق لا يملك أحد أن يتصرف بها إلا أصحابها، لذلك فإن المصطفى {ﷺ} يوضح أن التحلل من الظلم إنما يكون في هذه الحياة الدنيا، وإن كان هناك قبول للعذر، أن يكون في هذه الحياة الدنيا، فقد ورد في صحيح البخاري عن أبي هريرة ﷺ عن النبي {ﷺ} قال: (من كانت عنده مظلمة لأخيه، من عرضه أو من شيء فليتحلله من اليوم قبل ألا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه).

ملف الاعتذارات

إن خير الخطائين هم التوابون المعتذرون، والرياضة النفسية تحتم علـى صاحبها بأن يكون يقظًا في معرفة حدوده، وعدم تعديه على الآخرين، بـل إن ابن المقفع يذهب إلى أبعد من ذلك بأن على الإنسان أن يسجل ما يصدر منه من حسنات وسيئات، ليقف عند السيئات وقفة تأمل وندم، ينشئ مـن خلالهـا ملفًـا خاصًا للاعتذارات، إن هناك تعديًا يمارسه الكثيرون وهم لا يشعرون، فكم مـن رجال أبأسهم فرط الإذلال ؟! وكم من نساء أذلتهم سطوة النذلاء؟! وكـم مـن عبقريات مرغتها في الوحل خصومات خسيسة ؟! وكم من دميم يرى في الجمال تحديًا له فيلجأ إلى التجني؟! وكم من غبي يرى في الذكاء عدوانًا عليه فيلجأ إلى التعدي؟! وكم من فاشل يرى في النجاح ازدراء بـه فيلجـأ إلـى التـشفي ؟! وهكذا...

إن التحاسد على الصغائر له مجاله بين الصغار، كما أن التنـافس علـى "المعالي" له وجوده بين الكبار، ومن ذلك كله يقـدح زنـاد التعـدي والتحـدي والتشفي، وبذا تمتلئ الحياة سيئات وجنايات .. ولو أن الإنسان حاسـب نفـسه لوجد فيها بيانات و "كيرنات" ترتفع وتنخفض في مستوياتها تبعًا ليقظـة الـنفس وملاحقتها بألا تترك الحبل على الغارب، وأن تتبع السيئة الحـسنة، وأن تقـدم الاعتذار لأهله، فتسقط بذلك العناء عن الآخر، ويتحقق قول المصطفى {ﷺ} فيما يرويه الترمذي "حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن تـوزن عليكم "وفي ذلك صحوة لحق الآخرين.

هذا عذر "بدي" اعتذار !!

مادة عذر وأعذر واعتذار حولها كلام كثير في قواميس اللغة لكن لتوضيح المراد فقط فإننا نأخذ مثالاً من القرآن الكريم، حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَجَآءَ

ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ ﴾ [سورة التوبة/آية ٩٠] يقول صاحب مختار الصحاح: يقرأ مشددًا ومخففًا، فالمعذِّر بالتشديد قد يكون محقًا وقد يكون غير محق، فالمحق هو في المعنى المعتذر لأن له عذرًا ولكن التاء قلبت ذالاً وأدغمت في الذال ونقلت حركتها إلى العين، وأما الذي ليس بمحق فهو المعذر (بتشديد الذال) على جهة المفعل، لأنه الممرض والمقصر يعتذر بغير عذر، وقرأ ابن عباس "وجاء المعذرون" بالتخفيف من أعذر وقال: والله لهكذا نزلت، وكان يقول: لعن الله المعذرين "تشديد الذال" كأن عنده أن المعذر بالتشديد هو المظهر للعذر، اعتلالاً من غير حقيقة، والمعذر بالتخفيف الذي له عذر حقيقي.

إن مختلقي الأعذار الذين هم على شاكلة (المعذرون) بالتشديد كثر وتمتلئ بهم الحياة، حيث يقدمون أعذارًا هي أوهن من بيت العنكبوت، وما دام أن الإنسان يقدم عذرًا أي عذر لا يبنى على الصحة والصدق، إنما هو اختلاق وكذب، وغرضه في ذلك النجاة من تصرف خاطئ أو تعد آثم، فإنه أحرى به وأولى أن يجئ ذلك على شكل اعتذار مؤدب، ففي قبوله ارتياح، وكلمة اعتذار صادقة خير من "حزمة" أعذار واهية وكاذبة.

فاصفح الصفح الجميل

الصفح صفة حضارية منبعها الدين الإسلامي، وهي شعور نفسي بضرورة التسامح والتنازل عن الحق، سواء تحقق فيهما العذر والاعتذار أو لم يتحقق، وهي تدل على أدب إسلامي رفيع، لذلك فإن القرآن يحث عليها بقوله تعالى: {وأن تعفوا أقرب للتقوى} وكذلك قوله تعالى: {فاصفح الصفح الجميل} لذلك: يعتبرها البعض من علامات "الفتوة"، حيث يقول الفضيل بن عياض: الفتوة: الصفح عن عثرات الإخوان، ويقول صاحب المنازل شيخ الإسلام الهروي – رحمه الله – بأن هناك مظاهر للفتوة منها "أن تقرب من يقصيك،

وتكرم من يؤذيك، وتعتذر إلى من يجني عليك سماحة لا كظمًا ومودة لا مصابرة".

إن نماذج الصفح الجميل كثيرة في سلفنا الصالح نذكر هنا نموذجين فقط لنعرف قيمة هذا الخلق الكريم، وعمق تطبيقه عند الصالحين:

- يروى أن زين العابدين بن الحسين رضي الله عنهما أن غلامه كان يصب له الماء بإبريق مصنوع من خزف (من طين) فوقع الإبريق على رجل زين العابدين فانكسر، وجرحت رجله، فقال الغلام على الفور – يا سيدي – يقول الله تعالى: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾ فقال زين العابدين: لقد كظمت غيظي، ويقول ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ فقال: لقد عفوت عنك، ويقول ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة آل عمران/آية ١٣٤] فقال زين العابدين: أنت حر لوجه الله!!.

- يقول ابن القيم حكاية عن ابن تيمية قدس الله روحه "جئت يومًا مبشرًا له بموت أكبر أعدائه، وأشدهم عداوة وأذى له، فنهرني وتنكر بي واسترجع، ثم قام من فوره إلى بيت أهله فعزاهم وقال: إني لكم مكانه، ولا يكون لكم أمر تحتاجون فيه مساعدة إلا ساعدتكم فيه، فسروا به ودعوا له وعظموا هذه الحال منه"، ثم علق ابن القيم على هذه الحادثة قائلاً: معنى الاعتذار إلى من يجني عليك: أنك تنزل نفسك منزلة الجاني لا المجني عليه، والجاني خليق بالعذر.

جئت ربيعاً يا رمضان !!

(١٤١٧/٩/٣هـ)

يقدم رمضان هذا العام كعريس قد تزينت له الأرض بفستانها الأخـضر، وقد رشت عليه السماء من عطرها (الماء) ونثرت عليه الأجواء مـن روحهـا (الهواء) فدبت فيها الحياة، وانتعشت نفوس الأحياء، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [سورة الشورى/آية ٢٨].

وكحقيقة فإن الذي يستقبل هذا الصيف الكريم في هذا العـام إنمـا هـو "الربيع" نفسه لذلك فإنه يختال حسناً ودلالاً، ويتمايل بجذعه ويتراقص بأطرافـه ويحرك أكتافه ... يفعل ذلك كله فرحًا ونشوة بقدوم سيد الشهور، وأنه لم يكـن في هذا العام إلا من حظه، فليس هناك شتاء قارس ولا صيف قارض، وكما أن الربيع ينبه من كان بالأمس نائمًا: أن استيقظ لجميل هذا الجـو، واسـتفد مـن ربيعه، فكذلك رمضان يوقظ النفوس النائمة التي كانت خلال العام بعيـدة عـن ربها وسادرة في غيها ولأهوائها، ليقول لكل واحد: قم يا نائم، ووحد الدائم فـإن هذا الشهر ربيع جاء في ربيع، وفرح من أفراح الروح حل علينا أيامًا، وحتمًـا كما جاء سيروح.

○ **دنيا ربيع ... دنيا ربيع !!**

قبل أن أعرف أن هناك أغنية بعنوان: دنيا حظوظ .. دنيـا حظـوظ ... سمعتها من رجل بسيط في أحد الأسواق قبل سنوات عندما رأى "بنية خواجيـة حليوة" ويصحبها رجل أسود دميم المنظر فأخذ ينظر إليهما وهو يهـز رأسـه ويردد: دنيا حظوظ... دنيا حظوظ ... فأخذت أضحك لصورة الإبـداع التـي

يظهرها هذا المسكين وكله ألم وحسرة على حظه التعيس وكيف أن غيره يحظى بملكة الجمال، وهو لا يحظى حتى بنظرة الجِمال (بكسر الجيم).

المهم حدثت بذلك أحد أصدقائي فأخبرني بأن هذه أغنية فعلى غرارها نقول: دنيا ربيع .. دنيا ربيع، ذلك لأن مدينة جدة وما حولها مربعة وهذه "هزوز".. هذه "هزوز".. لكن الأهم من ذلك هو أن يعرف القارئ أن لاستنبات النبات وظهور الربيع قصة ذات فصلين، الفصل الأول: وهو ما يتعلق بالأرض، حيث أنها قبل بزوغ فجر الربيع، وقبل أن تعانق قطرات المطر حبات التراب تكون ميتة لا حياة فيها كما قال تعالى في سورة يس/آية ٣٣: ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا ﴾ والأرض في غياب حبيبها وعشيقها الماء تحزن كثيرًا، وتجف تربتها وتنزوي هامدة الأحاسيس ميتة الأعصاب حتى ما تضمه في أحشائها من الأحياء مثل البكتيريا والكائنات الأخرى يشاركونها الحزن والألم لفقدان عائلها "الماء"... إلى أن يكتب الله لها أن تشم عطر السماء ورائحة المطر، فتحرك كل ما في داخلها من الكائنات الحية، وما عليها من الأحياء لاستقبال نسمات الرحمة، فتنفض عنها كل دواعي الكسل، وتلبس "بدلة" العمل والإنتاج، وتنبت من كل زوج بهيج، كما قال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴾ .

هذا هو الفصل الأول وهو ما يخص الماء والمطر ودوره في النبات والإنبات، أما الفصل الثاني: وهو ما يخص النبات نفسه وكيف يتم "فرد" البساط الأخضر في الربيع؟!

الحياة في النبات تبدأ كجنين صغير، تحتضنه الحبة أو النواة وتختزن له من الغذاء ما يكفيه أثناء الإنبات والنمو، وتعيش هذه الأجنة في الأرض إلى أن

تتهيأ لها الظروف المناسبة من حرارة وماء، فينغلق الحب والنوى وينمو الجنين كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ [سورة الأنعام/آية ٩٥].

لكن يبقى هناك تساؤل قائم: كيف يتم تكوين جنين النبات؟

إن النبات كالحيوان تمامًا، فهناك عملية للتزاوج كاملة تتم بين الأعضاء المذكرة والمؤنثة حتى يتشكل الجنين، حتى أنه في بعض أنواع النبات تكون رائحة حبوب اللقاح (إنتاج الذكر) شبيهة إلى حد بعيد برائحة المني الموجود في الإنسان!! المهم هناك صور عديدة لالتقاء الأحبة "الأزهار المذكرة والأزهار المؤنثة"، وهناك من اللقاءات ما تكفيه الريحة فقط وتقبيل الخد والسلام من بعيد، وهناك ما لا يتم فيه تكوين الجنين إلا من خلال الضم ... وهناك ما تحتاج فيه الزهور إلى واسطة، كما يحدث في التلقيح الصناعي للإنسان تمامًا، لكن الواسطة هنا ليس الطبيب، إنما الحشرات التي خلقها الله – سبحانه وتعالى – في هذا الكون الفسيح، حيث تدخل الحشرة إلى مقصورة الزهرة المذكرة وتسجن بداخله، وتغطي الزهرة جدارها الداخلية بمادة شمعية منزلقة يتعذر معها على الحشرة أن تثبت أقدامها لذلك فإن الحشرة تتخذ موقفًا جنونيًا بأن تدور بصورة غير متعلقة داخل المكان، فيؤدي ذلك إلى تعلق حبوب اللقاح بجسمها، ثم تفتح بعد ذلك الزهرة تدريجيًا لتنطلق الحشرة فتحط رحالها على مقصورة الزهرة الأنثى، حيث تسجن في داخلها سجنًا دائمًا حتى تموت بعد أن أدت رسالتها بتوصيل حبوب اللقاح إلى الزهرة الأنثى، ولقحت بها البويضات الموجودة في داخل الزهرة فسبحان من أعطى كل شيء خلقه ثم هدى.

○ **وقفة مع "الأخضر"**

عندما فاز المنتخب السعودي "الأخضر" وحصل على كأس آسيا كنت يومها أود أن أكتب شيئًا في ذلك، إلا أنني لم أتمكن لانشغالي خاصة بالظلم الذي

وقع على اللاعب حسين عبدالغني، وحثني ذلك على أن أكتب عن الظلم بشكل عام، وكيف أنه لا يكفي العذر وحده لتبرير الظلم أيًا كان فكانت المقالة "هذا عذر" بدي "اعتذار" لكن عوضني الله أن أكتب في هذه المقالة عن الأخضر الطبيعي... أخضر الربيع .. الذي تتحول فيه الأرض إلى مساحات خضراء، واللون الأخضر كما هو معروف يرد الروح، خاصة إذا صحبه الماء والوجه الحسن، وقد ذكر القرآن هذه الخضرة بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ [سورة الحج/آية ٦٣].

وهناك وقفتان جميلتان مع الأخضر:

- **أولهما** اللون "اليخضور" ويسمى الكلوروفيل داخل النبات، وهو لون على درجة عالية من الصداقة مع أشعة الشمس لأن بلاستيداته الخضراء تحتوي على الكلوروفيل الذي يأسر أشعة الشمس ويمتصها في داخله، ويحولها من طاقة ضوئية إلى طاقة كيميائية، والتي يتم من خلالها تصنيع جزيئات السكر الأحادية في جسم النبات بوصول الماء إليها وثاني أكسيد الكربون من الجو وينطلق في نفس الوقت الأكسجين وقد جاء ذكر ذلك في قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا﴾ [سورة الأنعام/آية ٩٩].

- **ثانيها** الإعجاز العلمي في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾ [سورة يس/آية ٨٠] يذكر الأستاذ محمد كامل عبدالصمد صاحب كتاب الإعجاز العلمي في الإسلام بأن في هذه الآية إعجازًا علميًا يجهله كثير من الناس، خاصة من يفهم الآية على ظاهرها دون العمق العلمي لها، الذي هو باختصار أن النباتات الخضراء

تمتص أشعة الشمس وتختزنها في داخلها علـى هيئـة طاقـة مـصنعة، ومحفوظة في صور شتى منها: سكريات مثل قصب السكر، نشويات مثل البطاطس، أنسجة سيلولوزية مثل القطن، أو تتحد مع بعض المواد مثـل اللجنن فتكون طبقات خشبية تتراكم فوق بعضها البعض في جذع الشجرة أو فروعها حتى إذا ما احتاج إليها الإنسان أشعل هذه الطبقـات الخـشبية فتنطلق الطاقة المختزنة التي تكونت أصلاً بفعل اليخضور، وامتـصاصه لأشعة الشمس.

رمضان: ربيع المؤمن

جاء في الحديث أن الرسول {ﷺ} يقول: الشتاء ربيع المؤمن طـال ليلـه فقامه، وقصر نهاره فصامه، أو كما قال عليه الصلاة والسلام، وحيث أنه فـي رمضان يصوم الناس نهارًا ويقومون ليلاً فإنه يتحقق بذلك له معنى الربيـع، إن الربيع في حقيقته البيولوجية شبيه بالربيع في حقيقته السيكلوجية حيث الأول هو تفاعل البذورة الكامنة والهامدة في بطن الأرض، حيث لا حياة فيها ... تفاعلهـا مع ماء السماء النقي لينتج عن ذلك الحياة... الحياة الكاملة بكل معانيها، وكذلك فإن ربيع النفوس يكون في أحسن صورة في رمضان، حيث أن نفحـات مـن رحمة السماء تجئ على النفوس الميتة الهامدة فتحييهـا كـالمطر – تمامًـا – للأرض ... إنه باب مفتوح لتكتـسي الأرواح بخـضار الحـسنات والأعمـال الصالحة ذلك فإن الرسول {ﷺ} في بداية رمضان يعرفنا بفضل هذا الشهر، كما جاء ذلك في حديث عبادة فيما يرويه الطبراني حيث يقول عليه الصلاة والسلام {أتاكم شهر رمضان شهر بركة، يغشاكم الله فيـه برحمتـه، ويحـط الخطايـا، ويستجيب الدعاء، ينظر الله إلى تنافسكم فيه، ويباهي بكم ملائكته، فأروا الله من أنفسكم خيرًا، فإن الشقي من حرم رحمة الله}. وقد خطب الرسول {ﷺ} صحابته

في آخر يوم من شعبان يروي ذلك سلمان الفارسي – ﷺ – فيما أخرجه الترمذي في سننه، حيث يقول: "خطبنا رسول الله {ﷺ} في آخر يوم من شعبان فقال: يا أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم شهر مبارك، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر، جعل الله صيامه فريضة وقيام ليله تطوعًا. من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فريضة فيه كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه، وهو شهر الصبر، والصبر ثوابه الجنة، وشهر المواساة، وشهر يزاد في رزق المؤمن، من فطر فيه صائمًا كان له مغفرة لذنوبه، وعتق رقبته من النار، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء، قلنا: يا رسول الله ليس كلنا يجد من يفطر الصائم فقال رسول الله {ﷺ}: "يعطي الله هذا الثواب من فطر صائمًا على مذقة لبن، أو تمرة، أو شربة من ماء، ومن أشبع صائمًا سقاه الله من حوضي شربة لا يظمأ حتى يدخل الجنة، وهو شهر أوله رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النار".

وهل لبدور قد أفَلْن طلوع ؟!

(١٤١٧/٩/٢٤هـ)

"السنا" كلمة تعني ضوء القمر، وضوء القمر يبدأ هلالاً خافتًا ثم يزيد يومًا بعد يوم حتى إذا "انشكح" تلألأ في السماء وانتشر في الفضاء بل يتمدد ويتمغط حتى يغدو في شبابه بدرًا تامًا وقمرًا منيرًا، وعندها "يحلو" النظر إليه، والتمعن فيما يضعه على شفتيه من نور، حتى أن الأرض لتُفتتن بطلعته البهية فتخطبه لنفسها، وتأسره في حبها، ليصبح شريك حياتها، وبدونه فإنها تذبل وتصطك أسنانها وتعيش في ظلامها.

وقد خلوت ليلة من تلك الليالي مع البدر فغمست قلمي في "روج" خديه و"حمرة" شفتيه وسطرت بهما هذه المقالة، وما أن عزمت على إرسالها حتى تمعنت في وجه القمر مرة ثانية، فإذا به قد أحدودب ظهره وخَفَتَ ضوؤهِ، وإذا بالليالي العشر الأخيرة من رمضان قد طلت علينا وعندها تذكرت قول الشاعر:

وهل بعد إعراض الحبيب تواصل
وهل لبدور قد أفلْن طلوع

البدر وليلة القدر

بعد أن بدأ العد التنازلي لرحيل البدر، أقبلت علينا الأيام والليالي الفضيلة لشهر رمضان المبارك، وهي عشرته الأخيرة، وقد حاولت أن ألمّ شتات أمري، وأجمع حبر قلمي، لأكتب شيئًا عن هذه الأيام العشرة، خاصة أن الله – سبحانه وتعالى – شرفها بليلة هي خير من ألف شهر، وأفرد لها سورة كاملة في القرآن الكريم. وقد جاء في مسند الإمام أحمد عن أبي هريرة ﷺ عن النبي {ﷺ} أنه قال: "إن الملائكة تلك الليلة في الأرض أكثر من عدد الحصى" وقد ورد أيضًا عن عبادة بن الصامت عن النبي {ﷺ} قال: "وإن أمارتها أن الشمس تخرج

صبيحتها مستوية ليس لها شعاع مثل القمر ليلة البدر، لا يحل للشيطان أن يخرج معها يومئذ"، ويعطي الرسول {ﷺ} استعدادًا خاصًا لهذه الليالي العشر، فقد روت السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي {ﷺ} يخلط العشرين بصلاة ونوم، فإذا كان العشر – يعني الأخيرة – شمر وشد المئزر.

إن تحديد ليلة القدر جاءت فيه آراء كثيرة من السلف رضوان الله عليهم وقد خلصت فيه إلى الآتي:

- أنها تنتقل في إحدى الليالي العشر (الأخيرة) سواء الشفع منه أو الوتر، ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن النبي {ﷺ} قال: "تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان" وقد حكى عن الحسن ومالك أنها تُطلب في جميع ليالي العشر.
- أنها تنتقل في إحدى ليالي الوتر، ويقول ابن رجب الحنبلي في كتابه: بغية الإنسان في وظائف رمضان: قال الأكثرون: بل بعض لياليه أرجى من بعض، وقالوا: الأوتار أرجى في الجملة، وقد ورد في ذلك أحاديث كثيرة منها: ما ذكرته عائشة رضي الله عنها في رواية البخاري: تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان.
- وقد ذكر الإمام أحمد والنسائي والترمذي من حديث أبي بكر أن الرسول {ﷺ} قال: "التمسوا في تسع يبقين، أو سبع يبقين أو خمس يبقين أو ثلاث يبقين أو آخر ليلة".
- إنها تكون في سبع بقين من رمضان، وقد ورد ذلك في حديث أبي ذر كما جاء في المسند وكتاب النسائي – الذي سأل فيه الرسول {ﷺ} عن ليلة القدر فقال عليه الصلاة والسلام (التمسوها في السبع الأواخر)، وفي مسند الإمام أحمد عن جابر أن عبدالله بن أنيس سأل رسول الله {ﷺ} عن ليلة القدر وقد خلت اثنتان وعشرون ليلة، فقال رسول الله {ﷺ} "التمسوها في

هذه السبع الأواخر التي بقين من الشهر" وفي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رجالاً من أصحاب النبي {ﷺ} رأوا ليلة القدر في المنام في السبع الأواخر، فقال رسول الله {ﷺ}: "أرى رؤياكم قد تواطأت في السبع الأواخر، فمن كان متحريها فليتحرها في السبع الأواخر".

- إنها تكون ليلة السابع والعشرين حيث روى الإمام أحمد قال: حدثنا يزيد بن هارون، أنبأنا شعبة عن عبدالله بن دينار عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله {ﷺ} من كان منكم متحريها فليتحرها ليلة سبع وعشرين، أو قال "تحروها ليلة سبع وعشرين.. وحديث أبي ذر أن النبي {ﷺ} لما قام بهم ليلة ثلاث وعشرين وخمس وعشرين، وسبع وعشرين، ذكر أنه دعا أهله ونساءه ليلة سبع وعشرين خاصة".

- والبعض يقول بأنها أرجى أن تكون في ليلة الوتر، التي توافق ليلة الجمعة، كما ذكر ذلك ابن رجب الحنبلي في كتابه.

على أية حال أن من كرم الله وجوده أن يربطنا بعشرة أيام فقط خلال العام كله لننال كل ما نريده منه حيث أن هذه الليلة لا يوافقها مسلم يدعو ربه إلا أعطاه الله سؤله وقد ورد عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها سألت رسول الله {ﷺ} أن وافقت ليلة القدر ما أقول فيها؟! قال: "اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني".

وجاء التأكيد لبعض الليالي مثل الأوتار، أو ليلة السابع والعشرين، كل ذلك يجيء من باب التحديد الأكثر، والذي يطلب فيه التحري والحضور والتوقع والالتماس وذلك شبيه بساعة الاستجابة في يوم الجمعة، فمن أتى بالدعاء في جميع الأوقات المتوقعة في يوم الجمعة، فقد حصل له المطلوب، وإلا سيكون حظه من ذلك طبقًا لموافقة تلك الساعة، وكذلك ليلة القدر فمن أتى بالعشر الأواخر كلها فقد حصل له بإذن الله المطلوب، وإلا سيكون حظه مرتبط

بالموافقة لتلك الليلة، هذا بالإضافة إلى أن في التحديد في بعض الأحاديث إعطاء فرصة لمن لا يستطيع من العجزة أو المرضى المداومة المستمرة في إحياء الليالي العشر كلها، حيث ورد في مسند الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنه: أن رجلاً قال يا رسول الله إني شيخ كبير عليل يشق عليَّ القيام، فمرني بليلة يوافقني الله فيها لليلة القدر، قال: "عليك بالسابعة".

توديع رمضان

إن شهر رمضان بدخول ليالي العشر الأواخر منه يكون قد أذن بقرب الرحيل ولم يبق منه إلا القليل، والعمل كما يقولون بالخواتيم، وما هي إلا أيام وتنطوي صفحة هذا الشهر الكريم، وعندها تردد مع الشاعر قوله:

تذكرت أيامًا مضت ولياليا
خلت فجرت من ذكرهن دموع
ألا هل لها يومًا من الدهر عودة
وهل لي إلى يوم الوصال رجوع

إن عودة ليالي رمضان أكيدة بإذن الله، لكن هل إلى يوم عودته رجوع؟! وهذا سؤال طويل عريض يدفن في طياته أرتالاً من أجساد البشر الذين يذهبون ولا يعودون، حيث يطويهم النسيان، ويبقون أسرى التراب، فنسأل الله – سبحانه وتعالى – أن يمنحنا في نهاية هذا الشهر الكريم جبرًا لكسرنا، وقبولاً لتوبتنا، وعفوًا عن أخطائنا كما قال الشاعر:

عسى وعسى من قبل يوم التفرق
إلى كل ما نرجو من الخير نرتقي
فيجبر مكسور ويقبل تائب
ويعفي خطاء ويسعد من شقي

روي عن الإمام علي ﷺ: أنه كان ينادي في آخر ليلة من شهر رمضان: ياليت شعري من هذا المقبول فنهنيه، ومن هذا المحروم فنعزيه، وعن ابن

مسعود أنه كان يقول: من هذا المقبول منا فنهنيه، ومن هذا المحروم منا فنعزيه، ونحن بدورنا نقول لكل مسلم في هذه الأرض بطاقة تهنئـــة للمقبـــولين مقـــدمًا، راجين من الله أن يجبر كسر المحرومين بالقبول في الأعوام القادمة بإذنه تعالى.

هـــلال شـــوال

يقول الله سبحانه وتعـــالى: ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴾ [سورة يس/آية ٣٩]، والعرجون القديم هو أصل العنق إن عتق ويـــبس وانحنـــى، وهو دلالة نهائية على موت الشهر شكليًا، حيث يلفظ الشهر آخر أنفاسه، وهـــو في صورة ذلك العنقود للرطب الذي يبس وانحنى، ثم بعد هذا يبديه الله ســـبحانه وتعالى جديدًا في أول الشهر التالي، وهذا ما سيكون لشهر شوال، حيث ســـيهل هلاله وتقبل على الناس بهجة العيد السعيد، الذي سيطل علينا بأضوائه وأنواره، ومحبته وبهجته، وسروره وحبوره، يغرد علينا بكلماته الـــصباحية الحلـــوة: الله أكبر الله أكبر ... لا إله إلا الله والله أكبر ... الله أكبر ولله الحمد.

وبعد انقضاء الصلاة ينصرف الجميع إلى منزل كبيـــر العائلـــة بقـــصد المعايدة، حيث الجو الاجتماعي المفعم بصلة الرحم ورؤية الأقارب، والمحـــاط بفلذات الأكباد من البنين والبنات، والمعطر بنسمات الحب والتقبيل، وفي عرس كهذا تمتزج فيه روائح الطيب والعطور بحبيبـــات البهجـــة والـــسرور. أزف – مبكرًا – التهنئة العيدية لمقام الأمة الإسلامية في كل مكان، وإلى هـــذا الـــوطن الغالي بشكل خاص، وأن تنطلق حروف المعايدة دعاء لله بأن يحفظ على هـــذه البلاد أمنها، وأمانها، ودينها، وقيادتها، ليبقى العطاء مرفرفًا على ربوع الـــبلاد، وأن يرزق الجميع عودًا حميدًا، وعسانا وإياكم من عواده، وكل عام وأنتم بخير.

أيها المائلون: اعتدلوا

(١٤١٧/١٠/١٦هـ)

الاعتدال سمة جميلة، وصورة مضيئة، وهو يعني التوسط، أما الميل – أي ترك التوسط والجنوح إلى حيث الرغبة الظالمة – فذلك شر وصورة قائمة للإنسان إلا ما كان منها ميل الحبيب على حبيبه، ففي هذه الحالة فإنه ميل عادل على اعتدال، وجنوح ناصف على إنصاف، وفي ذلك إشراق وأنوار، وهو تأليف لروحين، وأسر لقلبين، وبهجة لمحبين، وسعادة لنفسين.

اعتدل كثير من الناس في حياتهم خلال فترة شهر رمضان المبارك، وبعدوا عن الظلم مخافة أن يقع منهم، وهم يؤدون فريضة الصيام، والكثير من الناس تعلقوا بربهم صلاة وقيامًا،والبعض من ذلك الكثير انفرد بربه خلال الليالي العشر الأخيرة اعتكافًا ودعاء ... وعاش معظم الناس في اعتدال تام لا ترى لهم عوجًا ولا أمتًا.

شوّال: بداية الأعمـــــال

مع بداية الأسبوع الماضي بدأنا حياة العمل الذي نام خلال شهر رمضان. والناس في الإقبال على العمل صنفان:

- صنف يود لو أن العام كله نوم وكسل، وهذا النوع هو الرديء من الناس، وهو الذي في الغالب ستظهر عليه أعراض "الميل" الذي سنتحدث عنه.
- صنف قد ضاق ذرعًا بالنوم والكسل، وتراه ذا نفس توّاقة لأن يعود إلى عمله وهو على شوق، لأن يبدأ عمله وهذا النوع من الناس هو الذي يستشرف "الاعتدال" في حياته.

على أية حال نخشى أنه بخروج رمضان تنفرط السبحة، وتبدأ مظاهر وملامح الميل، والانحناء، والاعوجاج، بالظهور مرة أخرى من جديد، والميل

كما ذكرنا بمعنى التعدي والجنوح يعتبر مرضًا نحتاج إلى تشخيصه، وتحديد زاويته، ومعرفة نصف قطره ومحيطه ومساحته ونقطة تماسه، وأن نحدد بالضبط قواعده، وأن نرسم نماذج منه، ونعطي بعض تطبيقاته ... كل ذلك نحن بحاجة إليه ونحن في بداية الانطلاقة بعد رمضان المبارك، لنعرف الشر المتمثل في "الميل" ونبتعد عنه حتى نصبح في "اعتدال" يمنحنا حق المشية السويّة.

ميل الصفوف

الميل الذي نقصده هنا: هو الميل الذي يخالف الاستقامة، وأقرب مثال يوضح ذلك هو اعوجاج الصفوف عند الصلاة، وما يظهر عنه من خلل في التسيب والتنظيم مما يجعلنا أمام صفوف ذات بروز ونتوءات، وتقديم وتأخير، وثغور وفرجات، لذلك فإن من السنة أن "يشيك" الإمام، ويبالغ في التأكيد إلى أن يتأكد من تسوية الصفوف، وقد ورد عن النبي {ﷺ} أحاديث كثيرة في التأكيد على هذا الموضوع، مما يجعلنا ننشد الاستقامة في كل أمورنا، ومما يحثنا أن نبالغ في طلب الاعتدال، وعدم الميل، وفي ملاحقة الإنصاف لنكسبه والظلم لندحره، فأرواحنا وأنفسنا وعقولنا وتصرفاتنا وأعمالنا كلها بحاجة إلى أن نقيم الاعتدال، ونحارب الميل.

إن هناك من الناس من يهوّن قضية تسوية الصفوف وتعديلها وصفها. والرسول {ﷺ} يوضح خطورة هذا الموضع بأحاديث كثيرة منها ما رواه مسلم عن ابن مسعود ﷺ قال: كان رسول الله {ﷺ} يمسح مناكبنا في الصلاة، ويقول: "استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم". بل جعل عليه الصلاة والسلام تسوية الصفوف من إقامة الصلاة، وأن أي مظهر من مظاهر ميلها واعوجاجها دليل على عدم إقامة الصلاة عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله {ﷺ}: "سووا صفوفكم فإن تسوية الصفوف من إقامة الصلاة" رواه البخاري، وربط عليه الصلاة والسلام مظاهر اختلاف القلوب والوجوه بين المصلين بما يلحظ عليهم في

تسوية صفوفهم من نتوءات وتقديم وتأخير واعوجاج، حيث يروي مسلم عن النعمان بن بشير أن رسول الله {ﷺ} كان يسوي صفوفنا، حتى كأنما يسوي بها القداح، حتى رأى أنا قد عقلنا عنه ثم خرج يومًا فقام حتى كاد يكبر، فرأى رجلاً باديًا صدره من الصف فقال: "عباد الله لتسوون صفوفكم أو ليخالفن الله بين وجوهكم".

ولعل السبب في مبالغة الرسول {ﷺ} في محاربة ميل الصفوف واعوجاجها، وترك الثغرات والفرجات بين المصلين، إنما هو محاربة للشيطان نفسه كما ورد في الحديث، حيث إن الشيطان لا يتسلل إلا من مواطن الضعف، والثغرات الهشة، وحيث تتاح له الفرصة لملاحظة الميل والاعوجاج والظلم، وترك ثغرات لعدم التفاهم، وإتاحة الفرصة للشيطان أن يتسلل من خلال الفرجات الميلية، فإن ذلك يمكنه من إبداع طرق جديدة وفاعلة في إحداث الشروخ، والتصدعات بين الناس.

ميل النفوس المريضة

يقول الله سبحانه وتعالى في سورة النساء/آية ٢٧: ﴿وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا﴾، إن النفوس المريضة لا تكتفي بميل نفسها وعيشها في الوحل إنما تريد تعميم ذلك الميل، وأن ينطلق السعار الجنسي المحموم بحيث تلتهب معه الأعصاب وتتأجج القلوب، ولا تسلم منه الأعراض، وأن تفتح له أبواب اختلاط الرجال بالنساء. إن هناك من لا يحلو له – تخطيطًا وشهوة – إلا وجود الإناث مع الرجال وإلصاق مقدمات الفساد "وأباذيره" وإهدار عفة المرأة وحيائها، بالتقدم والرقي والفهم الحضاري، مع العلم بأن ذلك ميل عظيم نحو ما يسخط الله، إن ما تقدمه بعض قنوات الفضاء اليوم لا يعدو أن يكون إلا صورة من صور ذلك الميل العظيم، وتأجير بعض ممتلكات المرأة للدعاية دليل على ذلك خاصة "بتخسر".

إن عفة المجتمع المتمثلة في نسائه مسؤولية الرجل والمرأة معًا وتركها للذين يتبعون الشهوات إيذانًا بالانحدار نحو الميل العظيم ومنزلق المنحدرات خطير بطبعه، والاقتراب منه لعب بالنار، والمجتمعات التي انحدرت اليوم تعيش في وحلها، وتسبح في نتانة ما اقترفت يداها، فهل نتعظ؟!

ميل الزوج المعدد

يقول الله سبحانه وتعالى في سورة النساء/آية ١٢٩: ﴿فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ﴾، هذا الميل من نوع الميل الخاص، وهو حتمًا ليس المقصود به ميل القلب، لأن الزوج المعدد لا يملك أن يميل قلبه نحو زوجة دون أخرى. لكن الميل هنا هو ميل الحقوق والواجبات، فالميل نحو زوجة صغيرة "حليوة" تفتح النفس في سن المراهقة الثانية للرجل "ما بين ٥٠ – ٦٠ سنة" يجعل بعض الأزواج ينسى الأولى، التي قضى معها أحلى لياليه وأيامه، وإن عذر، في ميل القلب، فهل يعذر في ميل الحق والواجب؟! ألم يقل سبحانه وتعالى ﴿فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ﴾ وهذا من معرفته سبحانه وتعالى بالنفوس وضعفها، والميل هنا ينتج عنه سلبية اجتماعية، بحيث تصبح الأولى كالمعلقة لا هي زوجة ولا هي مطلقة، وقد ازدادت الشكوى من هذا النوع من الميل، مما يدل على الاستخدام السئ لرخصة التعدد الذي أباحه الله للرجل، وقد اشتكت ذات يوم امرأة من تصرف من هذا النوع، فأرشدت لاستخدام طريقة".....حتى إذا ما عملتها، وجدت زوجها يعطيها حقوقها، ويميل إليها كل الميل، مما يدل على أن ميلها عنه هو سبب ميله عنها بل سبب زواجه الثاني.

ميل الزاوية الحادة

سمينا هذا الميل بميل الزاوية الحادة لأنه يجيء من بوابة الظلم، ويصدر عن تسلط وقوة، فهو قد يكون من كبير أو صغير أو موظف أو مدير أو حتى من كفيل، وأضرب مثلاً هنا على الكفيل يوضح كيف أن ميل الزاوية الحادة

قاس على النفس – مع العلم بأن المائل لا يشعر به – تقدم لي أحد القراء بقصة يود مني عرضها لإنصاف المظلوم، وهو أحد الوافدين الذين عاشوا أكثر من عشر سنوات تحت كفالة أحد المواطنين، وما أن ترعرع ذلك المكفول، وكوّن بيتًا وسيارة وشيئًا من المال حتى استولى عليه كفيله بقضه وقضيضه، وتنكر له، وسحب إقامته، وألب عليه، وكان ذلك ميلاً ظالمًا وهكذا هو ميل الزاوية الحادة حاد على النفس، مما يجعلها تلجأ إلى الله بالدعوة على الظالم، وعندها فإنه ليس بينها وبين الله حجاب، وهي قادمة تمطر سخطًا وانتقامًا.

ميل الأعمال

المائل في عمله وأداء وظيفته يمكن أن تلحظه من بعيد، فهو كالجدار المائل الذي يكاد أن يسقط. وزاوية ميل الأعمال تتفاوت، فبعضها يكون في الأمانة، وبعضها يكون في الأداء، وبعضها منفرج، وبعضها حاد، وما نلاحظه من رداءة الأداء والعمل لدى بعض الموظفين، إنما هو بسبب "الميل المركب" والتقارير غير الصادقة التي ترفع ولعدم وجود أداة لتقييم الميل، وكذا الميل عند التوظيف للواسطة والقرابة، واختيار الرديء وترك المستحق الكفء.

معالجة الميل

هناك صور عديدة أخرى للميل لم نذكرها لضيق المساحة، لكن المهم كيف نعالج الميل؟! إن تحديد الميل وتشخيصه ومعرفة زاويته، وكيف تم إسقاطه، إنما يتم من خلال "المائل" نفسه والمشكلة كما يقولون "إن الجمل لا يرى عوج رقبته" والميل إذا استمرأه الشخص أدى إلى ظهور انحناءة مستمرة، وتقوس يصعب معه المناقشة وقبول النصيحة، وتكمن المعالجة في المراجعة المستمرة لعيادات القلب والضمير، وعندها فإن الأمل في الاعتدال معقود وإلا فإننا سنستمر ننادي أيها المائلون: اعتدلوا !!!

تحية للمجلة العربية

(١٤١٧/١٠/٣٠هـ)

الأديب العفوي النشيط صاحب "المرافئ" وذو الحرف الدافئ الأستاذ حمد القاضي، استطاع من خلال توليه رئاسة تحرير مجلة "المجلة العربية" أن يلبسها روحًا جديدة تجمع بين الأصالة والمعاصرة، مما يجعلها "تقلع" من الرياض بـــلا أجنحة لتحط رحالها على مدرجات القلوب والعقول في العالم العربي، فهي كمـــا هو شعارها "إلى كل الناطقين بالضاد ترحل".

تابعت – ولا زلت – منذ فترة بعيدة هذه المجلة، ومعظم لقـــاءاتي معهـــا تكون ليلاً، خاصة قبيل النوم، حيث أبدأ بكشف النقاب عنها "الغلاف" لأتمعن في حمرة وجهها "ساحة الحوار" ثم أضع أذني على قلبها "كلمـــة العـــدد" فـــأعرف نبضها الذي يقودني إلى بقية أعضائها "مواضيع الكتاب والكاتبات" ويصل بـــي الحال أحيانًا إلى أن أتلمس أناملها "القصص" وأتحسس أطرافها "الشعر" وأغازل أجفانها "اللقاءات"، كل ذلك يحدث ليلاً مما يضطرني أحيانًا إلى تركهـــا علـــى صدري، أو قد تستقر على فراشي، فأسرع لإبعادها لكي لا أتهم بأنني بعد مللت صحبتها.

على أية حال وددت لو أن الحال من التلمذة على هذه المجلة يستمر. لكن صديق الحرف والكلمة الأستاذ القاضي، أصر عليَّ بخطابه الأخير أن لابد مـــن المشاركة، والمشاركة في مثل هذه المجلات المتميزة تقتضي العمق الأدبي للقلم، وأنا لست إلا صاحب قلم علمي، وليس بينـــي وبـــين الأدب إلا نـــسمة هـــواء "أكسجين" تخترق أغشية الأنف، وتأخذ طريقها إلى القصبة الهوائية حتى تـــصل إلى الرئتين، حيث تستلقي هناك على شواطئ الشعب الهوائية، عارضة نفـــسها على الهيموجلوبين الذي يحتضنها، ويحملها الدم سويًا "الهيموجلوبين والأكسجين"

بين أذرعه كأجمل عروسين، إلى أن يصلا إلى مكان الزفاف "القلب" وهنـاك – في القلب – يتم توزيع وتسكين العرسان على الخلايا والأنسجة، وفي داخل تلك الخلايا والأنسجة يحدث التفاعل، وفك الحروف، وترجمة الكلمات، واستيعاب المعاني، ويتم التقاء العلم بالأدب، وعندها يؤذن لي بالدخول إلى مثل هذه المجلات والكتابة إليها والمشاركة فيها، وسوف يكون أول موضوع أبعثه إليها بإذن الله هو عن "استنساخ الإنسان الجسدي" الذي هو حديث العالم اليوم.

تحية للمجلة العربية

أحاول بين الفينة والأخرى أن أعمل تقييمًا خاصًا لأوعية الثقافة المطروحة في السوق، وقد جدولت لذلك برنامجًا على أن أتعامل مع ذلك بكل مصداقية وتجرد، وقد وجدت أن معظم أوعية الثقافة في عالمنا العربي تقتفي أثر غيرها في توصيل المعلومة الثقافية، وتوصلت إلى نتيجة مفادها: أن المعلومة لا يمكن أن تمرر إلا من خلال "الخدود" و "السيقان" و "الشعور" مما جعل معظم المجلات تتبنى سياسة العرض المكشوف فلماذا ؟!

إن السبب الرئيسي بلا شك هو أن القائمين على مثل هذه المجلات هم ممن ليس لهم حظ من التربية إلا القليل، ولخوفهم من كساد بضاعتهم فإنهم يلجأون إلى التسويق بالرذيلة، لذلك فإن قلة قليلة من المجلات التي تستطيع أن تلتزم بتقديم المعلومة الثقافية والنواحي المعرفية دون الحاجة إلى عرض مفاتن النساء، ومن تلك القلة القليلة كل من "المجلة العربية"، "الأسرة"، "الشقائق"، "الفرحة"، "النور"، "بنات تحت العشرين"، وغيرها ممن لا أعرفه.

وبيانات التوزيع – كما تقول المجلة العربية – يزيد وإقبال القراء على هذا النوع من المجلات في تزايد وقد أرسل أحد القراء إلى المجلة العربية (عدد ٢٠٥) يقول "إن مجلتكم هي إحدى المجلات التي اقتنيها وأدخلها بيتي دون أن

اطلع على محتوياتها لاطمئناني إلى محتوياتها، حيث تأكد لـي بعـد اسـتمرار مطالعتها أن كل المنشور فيها ليس فيه ما يسيء إلى خلق، أو يدعو إلى رذيلة، لهذا: فأنا أضعها أمام أبنائي وبناتي ليقرؤوها، وأنا مطمئن إلى أن كل ما فيهـا يحث على الفضيلة وليس فقط انتفاء الرذيلة فيها.

إن أحد الأهداف الرئيسية لترويج الصحف والمجلات في يومنا هذا هـو الإعلان عن الجرائم الاجتماعية، وهذه طريقة لا تتوافق مع الذوق الإسـلامي، فنجد بعض الصحف أو المجلات في أول صـفحة أو فـي الغـلاف إعلانـات عريضة عن صور مجرمين يقتلون الأبرياء، أو زوجات يقـتلن أزواجهـن، أو اغتصاب رجل لطفلة صغيرة، أو دعوى بنت ضد والدها في محكمة، أو شـاب يقتل والدته أو يقتل أخته وصديقتها ... إلى آخر هذه المانشيتات التي ليس مـن ورائها إلا طلب الترويج، وبيع المزيد مما يقتضي التـدليس والكـذب وافتعـال الأمور ... ولقد ربأت مجلة "المجلة العربية" بنفسها عن ذلك وتوثبـت خطـى التربية السليمة، وأن الأسرار يجب أن تبقى أسرارًا وأن الفضيحة الفردية يجب عدم إشاعتها إلا من خلال المعالجة الاجتماعية الصادقة.

في هذا الكون ثوابت ومتغيرات، هناك ثوابـت باقيـة خالديـة، وهنـاك متغيرات شكلية متبدلة.

وفي عالم الإعلام ...! تبدو الثوابت والمتغيرات بشكل أكثر وضوحًا.

هناك ثوابت لا يمكن المساس بها، أو الاقتراب من تناولها بسوء، كثوابت الدين والوطن وقيم الإنسان، وهناك متغيرات قابلة للحـوار والمناقـشة كـشكل الأسلوب، أو ظواهر التنمية، أو السلوكيات التي ليس لها علاقة بدين أو مـساس بقيم. ولكن السؤال الذي ينهض هنا كيف يتم التناول، وكيف يتم الطرح!؟

إن التناول كلما كان موضوعيًا ... وأن الطرح كلما ارتقى إلى المستوى الأفضل حققت الكلمة الرسالة المؤملة فيها... ووصل الحوار إلى الغاية السامية منه، وأنه ليؤلمنا كما يؤلمكم عندما نقرأ بعض الموضوعات في بعض المطبوعات في عالمنا العربي، حيث نجد في هذه المقالات ما يمس الثوابت، ويسيء إليها من دين وقيم وأوطان، وما يصدم القارئ العربي المسلم، حيث يرى بعض الموضوعات التي لا يراعي كتابها قيمًا ولا دينًا.

أحببت أن أنقل هنا ما سبق، وهو جزء من كلمة العدد للمجلة العربية في أحد أعدادها، وفي ذلك تعبير صادق عن الثوابت والمتغيرات.

إن مما تميزت به هذه المجلة هو أن جعلت أرضيتها ملتقى للمتحاورين، وساحة للمتناقشين، وفيما أظن أن كثيرًا من صحفنا ومجلاتنا تفتقر لهذا، وسماع وجهات النظر المختلفة مسلك نبوي ونظام فطري، ويركن بعض رؤساء التحرير لاستخدام صلاحيتهم في حجب الرأي الآخر. وهذا فيما أظن تصرف غير مشروع وخيانة الأمانة الكلمة لأنه – يقينًا – لم يبق ما يجمع الناس اليوم إلا الحوار، فإذا "غيب" يطفح على السطح "الرأي التوحدي" وقد يتورم هذا الرأي مما يفقد المجتمع صحته وسلامة حياته.

إن ساحة الحوار هي المكان الذي قد تتألق من خلاله الفكرة المفيدة، أو المسرح الذي تبرز فيه "النجومية" الصادقة، وهي ساحة يضبطها تحكيم سليم وأدب رفيع، بعيدًا عن حظوظ النفس، ويفضل أن يكون الحوار فيها بعيدًا عن الأسماء قريبًا من الفكرة نفسها، وهذا ما جعلني أترك مساحة للقراء للمشاركة في هذه الساحة العكاظية، وسميتها حوار عكاظ: ساحة ومساحة وسوف أترك المجال في الأسبوع القادم بإذن الله لرسائل القراء الكرام تأخذ حقها في النشر حتى لا تطول الفترة.

جنادرية الثقافة والعلوم

انطلقت فعاليات المهرجان الوطني للتراث والثقافة يوم الأربعاء الماضـــي وهو بلا شك علامة مضيئة للطريق نحو آفاق المستقبل لما يحتويه من برنـــامج ثقافي وفكري يربط الحاضر بالماضي، ويذكر الأمة بعزها، وأنه كما قال ســـمو الأمير عبدالله بن عبدالعزيز بأن خطوات المملكة العربية السعودية نحو الارتقاء على اختلاف أشكاله ترتكز في جوهرها على ما جاء في كتـــاب الله العزيـــز، والسنة النبوية المطهرة.

إن موسم الجنادرية يثير في داخلي آمالاً بضرورة التطوير، خاصـــة وأن هذا الموسم هو الموسم الثاني عشر للمهرجان، ولعلي أطرح بين يدي المسؤولين عن هذا المهرجان الاقتراحين التاليين:

- إن الثقافة والعلوم مرتبطان كثيرًا بالكتاب، وحيـــث أن هـــذا المهرجـــان سنوي فإنه من المؤمل أن يخصص في مقر هذا المهرجان مكان لإقامـــة معرض للكتاب، وهذا يزيد من عدد زوار المهرجان، ويعتبـــر إضـــافة ثقافية تخدم العلم وطلابه وتنشر الوعي وأسبابه.
- الاقتراح الآخر هو أن يتبنى القائمون عليه استحداث جناح خاص بالعلوم بحيث تعرض فيه أهم أسماء وأعمال العلماء المسلمين الـــذين ولـــدوا أو توفوا في إحدى مناطق المملكة العربيـــة الـــسعودية، وأن تقـــدم نمـــاذج تصويرية لأهم أعمالهم ونظرياتهم وإنتاجهم.

أحنّ إليك كيف لا أهواك

(١٤١٧/١٢/١٣هـ)

"مكة المكرمة" و "المدينة المنورة"، "القدس الشريف" هي عواصم للأمـة الإسلامية، ومنها انطلقت نداءات التوحيد الخالص، وهي لا تزال تحمـل عبـق النبوة، وتجمع الناس على ملة أبينا إبراهيم عليه السلام، وعلى دين سيدنا محمد {ﷺ}.

في مكة المكرمة ولد المصطفى {ﷺ} وفي المدينة المنورة عاش إلـى أن توفاه الله ودفن فيها، وأسرى به {ﷺ} إلى المسجد الأقصى، وهناك أعرج به إلى السموات العلى، ولكل عاصمة من تلك العواصم مكانتها الخاصـة فـي قلـوب المسلمين. فالمساجد الثلاثة أشقاء لقوله {ﷺ} "لا تشد الرحال إلا لثلاثة مـساجد" يرفل اثنان منها بحمد الله وفضله" مكة المكرمة والمدينة المنورة، بثوب العافية، وتحت أيد أمينة: ترعى حقوقهما، وتؤدي واجباتهما، وتقوم على خدمتهما خيـر قيام، وتفتح الأبواب للملايين من المسلمين للحج أو العمرة، ميسرة بذلك لهم كل سبل الراحة، ويبقى المسجد الثالث مبعدًا مضطهدًا يكتوي بنار اليهود.

أهلاً بالحاج !!

منحنا الله في هذا الوطن الغالي حق خدمة حجاج بيت الله الحرام، وهـذا أمر نتشرف به لأن الضيوف الوافدين إنما هم ضيوف الرحمن، لذلك نقول مـن كل أعماقنا ودواخلنا: أهلاً بالحاج !!

- أهلاً به منذ أن لبس إحرامه، وأهلّ من ميقاته، ودخل فـي نـسكه إلـى أن هبطت طائرته، أو وصلت سيارته، أو رست سفينته.

- أهلاً به في بطاح مكة، وساحات الحرم، وحول البيت، وعند المقام، وبئر زمزم، وأمام الحجر الأسود، وهو في ذلك كله يتذكر آيات ربانية منها:

- قوله تعالى: ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [سورة البقرة/ آيــة ١٢٥] وهذا حق للحاج يجب أن يؤدي، وأن يهيأ البيت لتلك الأصناف المذكورة.

- وقولـــه تعـــالى: ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ﴾ [سورة البقرة/آية ١٩٧] وهذا حق على الحاج يجب أن ينفذه، وهـــو أن يبتعد عن تلك المنهيات في الحج.

- وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ [سورة البقرة/آية ١٥٨] وفـــي ذلك توجيه إلى أن أعمال الحج وخطواته إنما هـــي شـــعائر تعبديـــة لله تقتضي التنفيذ والتسليم.

- وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [سورة البقرة/آية ١٢٥] وهـــو الحرم كله أو المقام نفسه وفي ذلك سعة.

- أهلاً به يوم كان في منى يوم التروية، يوم التهيئة، ويوم الاستعداد والتعبئـــة لانطلاقة الخير وحجة العمر.

- أهلاً به يوم كان في عرفات الله يوم الوقوف بها، يوم النقاء والصفاء، ويوم البكاء والدعاء، وعندها تحقق له:

- ذكر الله كما قـــال تعـــالى: ﴿فَإِذَآ أَفَضْـــتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْـــعَرِ ٱلْحَرَامِ﴾ [سورة البقرة/آية ١٩٨].

– الانخلاع من الماضي المشوب بالإثم، وتجديد العهد على استئناف حياة كلها استقامة.

– الوقوف وفي ذلك تذكر للوقوف بين يدي الله.

- أهلاً به يوم كان في مزدلفة واسطة العقد بين عرفات ومنى، وليلتها حقق مزيدًا من ذكر الله وأخذ قسطًا من المرحلة وتأهب لبقية مناسك الحج، خاصة رمي الجمرات والطواف والسعي.
- ثم أهلاً به مرة أخرى في منى التي يتحتم عليه فيها أن يحقق:

– كثرة الاستغفار كما قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۚ ﴾ [سورة البقرة/آية ١٩٩]،والإفاضة هنا هي من مزدلفة إلى منى.

– البقاء بها لأداء ما تبقى من مناسك الحج، ويتمثل ذلك: بالمبيت ورمي الجمرات والحلق أو التقصير والهدي.

– كثرة الذكر تحقيقًا لقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍۚ ﴾ [سورة البقرة/آية ٢٠٣].

وأخيرًا أهلاً به ضيفًا على مكة المكرمة ليقضي فيها أيامه المعدودة، وبعدها يودع بيت الله الحرام بالطواف، وهو في ذلك كله يحمد الله ويثني عليه بأن وفق لهذا البيت من يخدمه، ويؤدي واجبه، ويهيئه على أحسن حال، وذلك يتضح مما شاهده خلال فترة حجه ومن ذلك.

– الأمن الذي يرفرف على هذه البلاد بفضل الله ثم العقيدة الصافية، والشريعة الخالدة.

- الرعاية التي خصت بها المشاعر وهي ظاهرة في الحرمين الشريفين.
- التنظيم الذي خططت له الدولة في جميع نواحي الحج.
- الخدمة التي وفرتها الدولة يرعاها الله للوافدين إلى بيت الله في مكة المكرمة ومنى وعرفات ومزدلفة، كل ذلك إنما كان بمتابعة خاصة من أجهزة الدولة المختلفة، وعلى رأسها خادم الحرمين الشريفين الذي يوجه دائمًا وأبدًا من خلال لجان الحج المختلفة بأن خدمة الحج والحجاج شرف لهذا الوطن، ونحن إذ نذكر هذا هنا فإنه ليس من باب المنة بل إننا نشعر جميعًا بأن ما يقدم هو أقل القليل وليس ذلك إلا لأن ما يقدم إنما هو لله رب العالمين.

ضيوف المدينة المنورة .... يا هلا

ينهي الحجيج بأمن الله وسلامته حجهم هذا اليوم، وقد فرحوا بكرم الله عليهم، وازدانت نفوسهم بتعظيم شعائره، واحترام مشاعره، وينساب ركبهم من مكة المكرمة في تسابق مع الشوق إلى مسجد رسول الله {ﷺ} إلى المدينة المنورة، إلى الحبيب {ﷺ}، ومن يصل إلى مسجد رسول الله {ﷺ} يأخذه الشوق أكثر فبعد أن يصلي ركعتين في الروضة الشريفة تتطلع نفسه وتشتاق روحه إلى الوقوف أو القرب على الأقل نحو صاحب عطر النبوة وخاتمها، نحو سيد ولد آدم، نحو الذي تربى يتيمًا ومات سقيمًا ليسلم عليه بصوت كله أدب: السلام عليكم أيها النبي ورحمة الله وبركاته، ثم يسلم على صاحبيه الكريمين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وما أن يفعل ذلك حتى تزدان له أطراف المدينة كلها ليرى عرسها في نفسه، حيث العبق النبوي، والآثار النبوية، والجيرة النبوية، وبذلك تتمثل له السيرة العطرة في مواطن كثيرة في المدينة المنورة، وفي كل موطن ينادي عليه أن "يا هلا"!!

دار الحبيب أحق أن تهواها

يقول الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام: "المدينة مهاجري ومضجعي في الأرض". فدار الحبيب {ﷺ} علاوة على وجود مسجده بها {ﷺ} فإنها دار معطرة ومطيبة بعبق النبوة، ولست هنا بصدد ذكر فضلها لأني أشعر أن حبها مجبولة عليه النفوس، ومفطورة عليه القلوب، وما من مسلم إلا ويحن إليها، ويتطلع شوقًا للوصول إليها كما قال الشاعر:

أحن إليك كيف لا أهواك
وأعشق أرضك ونسيم هواك
أطير إليك كلما ذكر اسمك
ويخفق قلبي عندما ألقاك

وقد سميت المدينة المنورة بأسماء كثيرة منها: دار الحبيب وطيبة الطيبة كما قال الشاعر:

دار الحبيب أحق أن تهواها
وتحن من طرب إلى ذكراها
طابت فإن تبغ التطيب يا فتى
فأدم على الساعات لثم ثراها

وقد جاءت تلك الأسماء لطيب من سَكَنَها عليه الصلاة والسلام.

يا خير من دفنت في الترب أعظمه
فطاب بطيبهن القاع والأكم

تذكر وأنت في طيبة

يا من تصل إلى طيبة الطيبة ضيفًا تذكر:

- تذكر أن وصولك إلى هذا المكان نعمة من الله عليك، حيث أنت آمن على نفسك، وعرضك ومالك، وذلك يحتاج إلى تذكر وشكر.

- تذكر أن الأمر أمر رسالة ونبوة، وأن الأمر أمر وحي وسماء، فيجب أن تكون متبعًا غير مبتدع.
- تذكر أن من أحدث في المدينة، أو أوى محدثًا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.
- تذكر مهام التشريف والتكليف التي أنيطت بهذا البلد لخدمة ضيوف الرحمن، وأن ذلك بحاجة إلى تعاونك وتضافرك.
- تذكر أن هذه الأرض المباركة سارت عليها قدم النبوة، وشاع في أرجائها وأنحائها عطر محمد {ﷺ} فتلمس الآثار الشرعية لتقف عليها.
- تذكر أن بقاءك في طيبة الطيبة، إنما هو أيام معدودة، فاحرص على الصلاة في المسجد النبوي ما أمكن ذلك.
- وأخيرًا تذكر أن هناك مسجد قباء، وجبل أحد، ومسجد القبلتين، والمساجد السبعة، ومسجد الجمعة، ومسجد المستراح (الشيخين)، ومسجد الغمامة ومسجد أبي بكر، وكل هذه آثار مباركة أنت بحاجة لأن تعرفها وتمر عليها.

وامتد ليل ما له صبح

(١٤١٨/٢/٢٩هـ)

عجبت لصديقين من أشد ما عرفت لحمة ومحبة وصداقة، لدرجة أنـه إذا ذكر أحدهما لصق به الآخر وكأنه توأم له. يعملان معًا في إدارة واحـدة لكـن بنظام "الشفتات" بحيث يعقب أحدهما الآخر، ويعرفان عند الناس بـ "المتعاقبين" جمعت بينهما سنن الحياة الكونية، ووحد الله بين قلبيهما فلا حسد بينهمـا فـي الرزق، ولا تنازع بينهما على الأرض. كل واحد منهما قد علم صلاته وتسبيحه، وكل واحد منهما قد عرف مهمته ووظيفته. ومع ما بينهما مـن اخـتلاف فـي الخصائص والميزات، وفي الشكل والسمات، إلا أنهما يظلان وفيـين وحبيبـين يلتقيان في أوقات وردية، ويتعانقان في مناسبات زهرية، ومـن إخلاصـهما لا يترك أحدهما "شفته" أو دوريته حتى يتأكد من وصول صاحبه، ومجيء زميله، والعجيب حقًا أن كل ساعات الدنيا يمكن أن تلخبط في دقة التوقيت إلا هما.

أحدهما صفاته غريبة لا يستلم عمله إلا عند الغروب، وهو متزين بحمرة، ومن يلحظه في البداية لا يقول عنه إلا "أسمر حليوه" ومن يعايشه أكثر أن يسمر معه فإنه سرعان ما يلحظ عليه أنه صاحب "عشاوة" وتبدأ تظهر عليـه ملامـح السواد والظلمة، وإذا كشر فجعتك صورته وأفزعتك أنيابه، وإذا أصـر علـى بقائك معه فخلف الله عليك وعلى أهلك لأنك لن ترى النور، وسـتظل حبـيس أنظاره القاتمة إلا أن يمن الله عليك فيجيء زميله الآخر صاحب الجبين الأزهر، ويحل ليستلم "شفته" منه، وعندها ترى الحلاوة والوضاءة وتستأنس نفسك برؤية "الأبيض بفته" وتتحول التغشية إلى تجلية لكن يبقى الـسؤال مـن همـا هـذان الصديقان؟ وما صفاتهما؟ وأين يعملان؟ وما علاقتنا بهما؟!

عسعس وتنفس

هذان الصديقان هما الشيخ "عسعس" شيخ قبيلة الليالي والشيخ "تنفس" شيخ قبيلة النهاري، ويلاحظ من اسميهما بأنهما شخصيتان تنبضان بالحيوية والرشاقة والأناقة، وهناك شعور وإيحاء بأنهما يتمتعان بإيقاع حركي جميل ومنتظم، وإن كان اسم "عسعس" يدل على الظلمة إلا أنه اختيار رائع للتعبير عن المشيخة الليلية كما أن جرسه يوحي بأن هناك حياة في الليل بحاجة لمن يرعاها ويقوم عليها وذلك ما عرف إلى عهد قريب "بالعسة" وما دام أنه ليل فإن عسعسته منه وفيه، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ﴾ [سورة التكوير/آية ١٧]. وأما تنفس فشيخ ذو أضواء وأنوار ويختلف عن صاحبه بأنه ذو نشاط وحيوية وحركة ويعلن عن نفسه بوضوح، بأنه صاحب تجلية تبدأ خيوطها منذ الصباح الباكر(الفجر الأول) عندما يبدأ يلتقط أنفاسه ليشرع في مهمته ووظيفته، لذلك أطلق عليه وصف "تنفس" وهو وصف فيه دفعة شعورية وتعبيرية أقرب لأن تكون دفعة ذاتية، تعتمد على التقاط ما تيسر لها من الأكسجين ليتحقق من خلالها طاقة النهار كله لذلك فإن الله سبحانه وتعالى وصفه بقوله تعالى: ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ [سورة التكوير/آية ١٨].

الليل والنهار

الشخصيتان سابقتا الذكر هما الليل والنهار، أحدهما موصوف بالغشيان كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾ [سورة الليل/آية ١] والآخر موسوم بالتجلي كما قال تعالى: ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ [سورة الليل/آية ٢] وهذان المشهدان أو اللوحتان الفنيتان لليل والنهار ذوا علاقة فطرية بالحياة والأحياء، وذوا ارتباط "تشفيري" من خلال لغة سرية متعارف عليها، لا يمكن أن تفك رموزها إلا القلوب الحية، ولا تترجم حروفها إلا العقول النيرة كما أن بينهما – أي الليل والنهار – وبين

الروح تجاوبًا ومناجاة بل ويعتبران مصدرًا وقادًا لتوثيق الصلة بالله بحيث ترتمي في أحضانهما الشفافية، وتنام تحت أجفانهما المعاني الربانية، لذا فإنهما يسكبان في القلب شيئًا من ذكر الله وخشيته، خاصة عندما تتجه إليهما القلوب لتمعن النظر في قسماتهما، وتعمل التفكر في حقيقتهما، وكيف أن الله سبحانه وتعالى هو مدبر أمرهما، وهذا ما جعل القرآن الكريم يعرض آيات قرآنية أقرب ما تكون إلى صور فنية ناطقة، تستجدي النفوس بأن تعيش لحظات تأمل في تعاقب الليل والنهار لتنطق الفطرة بتسبيح الله وتهليله ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [سورة آل عمران/آية ١٩٠-١٩١].

كيميائية التفاعل الفطري

إن السنة دلت على أن رسول الله ﷺ ما أن يقرأ أو يسمع الآيات السابقة في أواخر سورة آل عمران حتى يبكي، ويمتلكه شيء من الخشية وقد أمر عليه الصلاة والسلام إذا مررنا عليها بأن نبكي أو نتباكى، وليس ذلك إلا لأنها آيات تجمع بين الصور الكونية لخلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار، والصورة الأخروية من عذاب وحساب وعقاب، وأن السبب الرئيسي لامتلاك شيء من الخشية، إنما يكون بذكر الله والتفكر وإيقاظ النفوس، لإيجاد الربط والتفاهم الداخلي بين فطرة هذا الكون والفطرة المغروسة في داخل الإنسان، والتساؤل العريض في مثل هذا الموضوع: هو كيف ننمي التفاعل الفكري للآيات الكونية في نفوسنا؟!.

إن الإجابة على هذا السؤال تستدعي السؤال عن كيميائية التفاعل الفطري بين أجزاء المخلوقات المختلفة التي من ضمنها الإنسان، وحيث أننا بصدد آيتي

الليل والنهار، فلعلنا نقول بأن تكرار مشهدهما بلد الأحاسيس، وعدم تهيئة الأجواء بين النفوس وبينهما زاد في الهوة، ومجيء التأثير والتأثر، لكن هذا لا يمنع من استجداء النفوس للتعرف على ماهيتهما، ولعل شيئًا من ذلك التفاعل أن يتحقق من خلال:

- جلسة بحرية قبيل الغروب نتمعن في وقت الأصيل والشمس تلوح بيدها تستودع الأحياء، تاركة للجميع "حمرة" الشفق، ومفسحة المجال لخيوط الليل بالتسلل، وعند المغيب تغشى النفوس لحظات متأنية من الخشوع والتفكر، أقل ما يقال عنها بأنها انسياق خلف تسبيح موحد لله.
- سهرة برية تحت أضواء النجوم وفي حضور العميد (القمر) لنسجل على النجم القطبي غمزاته، وعلى المشتري ومضاته ... ولنشهد سقوط الشهب ولنصب الليل وهدأته والسحر ودمعته، ولاسيما أن الأرواح متعطشة في هذا الزمان لمثل هذه النسمات، ومنها نعرف الليل على حقيقته.
- مشاهدة عينية وقلبية وروحية لأضواء النهار، خاصة وقت الإصباح وهو يرسل – تدريجيًا – شيئًا من حزمه الضوئية... يبعث بها كرسائل إشعار هرمونية تؤكد قرب حلوله ودنو نزوله، وفي ذلك من المتعة ما فيه، وهو شاهد آخر على التفاعل الإيماني مع آيتي الليل والنهار، خاصة إذا منّ الله على العبدبحضور صلاة الفجر جماعة في المسجد ليشارك الكون في التسبيح والتهليل والتكبير وذكر الله. وقد ورد في الحديث الصحيح: أن من صلى الفجر في جماعة فهو في ذمة الله" وعندها فإن الله سبحانه وتعالى يرعاه كما يرعى الكون: كواكبه وأفلاكه، سماءه وأرضه ، ليله ونهاره، ذراته وجزيئاته، نباته وحيواناته... وكل واحد منهم قد علم صلاته وتسبيحه.

وامتد ليل ما له صبح

مع أن من المؤكد بأن النهار ملازم أول لليل، وأن الإصباح (وجه النهار) هو أول ما ينقشع عنه الليل، ومع فهمنا الكامل لهذه المعادلة الكونية إلا أن بعض الناس تقتلهم خيوط الليل، وتجعل نظراتهم نحو النهار سوداء، حتى ليتأكد في أعماقهم بأن ليلهم لا صبح له، وعند هؤلاء وغيرهم من العشاق المحرومين، أو السياسيين المظلومين، فإن الليل يطول ويطول ويطول لدرجة اللاشعور بالصبح أو الإصباح ولله در امرئ القيس عندما خاطب الليل بأن ينكشف عن صباح، لكن عاد ليقول له بأن الصباح لن يكون أحسن منك لأن الهم ملء النهار والليل:

ألا أيها الليل الطول ألا انجل *** بصبح وما الإصباح منك بأمثل

وقد امتد هذا التأثير على واقع الأمة الإسلامية هذه الأيام خاصة، الموقف الإسرائيلي المتعنت في إذلال العرب والمسلمين، وإني لأحزن على أقسام العلوم السياسية في جامعاتنا العربية، وأتساءل أين أحلامهم الوردية عن السلام؟! وهل سيمطروننا بمقالات وتحاليل، لاكتها وكالات الأنباء لتدفع بعملية السلام من جديد؟! لقد أثَّرَتْ فيّ قصيدة جميلة لأحد أبناء فلسطين، وأظن في ذكرها تسلية تجلى شيئًا من ذل السلام، حيث يقول فيها:

بلي الحديد ومسّنا القرح
فمتى تقوم أخي متى تصحو؟
والوعتاه كم انقضت حقب
وامتد ليل ما له صبح
وبغى ذئاب ليس يردعهم
خلق ولا دين ولا نصح
أقوالهم مطلية عسلاً
وقلوبهم لسمومها رشح
اللحم في أنيابهم وعلى
أثوابهم مزق بها قيح

والـــــوحش وحـــــش دينـــــه فمـــــه
والغـــــدر لا يمحـــــوه مـــــن يمحـــــو
وصـــحا التـــراب أخـــي ولـــم تـــصح
ويلـــــي عليـــــك أينفـــــع النـــــوح..؟
وبيـــــــارق القـــــــرآن كابيـــــــة
تلهـــــو بهـــــا النـــــسمات والـــــسفح
حنـــــت وأيـــــن مـــــضى فوارســـــها
عنهـــــا والاستـــــشهاد والفـــــتح

ما ذقت يا طير طعم العسل !!

(١٤١٨/٤/٧هـ)

رأيت يومًا طيرًا في الفضاء وهو في حالة عالية من "الجنتلة" (يعني لا بس كشخة)، يرتدي ثوبًا براقًا، وشماغًا رقراقًا، وبيده مسبحة، ينتظر نحلة تخرج من مخبئها، فما أن رآها حتى لحق بها، وأردفها على ظهره في جنح الظلام وافترسها ومضغ لحمها (بالحرام) وكان يظن أنه لعق عسلاً وتذوق شهدًا، وما أن انتهى من مبتغاه وزين له الشيطان ما اشتهاه، حتى شعر بإثم ما اقترفت يداه. فجاءه صوت من "جواه" (داخله) ينادي أن النحلة لم تكن تحمل عسلاً ولا تقطر شهدًا، إن الذي لعقته سكر مذاب في ماء، وفيروس يسبب الداء وعقاب ينزل من السماء، وأخذ يتباعد عنه صوت النداء وهو يردد: ما ذقت طعم العسل الذي بالغت في طلبه ومشتهاه!!.

فما هو يا ترى طعم العسل الذي حرم منه صاحبنا؟! وما هي حاسة تذوقه؟! وكيف يمكن أن تناله الطيور دون أن تنخدع بسكر الماء، وفيروس الداء، وعقاب السماء؟!.

- **إنه التذوق والمذاق**

دعونا قبل أن نلحق بالطير ونستوقفه في الجو، ونتفاهم معه في موضوع النحلة، نذكر لكم أن مصطلحات الذوق والتذوق والمذاق ذات علاقة بالطعم والاستطعام، وبالتالي تحديد ماهية ما يقدم: هل هو مستساغ أو غير مستساغ؟! والمصطلحات السابقة لا تقف عند النواحي الحسية فقط بل تتعداها إلى الجوانب المعنوية وقد تشمل المعنيين في آن واحد من ذلك قوله تعالى: ﴿ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴾ [سورة الطلاق/آية ٩].

قد يصر البيولوجيون على أن تلك المصطلحات، خاصة باللسان، فيستبعدون الجلد منها ويقولون بأنه "يحس" فقط، ويستكثرون على الأنف بأن يكون من أصحاب الذوق والتذوق، ويقولون بأنه "يشم" فقط، ويحددون وظيفة الشفتين بأنهما للتقبيل فقط، وليس لهما علاقة بالمذاق، وكذا الحال مع العين، حين يقصرون مهمتها على الرؤية، وليس لها علاقة بالاستذواق، وهكذا دواليك مع بقية الأعضاء، يصرون كذلك على أن اللسان صاحب الامتياز في استخدام كلمة التذوق (Taste) وذلك لأداء مهمة اختيار وتحليل ما يراد معرفة طعمه، وإن كان هذا المعنى – أي التذوق – خاصًا باللسان إلا أنه في التطبيق أوسع، وما يخص الأكل والتذوق هو ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا﴾ [سورة الأعراف/آية ٢٢] وما يخص بقية الأمور قوله تعالى: ﴿وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [سورة النحل/آية ٩٤]. فمادة "ذوق" ومشتقاتها المختلفة تتسع حتى للتذوق عن طريق الجلد، كما قال تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ﴾ [سورة النساء/آية ٥٦] بل قد يتعدى إلى الأمر غير الحسي كالموت كما قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ﴾ [سورة آل عمران/آية ١٨٥]، ومنها ما درج على ألسنة الناس في قولهم "ذوقه رفيع" وكذلك كلمة "الزوق" المحرفة عن كلمة الذوق ويقصد بها النظرة العالية المستوى بل إن مصطلح التذوق قد يتعدى خاصًا كما قال عليه الصلاة والسلام للصحابي: لا. حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك".

- **الإحساس أولاً**

ترتبط المصطلحات السابقة بإحدى التكوينات البيولوجية الهامة وهي أعضاء الحس، ويحس الكائن الحي بالبيئة من حوله نتيجة للتفاعل الذي يتم بين

بعض الخلايا العصبية الحسية، وبين أحد المؤثرات الحسية المختلفة مثل: الشم أو الرؤية أو السمع، فالخلايا الحسية البصرية مثلاً لا تنقل إلا الدفعات العصبية الناجمة عن رؤية الأشياء في حين أن الخلايا الحسية الشمية لا تنقل إلا الدفعات العصبية الناجمة عن جزيئات مادة كيميائية تكون في صورة غازية (رائحة). وتشبه الخلايا الحسية التذوقية. تلك الخلايا الشمية، إلا أن جزيئاته هنا مادة كيميائية صلبة أو سائلة، وهذا يجعلنا نقول بأن مصطلح التذوق وما يتفرع عنه ومنه، لا ينبغي أن يكون حكرًا على الحلمات الحسية في اللسان، بل إن كل عضو أو نسيج أو خلية له، أولها أن يتذوق ومن حقه أن يصدر تقريرًا خاصًا يصف به تذوقه، لكن عليه أن يضبط أجهزة التحليل التذوقية، لئلا تكون النتيجة خطأ كما حصل لصاحبنا الطير الذي كان يظن أنه يلعق عسلاً فإذا به يبلع سمًا على شكل جزيئات سكرية، خاصة عندما تحول الإدراك عنده من حس إلى إحساس، على أية حال نعود مرة أخرى للجانب العلمي، ونصحح خطأ شائعًا بين الناس وهو الاعتقاد بأن الإنسان ليس عنده من الإحساس إلا أعضاء الحس الخمسة المعروفة، وينسون أن هناك الحسيات الذاتية Proprioceptive Sensations مثل: إحساس الإنسان أحيانًا بنشاط عضلاته الذاتي، ونشاط الأوتار والمفاصل، ومن أجهزة الإحساس الذاتية كذلك الإحساس بمرور الوقت، وتأثيره لدى بعض الكائنات الحية مثل الإنسان، حيث هو مبرمج ذاتية ذات إحساس عال فيما يخص حاجة النوم، أو الاستيقاظ في وقت معين، وهناك بعض الإحساسات الخاصة والتي تعرف بالتلباثية (Telepathy) وهي بحاجة لمزيد من الدراسة العلمية ليتضح أمرها وتعرف حقيقتها.

إن الإحساس أكبر من أن يحاط بأجهزة وتركيبات تشريحية معينة، إنه ينفذ إلى النفس والروح والقلب، لذلك فإن من الناس من يملك جحاظة في

العينين، وبروزًا في الأنف، ودوائر طبقية في الأذنين، وحلمات تذوقيـة تمتـد طولاً وعرضًا على لسانه، إلا أنه عديم الإحساس. ومن الناس من أنفه مسطح، وأذنه كخرم الإبرة، وعينه دقيقة وصغيرة، وحلمات تذوقه تكاد تكون معدومـة، لكنه مع ذلك يملك حسًا إنسانيًا عاليًا، تود أن تضعه مع أصحاب المعالي. علـى أية حال إن إحساس الإنسان بأن هناك إحساسًا معنويًا يجب أن يتعامل معه، فإن ذلك تأكيد للاستخدام الصحيح للإحساس المادي، والإحساس المعنوي، قد تقـوده إيمانيات معينة كالخوف من الله أو محبته، ورجاء ما عنده من نعيم مقـيم يـوم القيامة، أو قد يرضخ – أي الإحساس المعنوي – إلى أدبيات معينة كالخوف من الفضيحة أو العار أو خرق السلوك الاجتماعي المعهود أو ما يعـرف بالتقليـد. والطير الذي تحدثنا عنه في بداية المقال وقع في شـرك الحـس، وبعـد عـن الإحساس، وما استيقظ إلا على مشهد يوضح له أن ما كان يظنـه فـي حـسه العضوي عسلاً تحول إلى سكر مصحوب بميكروبات. فماذا يـا تـرى عمـل طيرنا؟! هذا ما سنوضحه في الأسبوع القادم بإذن الله.

ما ذقت يا طير طعم العسل (٢)

(١٤١٨/٤/١٤هـ)

تحدثت في الأسبوع الماضي عن الطير "الجنتل" الذي بالغ في طلب المشتهي، فافترس نحلة بريئة فسطر بذلك القصة الشعرية المعروفة للشاعر يحيى توفيق، والتي هي بعنوان (النذل والأنثى) وحيث إن موضوعًا كهذا ذو علاقة بالذوق والتذوق والحس والإحساس، فقد تطرقنا إلى هذه المعاني فيما سبق، لتكون مدخلاً لموضوع الطير الذي لم يذق طعم العسل.

لا تلعب بالنار تحرق أصابيعك... ما من شك بأن الله – سبحانه وتعالى – قد حدد في كتابه، وأوحى إلى نبيه – صلى الله عليه وسلم– أنه قد أباح الطيبات، ومن تلك الطيبات النساء كما قال تعالى: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [سورة النساء/آية ٣]، والنكاح يقتضي العقد الشرعي، الذي أساسه الولي والشهود وإعلان الزواج لتصبح المرأة حليلة لزوجها، وبذا يشعر الرجال بأن للحياة عسلاً، وهل عسل الحياة إلا الزوجة الصالحة كما جاء في الحديث "الدنيا متاع وخير متاعها الزوجة الصالحة" وهذا هو العسل الحقيقي، الذي به تطمئن النفوس، وتسكن القلوب، وتشفي الأجسام، فالروح تعانق الروح، والقلب يرتمي على القلب، وتظلل ذلك كله طمأنينة مباركة، وعندها تسري حبات الفركتوز اللذيذة ذات العسيلة كما جاء ذكرها في الحديث النبوي إلى النفوس، ويخلق الله في الأرحام من ذلك ما يشاء، أما الطير الذي تقع قدماه على الدبق (سكر بماء) تراه وقد ارتجفت ركبه، وتشنج عصبه، لأنه يعرف بأنه يسرق من اللحم أغلاه، ومن الشرف أثمنه، وإن استولى على الفركتوز أو حازه إلا أنه تبقى لتذوقه مرارة وفي بلعه غصة، وكيف له أن يسقي ماءه زرع غيره؟! أولاً يذكر بأن في ذلك غضبًا من الله وأن ما التقمه من سكر ملوث في جنح الظلام قد يكون سببًا

في وجود نبتة ذات نفس، ونفس لا تعرف أبًا ولا أمًا، وإن لم يكـن ذلـك، ألا يتذكر أن من يلعب بالنار لابد يومًا أن تحرق أصابيعه؟ فليتحسس ذلك الحريق، كيف يكون لو شب في زوجته أو أخته أو ابنته؟ واسألوا صائغ الذهب في مدينة بخاري فقد حكى أنه كان هناك رجل سقاء في مدينة بخاري، يحمل الماء إلـى دار صائغ مدة ثلاثين سنة، وكان لذلك الصائغ زوجة صالحة في غاية الحـسن والبهاء، جاء السقاء على عادته يومأ، فلما مدت المرأة يدها لتأخذ الماء أمـسك السقاء يدها وعصرها. وحين عاد زوجها الصائغ إلى بيته سألته: ما فعلت اليوم خلاف أمر الله تعالى ؟ فقال: ما صنعت شيئًا، فألحت فقال: جاءت امـرأة إلـى دكاني، وكان عندي سوار وضعته في ساعدها، فأعجبني بياض يدها فعصرتها، قالت زوجته: الله أكبر، هذه حكمة خيانة الـسقاء اليـوم، حينئـذ قـال كلمتـه المشهورة: دقة بدقة، ولو زدنا لزاد السقا.

- **العفة أولاً**

سألني صديق لي عن حالة الشره التي يعيشها بعض رجال اليوم، خاصة الشباب منهم لدرجة أنهم لا يتركون شيئًا أسود إلا وتبعوه بالنظرات، وأن العفـة والأمان على المرأة أصبحا من رابع المستحيلات، ولم يعد هناك نخوة في قلوب الرجال تحقق للمرأة احترامًا عفيفًا؟! قلت لعل ذلك يعود إلى عدم الاستجابة لنداء الله في كف البصر عن الأجنبية، خاصة بعدما عمّت البلوى، وأصبحت المـرأة وصورها سلعة ممتهنة. ويذكر أن إعرابية مرت بجماعة من بني نمير فـأداموا لها النظر، فقالت يا بني نمير، ما فعلتم بقول الله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾ [سورة النور/آية ٣٠]، ولا بقول الشاعر:

فغض الطرف إنك من نمير

فـلا كعـبًا بلغت ولا كلابًا!

صحيح أن المرأة فركتوز جذاب، لكن من أراد أن يحمي عرضه أمًا وأختًا وزوجة وبنتًا من نظرات الرجال فعليه أن ينصف النساء الأجنبيات من نظره، وقد ورد في الحديث الصحيح بأن النظرة سهم مسموم من أسهم الشيطان، من تركها مخافة الله أورثه الله إيمانًا يجد طعمه في قلبه.

- **طيور الفضاءات**

وكيف نمنع تفكير من يحاول تصدير الشهوة والجنس لأبناء الخليج؟!؟! وإلا بماذا نفسر تكالب الفضاءات وتنافسها في تقديم الرذيلة، والتسابق في البحث عن كل ما يرضي الخليجيين في هذا الجانب؟! وكم أتمنى أن يكون رد وزراء الإعلام في دول الخليج قويًا، وأن توضع لائحة ذات شروط وأبعاد أخلاقية واضحة، فمن أراد أن يلتزم بها يكون معه التعامل، وإلا فإن مصير قناته يكون كالفرنسية تمامًا، وفي ذلك إرضاء الله وحفظ لمعاني العفة والحشمة، ولئلا نجد أنفسنا بعد فترة قد غطت سماءنا الطيور، التي تبحث عما تظن بأنه عسل وتملأ حياتنا بقصص الأنذال، ويكون عاقبة أمرنا خسرًا، ونعيش كما قال الشاعر:

إذا خلع الناس ثوب حياء

فسوف يهين العزيز الذليل

- **صقر العسل**

هناك طائر يشبه إلى حد بعيد الصقر يعيش هو وأنثاه على قمم الأشجار العالية جدًا يسمى صقر العسل، لأنه يتغذى على يرقات النحل وعسلها، وهو لا يرضى أبدًا بأن يقتات من ديدان الأرض ولا حشراتها، ولا يرضى لنفسه بأن يعيش في السفح عند مواطن الأقدام، يلتهم من سكر قد وقع عليه الذباب من كل جهة، لأنه يعرف بأن الذباب ناقل للأمراض، وقد أوضح سبحانه وتعالى بأن حفظ الفرج أزكى للإنسان، وأبعد من أن يتسلل إليه فيروس ينخر في لحمه

وعظمه، ويسري في قلبه ودمه، ويسلب منه وزارة الدفاع في الجسم (الجهـاز المناعي) كما يحدث عند مرضى الإيدز الذين اتخذوا من الفاحشة قبلـة (كـسر القاف) لهم، وبذا يصدق في كل من يفعل فعلهم قول الرسـول ﷺ (لـم تظهـر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشى فيهم الطاعون والأوجاع التـي لـم تكن في أسلافهم الذين مضوا) رواه ابن ماجة، فهل من يعيش في وحل الرذيلـة يكون قد استطعم العسل، أو استمتع بمذاقه؟!.

((ديـــانـا)) والرحيل الفيكتوري

(٦/٥/١٤١٨هـ)

يحل الموت في وادينا (دنيانا) فينهش نهشته السريعة ثم يولي مدبرًا، تاركًا من حوله يفكر فيه لحظات ثم لا يلبث أن ينساه أو يتناساه:

والناس لا تدرك من نهشه الموت وعضته إلا المأساة والحـزن والألـم، لذلك فإنهم يقيمون له العزاء والمآتم والحفلات التوديعية، وحيث إن الموت بلاء يحل على النفوس، سماه الله سبحانه وتعالى مصيبة، كما قال تعـالى: ﴿إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَأَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [سورة المائدة/آية ١٠٦]، ولست مع الـذين يسمون الموت لغزًا لسبب بسيط وهو أنه ليس كذلك، حيث إنه حقيقـة مـشاهدة ومرحلة من مراحل الأحياء ينتقل فيها الإنسان من حياة الدنيا إلى حياة البـرزخ (القبر) ومن ثم إلى حياة الآخرة، وكما أن حياة الجنين في بطن أمه تختلف فـي مواصفاتها عن حياتنا الدنيا، فكذلك الحياة في البرزخ تختلف عن دنيانا الفانيـة هذه، والموت مخلوق مسكين (خلق الموت والحياة) يطارد الأحياء ويلاحقهم إلى أن يظفر منهم بصيد، وهو لا يفرق بين أن يكون صيده غزلانًا برية تمتلأ حيوية ونشاطًا وجمالاً، أو يكون صيده طفلاً صغيرًا يلتقم ثدي أمه يبحث عن غذائـه، أو يكون صيده شيخًا عجوزًا قد ارتسمت على محياه خارطة الزمن، وهو – أي الموت – في ذلك كله يحال ويرتحل، يجيء ويذهب، يزور الفقراء كما تطال يده الأغنياء، يعيش مع المرضى، كما أنه يفاجئ الأصـحاء، نـراه مـرة يمـازح الدهماء، كما أنه ينزل في ساحة الأمراء ... ولعله في ذلك يستطيع لفت النظر، أو جر انتباه البصر. لكنه يعاني – أي الموت – من انصراف الناس عنه، وكأن أمر الرحيل لا يعنيهم مما يغضبه أكثر، ويزيد في غيظه، فيضطر إلى التنبيـه والتأكيد على وجوده بالنهش الجماعي، وصيد الناس "بالجملة" وقد كثر هذا النوع

من الموت هذه الأيام، خاصة الحوادث وهو ما ذهبت ضحيته الأميـرة "ديانـا" وعشيقها عماد الفايد وسائقهما، ولم ينجح إلا الحارس الذي كان سبب نجاته بعد الله "حزام الأمان" وكما يقول الحارس: فإنه نصح "ديانا" بربط الحـزام، لكنهـا فضلت الانصراف الكلي لعشيقها، والارتماء في أحـضانه، مداعبـة وملاعبـة ومزحًا، ولعل هذا هو السبب الحقيقي خلف مقتل هذه الأميرة والدة ملك بريطانيا مستقبلاً، والذي كان من المتوقع أن يكون ابن عماد الفايد منها أخًا لملك بريطانيا في مستقبل الأيام.

- **(ديانا + دودي)**

إن المتتبع لحياة ديانا وعشيقها دودي (عماد) الفايد يجد أن الاثنـين كانـا يعانيان من قضية واحدة، وهي تعاسة الحياة الزوجية، وعدم الاستقرار النفـسي على الرغم من غناهما وشهرتهما، فديانا دخلت على شارلز بمزاحمـة أختهـا سارة التي كان شارلز ينوي الارتباط بها أصلاً، فترك شارلز أختها وذاب فـي حبها المبني على المظاهر فقط، وحيث إن الارتباط لم يكن ارتباط نفوس ومودة ورحمة، سرعان ما دبت في دماء الزوجين الخيانة الزوجية فانصرفت ديانا في تلمس رجال آخرين، فارتبطت مع جيمس هيويت (ضابط) ومن بعده مع ويـل كارلينج (لاعب) وأوليفر هور (تاجر تحف) وأخيرًا مع ابـن رجـل الأعمـال المعروف (محمد الفايد) وقد ذكر أندرو مورتون في كتابه إن تعاسة الأميرة في زواجها من شارلز هو: تأكدها من خيانته الزوجية لها وهي داخل جدران القصر الملكي، مما جعلها تفكر في الانتحار، لكنها فضلت أن تعامله بالمثـل، فـسلكت طريق الخيانة الزوجية. و(عماد الفايد) ليس بأحسن حظًا منها، فقد عـانى هـو الآخر من خيبة الأمل في ارتباطاته الغرامية، وعمله كمنـتج سـينمائي جعـل ارتباطاته النسائية مع ممثلات فقط، مثل: بروك شيلز، وجوليا روبرتس، وبرث

إيكلاند، وهو قبل ذلك قد فشل في زواجه من سوزانا جريجارد في عام ١٩٨٧م "فديانا" عانت من التعاسة وتكرار الرجال "ودودي" عانى من التعاسة وتكرار النساء فلماذا!؟! وما هو السبب الحقيقي خلف ذلك ؟!.

- **الأمن النفسي والجسدي**

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ [سورة الروم/آية ٢١] إن لهث الرجل والمرأة خلف الرغبة الجسدية (الهرمونية) غالبًا ما يكون خلفه عدم استقرار نفسي، والعكس بالعكس. إن عدم الاستقرار النفسي قد يكون سببه عدم الارتياح في تحقيق الرغبة الجسدية، لذلك فإن الهدف الرئيسي للزواج هو: أن تتحقق للزوجين هاتان الراحتان. والخروج على المنهج الإلهي يسبب تعاسة النفوس وركوب موجة الخيانة الزوجية، وهذا ما تعاني منه المجتمعات الغربية بشكل عام، حيث إن الزواج غالبًا ما يكون حاجة صورية، والممارسة الحقيقية هي انصراف كل طرف لتحقيق رغباته وشهواته، وبذا يضيع الأمن النفسي بالحصول على شيء من الأمن الجسدي المؤقت. وقد بالغت الصحافة في اللهث خلف الأميرة (ديانا) ولاحقتها بل قد تكون افترت عليها في بعض المواقف، وإن كان هناك أشياء حقيقية في ممارسة النشاط العشقي إلا أن التدخل في دقائق الأحوال الشخصية لها كان يمثل إزعاجًا لها، ولعل ذلك ضريبة للشهرة والوجاهة، وفي المقابل فإن "دودي" وهو مسلم ذو منهج واضح في مفاهيم الحياة الزوجية ارتبطا عشقًا للشهرة والجمال مع "ديانا" هذه الكيفية في الزواج من خلال ما يعرف بالخطوبة دون العقد الشرعي عادة سيئة وتقليد غربي محرم، أخذ يستشري في بعض بلاد المسلمين، وهو حقيقة من أكبر المنكرات، لأنه يعرض المرأة المسكينة لتجربة العديد من الرجال دون عقد شرعي يمكنها من

الحماية، وحفظ الحقوق، وكم هم جهلاء وأصحاب شهوة أولئك الذين يفرطـــون في حشمة المرأة وصونها، ويتساهلون في تبذلها وتركها "خيشات باب" يمسح بها كل خسيس نذالته وشهوته، إن المرأة يجب أن تبقى بعيدة عن الرجال محـــشمة مكرمة، لا تظهر عليهم بزينتها وتستهويهم بمنظرها المؤقت، والذي سيغدو عن قريب ترابًا ومرتعًا للدود تحت الأرض. وكم أتمنى من أجهزة الإعلام أن تقلـــل من هذا التبذل لكي نحظى بحياة آمنة مستقرة.

- **"ديانا" والرحيل الفيكتوري**

يذكر أن "فكتوريا" ملكة بريطانيا المعروفة، والتي توفيت عن عمر يبلـــغ ٨٢ عامًا، وقد حكمت الإمبراطورية الإنجليزية مدة خمسين عامًا، وذلك في أوج سلطانها، حيث شهد عهدها أمجاد الإمبراطورية والرخاء الذي لا مثيل له. سمي عهدها بالعهد الفيكتوري عندما ماتت اكتست إنجلترا وإيرلندا بالحزن العميـــق، ونكست الأعلام في نصف العالم بما في ذلك آسيا وأفريقيا، والهنـــد والـــصين ومصر واستراليا وعملت لها مراسم ملكية في الدفن ويشبه رحيل "ديانا" رحيـــل "فكتوريا" من حيث التأثر العالمي وبمراسم الدفن، ولكن السؤال العريض الـــذي حير الناس هو ما خلف هذا الباب.

الموت باب وكل الناس داخله

فياليت شعري ما بعد الباب من دار

إن كل ما يحققه الإنسان في هذه الدنيا من مال وشهرة وسلطة لا يمكن أن يستفيد منه في أخراه إلا إذا كان متحققًا بكلمة التوحيد الخالص، ملتزمًا بالهـــدي النبوي، وليس بعد الموت إلا البعث والنشور والحساب فهـــل قبـــل ذلـــك مـــن حساب؟!.

مجّدي لخالق السماء

(١٤١٨/٥/٢٠هـ)

بعد غد هو ذكرى يومنا الوطني الذي رسم فيه الملك عبدالعزيز – طيب الله ثراه – حدوده الجغرافية، وجمع شمل الجزيرة بعد شتات أمرها، وصفى عقيدتها بعد ضياع حقيقتها، وأخسا نعرتها بعد تطاول عقيرتها، فكان الأمن والأمان، فاطمأنت القلوب، وانطفأت الحروب، وارتفعت الراية الخضراء تحمل النور المسطر، لترسم المنهج الإلهي المؤطر، فأثبت للعالم أننا دين ودولة، سيف ومصحف... فكان ذلك من الله فضلاً ونعمة كما قال تعالى في سورة النحل/آية ٥٣: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ وقد حثنا الله سبحانه وتعالى على ذكر النعمة والتذكير بها كما قال تعالى في سورة آل عمران/آية ١٠٣: ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾.

لعل في ذكر ذلك وتذاكره ما يحثنا على أداء حق الله وشكره، ليبلغ الحمد مداه، ويصل التمجيد منتهاه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾ [سورة هود/آية ٧٣] وعندها ندرك هتافنا للراية: مجدي لخالق السماء.

- **الرياض والنصر**

انطلق الملك عبدالعزيز بعد فتح الرياض ليضم المدن والقرى واحدة تلو الأخرى، وقد كتب الله له النصر المتتالي، وحقق على يديه رسم المشروع العملاق: [المملكة العربية السعودية] الدولة التي أصبحت بين شعوب العالم ذات اسم جلي، ومكان علي، وقد نصر الملك عبدالعزيز ربه فنصره الله. ومن ينظر إلى سيرة هذا الرجل يجد في مقدمة ذلك عمق الجانب الإيماني الذي يظهر على سلوكه، وما يوجه به رعاته ورعيته، وقد شدتني إلى ذلك رسائله التي كان يبعث بها إلى الأمراء، مؤكدًا فيها على أن بقاء الأمن والأمان إنما هو بفضل هذا الدين، وأن أي تقصير أو تساهل في هذا الجانب إنما هو الطريق إلى الهلاك

والزوال، وهأنذا أنقل لكم رسالة واحدة فقط من رسائله لأحد أمرائه وقد نشرت في جريدة ((المسلمون)). في عددها (٦٠٨) "..... وبعد: فقد بلغني ما كدر الخاطر، وهو أنه يوجد ناس من أذناب البادية من جماعتكم وغيرهم تركوا الصلاة وفعلوا المنكرات، وربما أن البيت والبيتين والسلف ما يؤذن فيه مع إظهار بعض المنكرات، وهذا مما يوجب غضب الله وعقابه، والراضي كالفاعل ونحن والحمد لله مقدرنا الله على تقويم شرائعه وسنة رسوله ﷺ لكن هالمدة معتمدين على الله ثم على كباركم وبعض الإخوان الذين فيه خير منكم، ولكن والعياذ بالله لم يرفع لنا هذا الخبر إلا قليل من الناس الله يجزاهم بالخير، فالآن تفهمون أن ما لنا حياة ولا قوة إلا بالله، ثم تقويم هذه الأركان الخمسة، والمحبة فيها، والبغض فيها، وتقويم كلمة التوحيد، والقيام بأمر الشرع، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، نسأل الله تعالى أن يحيينا عليها، ويميتنا عليها، ويذل عن خالفها إنه جواد كريم. فبهذا السبب تكدر خاطري وعزمت بحول الله وقوته أن أقوم بما يرضي الله، والله المسؤول أن يمدنا بالتوفيق والعناية، وجميع إخواننا المسلمين، وأن يوفقنا للعمل بكتابه وسنة رسوله ﷺ، وإني آمر جميع أمرائي من الحاضرة والبادية وكذلك من له معرفة في دين الله، ويرجو ثواب الله أن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر، ويحضوا على طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ، وأن يقوموا بذلك باطناً وظاهرًا على العسر واليسر، ولا لأحد في ترك ذلك عذر عند الله – سبحانه وتعالى – ثم عندي، وعند المسلمين ومن ترك ذلك من أمير أو مأمور أو منتسب فقد عصى الله، وتعرض لسخطه ثم عصاني وأنا ولي أمره أوجب عليّ بغضه، والقيام عليه بما ترتضيه الشريعة الغراء".. إن في الرسالة السابقة رسالة لجميع ولاة الأمر في العالم العربي والإسلامي أن طريق السعادة والعزة والمتعة والنصر، إنما هو من بوابة المنهج الإلهي الصادق كما قال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ [سورة الحج/آية ٤٠] وكما قال تعالى: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [سورة محمد/آية ٧].

- **الوحدة والاتحاد**

هذا الوطن الكبير الذي تلامس رماله خدود "شطآنه" وترسم أمواجه ملامح وجهه "وخلجانه" وتغني الطيور فوق جباله ووديانه، وينتشر الخير بين يدي إنسانه.. تراه وقد خصه الله – سبحانه وتعالى – بشعار الاتحاد، وألبسه ثوب الوحدة. فالتقى بذلك شماله مع جنوبه ووسطه مع شرقه وغربه، وأذهب الله عنه نعرة الجاهلية وحقد العصبية، فأصبح الجميع بنعمة الله إخوانًا، وغدا "شعار" الاتحاد فوق الرؤوس، وأصبح "حب" الوحدة يملأ القلوب، وبهما يكون النصر، ويظهر الهلال، ويحصل الاتفاق، ويتم التعاون، ويعمل الشباب في المجالين: الحكومي والأهلي، ويعرف الطائي ونصل للنجمة وبذلك يسعد المجتمع ويكون المنتخب، ويعيش الوطن.

- **الأهلي والشباب**

الشباب هم عماد هذا الوطن والأهلي (القطاع الخاص) هم عدته، فلعل في ذكرى يومنا الوطني نستطيع أن نقرب بين هذين العملاقين اللذين يجسدان قوة الوطن، ويعضدان تنميته فيهما لا بغيرهما سيكون عطاء المستقبل. فما على الشباب إلا أن يعد عدته، ويسلح نفسه بالعلم والعمل، والنزول إلى ميدان الأهلي، ليثبت له أنه قادر على تسديد ما يصبو إليه من أهداف، وأنه سيتأقلم مع كل المواقع والأعمال، لكن قبل ذلك على الأهلي أن يضع الثقة، ويبعد عن الأنانية، حتى لا تضيع الفرص الذهبية أمام هذا الشباب الناشئ، خاصة منهم من أعد نفسه بمهارات عالية ومطلوبة.

- **النجمة والهلال**

جميل ذلك المنظر الذي يجمع بين النجمة والهلال في السماء، خاصة إذا كان الجو صافيًا، فإنهما بلاشك سيشدان انتباه الجماهير، والكل سيبحلق "مستمتعًا" بمنظرهما معًا، خاصة إذا استطاع الهلال أن يجذبها إليه أكثر ويضمن

حبها وعشقها، والنجمة والهلال في يومنا الوطني هما المواطن والمسؤول لذلك فإن سؤالاً يطرح نفسه هنا:

أين الوطنية في حس المسؤول؟ وما موقع المسؤولية في حس المـواطن، وجوابًا لهذا السؤال يروق لكثير من الناس أن يبدأ بالسؤال عن وطنية المسؤول، خاصة فيما ائتمنته عليه الدولة من أعمال وأمور، هي ذاتها التـي سيـسأله الله عنها يوم القيامة، فالأمير والعالم والوزير والمدير والطبيب والمعلم والمهنـدس والإداري والمستخدم كل أولئك عما أسند إليهم من أعمال مـسؤولون أمـام الله أولاً، ثم أمام المواطنين ثانيًا، وتتعاظم المسؤولية بعظم المسألة. فالأمراء مـثلاً: تحت إدارتهم منطقة بكاملها وذلك يقتضي الاهتمـام الكبيـر، وفـتح الـصدور والأبواب لقضاء حاجات الناس، ورفع الظلم عنهم، وهي مسؤولية ليست بالسهلة أعانهم الله عليها دنيا وآخرة، وهكذا يكون الحديث عن مهمة العلماء وما أنـيط بهم من أمانة الكلمة وعظم المسؤولية، وهم كما هو معروف ورثـة الأنبيـاء، وكذلك ما كلف به الوزراء يحفظهم الله وما ائتمنوا عليه مـن أمـور الـوطن، خاصة ما ينفع الصالح العام... وكذلك مهمة المـديرين والقـضاة والمهندسـين والأطباء والمعلمين والإداريين والمستخدمين ... الكل أنيطـت بـه مـسؤولية، والكل مسؤول عنها، وبقدر ما يبدع المسؤول في أداء مهمته بقـدر مـا يكـون مفهوم الوطنية واضحًا في ذهنه، ويمثل – أي المسؤول – فـي هـذه الحالـة "الهلال" الجميل الذي سيحتضن "النجمة" (المواطن) وستقرب منه وتعانقه وتحبه، لأنها ستشعر أنها البنية الأساسية التي من أجلها شيدت الدولة – يحفظهـا الله – الشيء الكثير، وتبقى في عنقه قلادة المواطنة الحقيقية، عليـه أن يفكـر كيـف يتبناها، وكيف يحافظ عليها؟! وهذا ما يتأكد حضوره في القلـوب فـي يومنـا الوطني بعد غد بإذن الله فحفظ الله "رياضنا" و"نـصرنا" و"وحـدتنا" و"اتحادنـا" و"أهلينا"، و"شبابنا"، و"نجمتنا"، و"هلالنا" ولا ننسى "طائينا"، و"تعاوننا" و"اتفاقنا"، وبقية "فرقنا".

التفاعلات الكيميائية في الأندية الأدبية

(١٤١٨/٥/٢٧هـ)

أتذكر أول مخاصمة جرت بيني وبين "الأدبي" قبل خمسة وعشرين عامًا عندما تلاحم "الأدبي" مع "العلمي" في معركة داخلية لتحديد التخصص والمسار في المرحلة الثانوية، وقد شب صراع بينهما تشابكت فيه الأيدي، وتداخلت الأرجل إلى أن تمكن "العلمي" من طرح "الأدبي" أرضًا وركله وإبعاده عن قلبي، وسجلت بذلك انضمامًا رسميًا للنادي العلمي، وملأت حياتي بالنشاط العلمي، لكن هيهات أن ينفك الحبيب، عن حبيبه ويبتعد العاشق عن عشيقه، فكنت في غفلة عن العلمي أرتب لقاءات ليلة مع "الأدبي" أسر إليه بأشجاني، وأبعث إليه بالحاني، فيسقيني من الشعر، ويرويني ويمنحني من النثر، ويعطيني ويمسك بأنامل يدي يجرني إلى قلبه، فنرقص سويًا في أضواء رومانسية نتبادل الحروف، ونضرب الدفوف، ونقول للناس كل الناس إن التزاوج بين العلمي والأدبي مألوف ومعروف، وإن الأندية الأدبية ليست إلا معامل علمية تلتقي فيها الحروف. ويصاغ منها فعيل وفعلان وفعول، ويحدد فيها الصحيح ويعالج المعلول، ويرفع الفاعل وينصب المفعول.

- **الأندية الأدبية: معامل كيميائية**

لاشك أن الأندية الأدبية منابر تنويرية تلتقي فيها النخبة المثقفة لتستعرض مستجداتها اللغوية، وتراجع كنوزها الأدبية، وهي معامل يمكن أن تتفاعل فيها الحروف، وتتأكسد المعاني وقد "يشب" في بعض منها حريق بسبب الأحماض (الألفاظ) الكبريتية، أو تتآكل (تتخاصم) في بعض زواياها الكلمات، خاصة عند إضافة المحاليل الملحية فتنطلق عن ذلك أبخرة غازية، أو شرارات كهربائية.

إن الأدب: شعره ونثره، نحوه وصرفه، إبداعه ونقده، وكل ما يتصل به أو ينبثق عنه، يرتبط ارتباطًا وثيقًا بقدرات الأديب الفطرية واللغوية، لذلك فإن

هناك من الإبداع الشعري لدى شخص واحد ما لا يطال عنانه ثلة أو جيل بكامله من الشعراء، وهناك من الإبداع ما يجعل، "الذرات" في عقول بعض النقاد لا تستقر على مدار، ولا تقف على مسار، فينشغلون بتفكيك الحروف، والبحث في هندستها أكثر من بلاغتها، وقد يدخلونها في معادلة إحصائية أو تركيبة بنيوية لإجراء ما يلزم لها من فحوصات طبية، أو تحاليل معملية، وهذا النوع من الدراسات النقدية ليست إلا تفاعلات كيميائية أو تحاليل طبية لا تعرف لغة، وليس فيها "أدب" بل بعيدة عن طعمه ولونه ورائحته، ما عدا رائحة الأبخرة المتصاعدة عن تلك التفاعلات اللغوية، وقد استعان بعض أساتذة الكيمياء أو التشريح اللغوي بخريجي الدبلوم اللغوي ليعملوا كمهنيين وفنيين فألبسوهم أروبة (جمع روب) بيضاء وكتبوا على ظهر بعض منها: فكاك حروف، وعلى البعض الآخر: فني معاني وعلى ثالث: مهندس مباني.

طبيعي جدًا أن تكون هناك تفاعلات كيميائية للحروف والكلمات والمعاني والمباني بل إن ذلك أحد عوامل التحويل للمياه الراكدة، التي تعاني منها الأندية الأدبية، لكن المشكلة في الناتج النهائي للمعادلات الكيميائية، حيث إن بعضها تكون خطاباته الفكرية حارقة تمس ثوابت إيمانية عميقة، وعندها نحتاج إلى إدارة الأمن والسلامة، وإشعار الجميع بضرورة ربط الحزام، والبعد عن التهور، ونهمل وقتها المباني و"العمائر" والتشطيب الخارجي كله لننظر في العمق والأساس وكمية الحديد فيه، لأن المعاني والوقوف عند الخطاب الفكري يصبح وقتها ضرورة يجب أن نقف عندها!!

- **الخطاب الفكري**

نفي الآخر أو التقليل من شأنه أو بخسه ما يستحق لمجرد عدم الاتفاق مع طريق لا يسلكه إلا ضعاف النفوس، لذلك فنحن بحاجة إلى قمع التعاظم الذي تشربت به بعض النفوس، والعودة بالحوار إلى المنطلقات، بعيدًا عن الذوات.

ولا نريد أن نشعل النار في بعض الأجساد التي تم تلميعها في الظـلام، لأننـا ندرك أنها هشة ضعيفة قد "سمنت" من مرعى الاغتذاء الليلي (غير الـضوئي) الذي سلطته الشلة عليها ... وحتى لا نبتعد عن الخطاب الفكري في المحتـوى الأدبي (شعرًا أو نثرًا قصيدة أو رواية...) الذي هو المعبر الحقيقي الـذي قـد يفصل بعض الأدباء عن أمتهم، خاصة روحها (دينها ومعتقداتها) وهو منحنـى خطير يتساهل به بعض الأدباء فيقودون عرباتهم وإنتاجاتهم الأدبية عنده بسرعة فكرية جنونية "فينقلبون" وتتمرغ عطاءاتهم في أوحال الشيطان بعيـدًا عـن الله وحبه أو حتى الاعتراف به.

إن المتتبع لبعض الخطابات الفكرية في المحتويات الأدبية يدرك أن هناك من وقع في أخطاء فكرية عميقة قد أصابت الكبد، وهي مرة كالحنظـل تلفظهـا الفطرة، لا يمكن بلعها ناهيك عن تذوقها، أو الاستمتاع بمضغها، وليس السر في ثمرة الحنظلة نفسها، كما يعتقد البعض، لكنه في الشجرة الخبيثة التي أنتجتها أو من تبناها وغرس غرسها في مجتمعاتنا الفاضلة. أي أن المسألة مسألة جـذور، وهي ذات ارتباط بتربة عناصرها قد انفكت عن الله وتلوثت بمجار (ليست مياه) الفكر الغربي فكيف كان ذلك ؟ !

- **المثقفون والمسار الحضاري**

إن المثقفين هم أكثر فئات المجتمع تعرضًا للتحولات الفكرية، وقد أكـرم الله – سبحانه وتعالى – العديد من أبناء هذه البلاد الطاهرة بالحفظ عندما كتـب عليهم التلقي في الجامعات الغربية فأفادوا واستفادوا، إلا أن الشرر تطاير إلـى بعض من كانوا يعانون من مركب النقص، أو أن مداراتهم النهائية غير مستقرة، فاستقر في شعورها تعظيم الغرب وتمجيد أفكاره، وتبني مبادئه، خاصة بعـض أصحاب المدارس الأدبية، وقد أوضح هذا النوع من المثقفـين فـضيلة الـشيخ

صالح بن حميد عندما تعرض للثقافة، وربطها بقصائد أصحابها في محاضـرته التي ألقاها بالنادي الأدبي في جدة الأسبوع الماضـي، والتـي كانـت بعنـوان "المثقفون والمسار الحضاري" حيث يقول، والثقافة على وجه الخـصوص هـي مستودع شعوري كبير للأمة أو الفرد، تحمل الخصائص الفكرية والتـصورات الاعتقادية، والحصيلة التاريخية، كما أن للثقافة خصيصة أخرى وهي: قـدرتها على تخطي الحدود، وتجاوز عقبات الفوارق الجنسية واللغوية، ولاسـيما فـي عصرنا هذا الذي سهل فيه انتقال المعرفة والثقافة والآداب عبر أجهزة التقنيـة المتطورة عبر الوسائل التقليدية، كذلك فأصبحت بذاتها عقيدة عنـد الملتـزمين بمذاهبها الفكرية الاعتقادية، وإن صورت على أنها مـدارس فنيـة أو منـاهج إبداعية فهي في حقيقة الأمر عقائد عند أصحابها يسعون في نشرها، ويـدافعون عنها، وباسمها يقبلون ويردون ويوالون ويعادون".

إن وزن عناصر التفاعل اللغوي وضبط مقاديره، ومعرفة معاييره، لا يقل أهمية عن عناصر المادة وتفاعلاتها، ومعرفة أوزانها، كي لا تؤدي إلى تكـوين مركبات حارقة أو شاذة.

شديد السكر من غير المدام

(١٤١٨/٦/١٨هـ)

دعوني في بداية مقالي هذا أوضح لكم معنى كلمة مدام التي جاء ذكرهـا في بيت الشاعر:

عليل الجسم ممتنع القيام
شديد السكر من غير المدام

"المدام" بضم الميم وليس فتحها إذ لو كانت بالفتح فإن معنى ذلـك عنـد "المودرن" من الناس: الزوجة. ولو أخذناها بهذا المعنى فقد يستقيم معنى البيـت السابق لأن بعض الرجال من غير "مداماتهم" (زوجاتهم) يكونون في حالة مـن السكر شديدة، وقد وقع ذلك لشخص أعرفه وهو من علية القوم ومن يملأ همومه "ملابسه" لحمًا وشحمًا، حيث كتب عليه أن يسافر في مهمة لمدة شهر، وبعد أن عاد كان لسان حاله يحكي فيقول: "استرجلت في بداية سفري، وأظهرت أني من الأشداء ولا يمكن أن يهزني الشوق للمرأة ولا أن تلين قنـاتي أمـام عـواطفي ببعدي عن "المدام" (الزوجة) لكن المجاملة في هذه الأمور لا تطـول، فمـا أن انتهى الأسبوع الثاني حتى أصبحت "شديد السكر من غير المدام" وغدوت أترنح وأبحث كالطفل عن "المصاصة لأسد بها رمق جوعي، أو أتلهى بها حتى يمضي شهري المكتوب، وإذا اختليت مع نفسي فإنني أغرق بالآهـات ولـوم الـنفس والتساؤل: لماذا كنت أعاملها في بعض الأحيان سيئًا؟ كم كانت طيبة؟ إنها بنـت حلال: كم مرة راعت خاطري، وحفظت أمري، وأحبت صبري، آه متى سأعود لأعاملها معاملة طيبة"؟، ويحلف صاحبنا بالله أنه ما طلع الشهر إلا وروحه قـد طلعت معه، ووصل إلى مرحلة من الشوق والتوق: شوق الروح وتوق الجسد ما لا يمكن تصوره، وكان يتألم يومها ويظهر شيئًا من الزفرات وكأن الدنيا ضاقت عليه حتى منّ الله عليه بالعودة للأحباب.

ينكر بعض الرجال على صاحبنا مثل هذه الحالة والسلوك، وينظرون إليه بأنه عاطفي أكثر من اللزوم، وأنا أظن ذلك شيئًا طبيعيًا لأن الله سبحانه وتعالى يصف الزوجة بقوله تعالى: {لتسكنوا إليها} فلنتصور شخصًا ما قد ذاق طعم الحياة في مسكن خاص، وكان المسكن عال العال، ونسماته منعشة، حتى أنها لتصل إلى خلايا الجسم فتغذيها، وإلى أروقة الروح فتطمئنها، وتنميها، ثم تخرجه فجأة في العراء، حيث الصحراء ينام على الأرض ويلتحف السماء ولا شيء يؤويه فكيف يكون حاله؟! خاصة إذا كانت الزوجة كما وصفها الرسول الكريم ﷺ "إذا نظرت إليها سرتك وإذا أمرتها أطاعتك وإذا غبت عنها حفظتك" أليس من حقه أن يسكر ويدوخ ويترنح؟!

أعود مرة أخرى إلى المدام التي جاء ذكرها في البيت السابق لنعطي مدلولها بضم الميم لا فتحها.

- **المُـــدام**

المدام بضم الميم تعني الخمر وهي – أي لفظة الخمر – دلالة لغوية قوية، حيث هي كل مسكر مخامر العقل مغط عليه، وخمر الشيء أي ستره وخمر الشهادة كتمها، وخمر الوجه أي تغطيته، والخمر كحقيقة علمية لا تعدو أن تكون مغطية لمناطق المخ العليا الموجودة في القشرة لفصي المخ Cerebral Cortese وهي مراكز الإرادة، والأخلاق، والفكر، والروية، والاتزان والتصرف، وكل ما له علاقة بالعقل. تلك الأداة غير المرئية التي تضبط تصرف الإنسان من الوقوع فيما هو ضار على حياته، لذلك فإن المدام "الخمرة" تذهب العقل كما تذهب المدام "الزوجة" عقل الرجل أحيانًا، لكن سكارى الخمر يموتون ألمًا، ومرضًا، وحسرة، وندامة، وسوء خاتمة، بينما سكارى الزوجات يموتون حبًا، وشفاء، وفرحة، وحسن خاتمة، خاصة إذا كن زوجات مؤمنات قانتات صالحات عابدات يحترمن الزوج ولا يكفرن العشير، وليس الحديث في هذا المقال عنهن إنما عن سكارى الخمر فماذا نقول؟!

- **سكارى المدام**

لم أقرأ لشاعر قد أسرف في ذكر الخمر في شعره مثل أبي نواس الـذي عب من الكأس حتى ارتوت أضلعه، وامتلأت جوانبه، وسالت مدامعه، ففاضت حروفه وكلماته شعرًا مخمورًا حتى أطلق عليه رائد "الشعر الخمـري" وكـان يترنح في الشوارع وهو يقول:

عاج الشقي على رسم يسائله
وبت أسأل عن خمـارة البلد

ولم يكن أبو نواس على علو كعبه في وصف الخمر وشربها حتى الثمالة نسيج وحده في ذلك، فقد سبقه من وصف الخمر وأحوال شاربيها، من ذلك مثلاً: الأعشى وعدي بن زيد والأخطل والوليد بن يزيد لدرجة أنه يقال أن أبا نـواس تأثر كثيرًا بما قاله الوليد، حتى إنه ليشبهه في تكرار بعض الأبيات مثـل قـول الوليد:

أصدع شجي الهموم بالطرب
وأنعم على الدهر بابنة العنب

وقول أبي نواس:

إذا خطرت منك الهموم فداوها
بكأسك حتى لا تكون همـوم

إن حلمات اللسان التي تستقبل جزيئات الخمرة، وخلايا الجسم التي تنـام بداخلها تلك الجزيئات، لا ترضى إلا وأن تشعل الجو مزمارًا، وتوقد القلب نارًا فيصحب كل مخمور لهو، وطرب، ومجون، وعبث، بـل إن مجـالس الـسكر و"بارات" الأقداح لا تخلو من الطرب والرقص، لأن "السكارى" ينظـرون إلـى الحياة بأنها مهزلة لا قيمة لها وما على الإنسان إلا تناسـيها بالانغمـاس فـي الملذات الدنيوية، وهذه الصورة هي التي كان يقدمها أبو نواس وأمثاله في فهـم الحياة. إننا نكتشف أن من وراء ذلك – عند جميع السكارى – مرارة وتشاؤمًا

وضياعًا، ربما كان سببه عبثهم بحقائق الحياة واسترسالهم في أسباب اللهـــو، إن الحياة أثمن مما في أيدينا، وإن سعادتها قائمة على تفهم قيمتها الحقيقية، والسعي لإدراك مراميها، وكيف أنها دار إعداد وتهيئة للآخرة؟ وليس دار كـــأس فقـــط، وأن خمر الآخرة خير وأبقى كما قال تعالى: ﴿وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ﴾ [ســورة محمد/آية ١٥].

- **شديد السكر من غير المدام**

في بعض معاجم اللغة كلمة السكير تعني شديد السكر، وأن كلمة الـــسكر كلمة فارسية معربة، وأن سكرة الموت تعني شدته، ومنها كلمة ســـكارى التـــي وردت في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع مرة سكارى الخمر في قوله تعـــالى: ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ﴾ [سورة النساء/آيـــة ٤٣]. ومرتين سكارى العذاب بحلول يوم القيام في قولـــه تعـــالى: ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [سورة الحج/آيـــة ٢]. وفي ذلك دلالة أن هناك عوامل أخـــرى تؤدي إلى تسكير الإنسان، وتغيبه عن وعيه، وتلك هي الشدائد في الحياة، بـــدءًا من الأمراض المؤلمة الجسدية منها، والنفسية، ومرورًا بالمـــصائب والبلايـــا، وانتهاء بالموت الذي يدخل من باب السكرات، والتي ما يسلم منها أحد حتى أن المصطفى ﷺ كان وهو يصارع الموت يقول: "إن للموت لسكرات" وقد وضـــح الله – سبحانه وتعالى – ذلك بقوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾. يواجه بعض الناس في حياتهم صعوبات وصدمات تجعلهم مـــن شـــديد السكر، عليلي الجسم، ممتنعي القيام، كما قال المتنبي:

عليل الجسم ممتنع القيام
شديد السكر من غير المدام

فحفظ الله علينا أجسامنا، وقيامنا، وعقولنا، و"مدامنا" (فتح الميم لا ضمها).

عباس الحساس !!

(١٤١٨/٦/٢٥هـ)

هناك اسطورة قديمة تحكي: أن هناك واليًا اسمه عباس شعبط، يعاني من مرض "الشعبطة" وهو مرض يصاب به بعض الناس من أهم مظاهره (أعراضه) الشعبطة (التمسك والتعلق) بالرأي والإصرار على أنه هو الصحيح دون سواه، وعندما يعارضه أحد فإن ذلك يجعله يصاب بالحساسية، مما يجعله يحك في جسمه ليلاً ونهارًا إلى أن يسحب معارضه رأيه، وإلا فإنه سيستمر في الحككة (الحساسية) وسيكون حساسًا في جسده وفي نفسه فما أن يكلمه أحد صغير أو كبير إلا ويطير في وجهه، لذلك أطلقوا عليه عباس الحساس، المهم أن هذا الوالي اختلف مع أحد وزرائه في إمكانية تغيير طبع الناس فأصر الوالي على أن التطبيع والترويض يستطيعان تغيير الطباع، واستشهد على دعواه هذه بقطط علمها: أن تحمل الشموع، وتقف حول المائدة أثناء انهماكه في الأكل دون أن تنبس أو تقول "نيو" وأنكر الوزير أن يكون هذا صحيحًا، وطلب من الوالي أن يرى ذلك على الطبيعة، فدعى الوالي عباس بعض ضيوفه من الوجهاء والوزراء وأمر بالقطط فجاءت، وطلب منها أن تقف فوقفت حاملة الشموع لا تنبس بكلمة ولا يسمع لها "نونوة" مع أن رائحة السمك "تصقع" في الدماغ، لكن الوزير الذي عارضه في رأيه حضر متأخرًا وأحضر معه مجموعة من الفئران فأطلقها أمام القطط التي تحمل الشموع فألقت ما في يدها وطارت في إثر الفئران، فاشتعلت النار في قصر ذلك الوالي.

هذه القصة الخيالية الواقعية قادتني لأن أقول بأن سر مذاق الشيء "يكمن في أصله كما قيل "كل شيء بالمذاق يعود لأصله" وكذا تصرف كل إنسان يعود لطبعه فحق هذا صحيح؟!.

المذاق ولون الأخلاق

انهمك بعض علماء النفس في دراسة الطباع الجسدية والنفسية لإمكانية الربط بينهما وهناك دراسة تقترح تصنيف البشر جسديًا وأخلاقيًا (طبائعيًا) إلى فئتين على النحو التالي:

- فئة النحاف (النحال) وهم الذين يكون متوسط طولهم ١٦٩سم، ووزنهم ٥٠ كجم، والنساء في هذه الفئة متوسط طولهن ١٥٤سم ووزنهن ٣٣ كجم وهم/هن من اسمهم يعانون من نحافة الجسم من رأسهم لأخمص أقدامهم، ومعظم أصحاب هذه الأجسام يقعون تصنيفيًا من حيث التصرف والسلوك ضمن إحدى الدوائر التالية:
  ١- المهذب الحساس وهو مثل صاحبنا عباس.
  ٢- المثالي المعادي للغير ويميل في طبعه للعزلة.
  ٣- المتسلط بارد الطبع والأناني.
  ٤- العاجز وجاف العاطفة.

والفئة السابقة ذات طباع انطوائية، وظل ثقيل، تميل في أغلب الحالات إلى التطبع لتخفي طبعها مما يدل على أنها لا تظهر على حقيقتها في غالب الأحوال.

- أما الفئة الثانية فهي عكس فئة النحاف (السمبتيكة) نقصد فئة السمان (المتان) وقد حددت أجساد هذه الفئة بمتوسط طولي للرجال ١٦٨سم ومتوسط الوزن ٦٨ كجم بينما متوسط طول النساء ١٥٦سم ومتوسط وزنهن ٥٦كجم. وأهم ما يميز هذه الفئة حسب ما يقرره صاحب هذه الدراسة أن النمو الظاهر لمحيطات أجزاء الجسم، تمتاز بطبيعة دهنية، وظهور كرش ووركين، وقد تعجب العالم عندما لاحظ أن معظم حالات الدراسة من هذه الفئة ذات سيقان نحيلة، ومما لوحظ على هذه الفئة كذلك أن جلدها طري وأن الطبقة الدهنية عند النساء تتركز في الجذع والأرداف، وتبين من خلال

الدراسة أن هذه الفئة من الناس أحسن حالاً من حيث الطباع والسلوك، ويتصفون بأن دمهم خفيف، وقلبهم طيب، ولا يخرج الواحد فيهم عن كونه واحدًا من الأصناف التالية:

١- النكتي الذي يريد أن يحيا يومه ويعيش لحظته.
٢- الثرثار وهو كثير الكلام ويميل إلى محادثة الغير بروح مرحة.
٣- السكوت طيب المزاج، وهو الذي لا يرغب التدخل في شؤون الغير، لكنه من أصحاب المزاجات الرايقة.
٤- السعيد المستمتع بالحياة وكما يقولون "طر في الدنيا كلها".
٥- العملي النشيط وهو صاحب همة في النواحي العملية.

وصاحب الدراسة أضاف فئة ثالثة، لكن لا داعي لذكرها الآن وهي فئة قريبة للفئة الأولى، نستنتج من ذلك كله أن للتصرفات والسلوك والأخلاق ألوانًا متعددة، وأن لون الأخلاق يعادل فيما يعرف طعم المذاق، وأن الطبع حقًا يتأصل في النفوس، وله جذور في نفس صاحبه إلا أن نمو عوده، وظهور فروعه، وغصونه، وانتشار أوراقه، يعتمد على الإنسان نفسه. فهناك إنسان قد يكون طبعه البخل، لكن تربيته ونشأته علمته ألا يكون لهذه الخصيصة ساق ولا عود ولا فرع ولا غصون ولا أوراق فهو طبع منجذر، لكن الانتباه والرعاية والتربية فهمته أن للبحث حدودًا وكذا الحديث عن الحسد والغضب وبقية الطباع والسلوكيات والأخلاق، ويتفاوت الناس في ذلك تبعًا للعاملين: التجذر ومحيط التربية. والسؤال الذي يمكن طرحه هنا: لماذا معظم الناس هذه الأيام تسكر من زبيبة، وتغضب بسرعة، وحساسة من كل شيء؟!.

الواجهة الشخصية

إن الطبع هو الواجهة الحقيقية للشخصية البشرية، وهو يتصل بها اتصالاً وثيقًا. لكن ظاهرة "النرفزة"، والعصبية الزائدة ليس لها علاقة على الإطلاق بطبائع الناس، إنما هي إفرازات نفسية تنمي عن عدم استقرار النفوس، ولهثها

المستمر خلف مدارات الحياة، مما يؤدي إلى سرعة غـضبها مـن أي شـيء ويكون الإنسان قابلاً للفرقعة في أي لحظة. فالبعض تتم تعبئته في البيت فينفجر على الناس في دائرة عمله، والبعض الآخر يتشحن خارجيًا فيفرغ كل حره كما يقولون في بيته، وهكذا نجد أن معظم الناس أصبحوا في دورة نفسية عصبية لا يمكن إلصاقها بأي حال من الأحوال بالطبع، إنما هي أخلاق الناس، وتغير طباع الحياة نفسها، والإخلال بالنظام الفطري في التعامل، وقد شكا لـي يومًـا أحـد المثقفين وهو "أستاذ جامعي" بأنه عندما سكن في أحد الأحياء الراقية، ومعظـم أهل هذا الحي من المثقفين وعلية القوم إلا أنه أحبط، وقرر أن يغادر سكنه هذا، وذلك لمضي وقت طويل جدًا ولم ير جارًا واحدًا. فقط من جيرانه يسلم عليـه، ولا يهنئه بالسكن، بل إن البعض يواجهه عند الدخول أو الخروج بوجـه غيـر طلق، وعندما يبادر هو بالسلام يواجه ببرود عجيب، ووجوه قد علتها الكآبـة، ليس لديها استعداد حتى لاستقبال السلام. وحيث إن صاحبنا كبيـر نـسبيًا فـي السن، وممن ذاق طعم الجيرة وعرف حلاوتها وهو بطبعه بشوش يقابلك دائمًـا بالكلمة الحلوة والابتسامة العريضة وعباراته الدائمة: "اطلب" "أنت تـأمر" "مـن عيوني الاثنين" فقلت له بعد أن قرأت الدراسة السابقة فتش عن جيرانك، يمكـن سكنت في حي النحاف، فقال مداعبًا – يا الله على يدك دلني على مخطط السمان (المتان)؟!.

بالله عليكم كيف ينام جار لمدة عام ليلة بعد ليلة ولا يعرف عـن جـاره شيئًا؟! أليس بيننا من يهتدي بهدي النبوة الذي يوضح أن جبريل عليه السلام لا يزال يوصيه بالجار حتى ظن عليه الصلاة والسلام أنه سيورثه، فيا أهل الـدار ابحثوا واسألوا عن الجار ولاتقولوا هذا طبع إنما ذلك تول وفرار.

رأي فكانت كما رأى !!

(١٤١٨/٧/٩هـ)

من يقرأ صفحة الإنسان الجسدية من أعلى شعرة في رأسه إلى آخر خلية في "بدرون" قدمه فإنه لا يملك إلا أن يدخل في خشية وبكاء ووجل وتعظـيم لله رب العالمين ليتمثل فيه قوله تعـالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ سُجَّدٗا ١٠٧ وَيَقُولُونَ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولٗا ١٠٨ وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعٗا﴾ [سورة الإسراء / آية ١٠٧-١٠٩].

والعلم اليوم يستنطق هذا التركيب العجيب، ويستدعيه بين الفينة والأخرى ليلتقط له صورًا ويجري معه تحقيقًا بغية أن يظهره للناس ويطلع النفوس عليه. فمثلاً لم يعد علم البيولوجيا اليوم – بأدواته وأجهزته الحديثة يجري تفاهمًـا إلا مع الجزيئات. فليس الحديث حديث أجهزة وأعضاء وأنسجة، إنما هو الغـوص في أعماق البنية الأساسـية "الخليـة" Cell سـيتوبلازمها ونواتهـا، تكويناتهـا وعضياتها، حياتها ومماتها، ومع ذلك فإن هناك خلايا إلى يومنا هذا "عذارى" لم تمسسها يد عالم، ولم تغمز لها عين باحث، ولا تعرف النظرة والابتـسامة، ولا الموعد ولا اللقاء، لأنها في مكامن الغيب الذي لا يعلمه إلا الله – سبحانه وتعالى – وليس ذلك إلا ليعرف الإنسان أنه لم يؤت من العلم إلا قليلاً، وبالتالي يعـرف قدره، ويؤمن بربه.

خلية واحدة تكفي!!

أميل غالبًا انتبهوا – غالبًا – للقول بأن زوجة واحدة تكفي وفقًا للمعادلـة التالية:

ودود + ولود + سكنى (راحة نفسية وجسدية) = تكفي

أما إذا اختل شرط من الشروط السابقة فإنه يصبح واحدة لا تكفي ويحتاج الرجل لتغطية الناقص من تلك الشروط بحسب المطلوب فيستمر في البحث ليتم تحقيق المعادلة السابقة، وقد يكون ذلك بالمثنى أو الثلاثى أو الرباعى.

الذي قادني للقول السابق هو أن في الجسم البشري خلية واحـدة تحمـل شروط الزوجة الواحدة السابقة الذكر، فهي ولود لأنها الوحيدة التي تـستطيع أن تعطي عند انقسامها أي نوع من أنواع الخلايا، وهي ودود لأنه يـسهل التفـاهم معها، وتجي على "الكيف" عند دراستها، وإجراء التجارب عليها، لذلك يقـال إن خلية واحدة من تلك الخلايا تكفي لأن تعطي جنينًا كاملاً وهي ما تعرف بالخلية الأصلية Stem Cell فهي سيدة رائعة، جميلة بارعة، طويلـة، فارغـة، لؤلـؤة ساطعة، يحبها علماء الأجنة لأنها امرأة ذات مواقف، تكرم الـضيف، وتـصل الرحم، وتساعد المنقطع، وتعين على نوائب الزمن، إنها خلية لا كالخلايا تسكن في أماكن مختلفة، وتفضل أركان العظام وهي مسؤولة عن إعطاء خلايـا الـدم باستمرار، وهي خلية بكر يتهافت العلماء على خطبتها، وقد دوخوها بالاتـصال الهاتفي (إجراء الأبحاث) وأزعجوها بإرسال الفاكسات (مواد كيميائية) ومع ذلك فإنها لا تزال تبحث عن شريك حياة لها من "العلماء" الذي لو قدر لأحدهم كشف الغامض من أمرها، لأصبح اسمه قريبًا لاسمها، ونال على إثر ذلك جائزة نوبل، أو جائزة الملك فيصل العالمية، والخلية الأصلية صاحبة حسب ونسب. وجمـال وأدب، وما تقوم به يحير العقول ويورث العجب، لكن أمرها إلى اليوم لا يـزال غامضًا، ما عليكم أيها القراء دعوها ما دام أنها تتدلل، وعـن كـشف حجابهـا تتعلل، وتعالوا لأحدثكم عن سيدة نعرف شيئًا من أسرارها، ورحبـت بالعلمـاء فأزالوا غشاءها "غشاء البلازما" ونقبوا في دارها وتعمقوا في أسـرارها، إنهـا سيدة الجسم البشري والمتحكمة فيه والمتسلطة عليه، إنها الخلية العصبية سيدة لا كالسيدات.

سيدة لا كالسيدات

الخلية العصبية ذات طبيعة خاصة في ولادتها ونشأتها ومماتها، وهي عند بلوغها تصبح وصيفة ذات أيد متدلية "الزوائد الشجرية" تتهافت عليها أفواه الخلايا الأخرى لتقبلها، وتأخذ منها الأوامر، وفي داخلها تنبض النواة، ويحتوي سيتوبلازمها على بصمتها الخاصة "جسيمات نسل Nissl Bodies" وهي خلايا لا يمكن أن تنقسم أو تتكاثر بعد خروج الجنين من بطن أمه، وذلك لحكمة إلهية لأنها خلايا "كمبيوترية" تحتوي على "ديسكات" لتخزين المعلومات، فهي سيدة لا كالسيدات تحكم عقلها قبل قلبها، ولا مجال عندها للعاطفة، وهي سكرتيرة أنيقة عند البحث عن أي ملف، أو طلب، أي معلومة فإنها سريعة الاسترجاع، وفي ثوان تقول لك: "أمرك يا افندم" وفي داخل الجسم تملك أرقى شبكة انترنت، وقد لاحظ العلماء أن الخلية العصبية للأنثى غالبًا ما تحتوي نواتها على كتلة صغيرة غامقة من المادة الصبغية على شكل عصية تدعى بالكورمتين الجنسي، ولعل في ذلك رسالة لنا معشر البشر بأن هناك خصوصيات للمرأة، وخصوصيات للرجل، وليس الذكر كالأنثى، ولكل منهما حقوق، وعلى كل واحد منهما واجبات، وفي مخ الإنسان تكون الوظائف العليا (الذكاء، والابتكار، والذاكرة، والتعليل) لذلك فإن عدد الخلايا العصبية عند الشاب يقرب من مليون المليون خلية عصبية، وحيث إن المخ دائمًا في حالة تخزين للمعلومات، وهو المسؤول عن الجسم فإنه بحاجة إلى طاقة مستمرة فيلزم ذلك أن تمد الخلايا العصبية بالوقود، وسكر الجلوكوز هو أفضل وقود تحرقه، وتستعمله الخلايا العصبية لذلك فإنه "أي الدماغ" يستهلك ربع كمية الأكسجين التي تدخل الجسم في وقت الراحة، مع العلم بأن الدماغ لا يشكل أكثر من ٢٪ من وزن الإنسان، ويخطيء كثير من العامة والمثقفين عندما يقولون نحن نرى بأعيننا، ونسمع بآذاننا، فهذا من الناحية العلمية البحتة غير صحيح فالعين والأذن وسائل إحساس لالتقاط المؤثرات فقط، والدماغ لا يستقبل صورة، ولا صوتًا، ولا رائحة معنية، ولكن

كل هذه المؤثرات تتحول إلى تيارات كهروكيميائية (Electrochemical) يعرف الدماغ كيف يتعامل معها ويحدد فحواها.

أما العجيب جدًا فهو المخيخ وهو منطقة مسؤولة عن بقاء الإنسان في وضع قائم، وهذا التوازن عبارة عن معلومات مخزنة في الخلايا العصبية لمخيخ الإنسان، ومن تتآكل عنده هذه الخلايا فإنه يفقد الاتزان، وتتحول مشيته إلى أربع "على اليدين والرجلين" وهو الوضع الطبيعي لمخيخ القطط والأغنام والأبقار، فسبحان الذي ميز مخيخ الإنسان عن غيره من سائر الحيوانات.

ليس مهمًا أن نستطرد في النواحي العلمية للخلايا العصبية، إنما نركز على علاقتها بأحوال الناس ورؤاهم وأحلامهم فماذا يمكن أن نقول؟!

رأى فكانت كما رأى

الرؤيا الصادقة ذات المنبع الإيماني، والتي تجيء كفلق الصبح ليس من السهل أن نتلمسها اليوم، لذلك فإن معظم أحلام الناس اليوم وما يظنون أنها رؤى ينتظرون تصديقها، إنما هي أوهام أو أحلام. أوهام شيطانية، لأن صاحبها نام على غير ذكر الله، وأحلام نفسية يعبي صاحبها "زنبرك" عقله فيما يشتهيه ويتمناه، وفي ذلك كله عقد لاتفاقيات سرية مع الخلايا العصبية لتخزين ما سبق ذكره ومن ثم عرضه كأفلام في المنام، وهذا يجعلني أقول وأنا مطمئن أن ٩٩,٩٩٪ مما يظنه الناس رؤى ليست إلا أوهامًا وأحلامًا وينفرد الذين لا ينامون على ذكر الله بالأوهام، بينما تبقى الحصة الأخرى "الأحلام" لما كانت تفكر فيه النفوس، ويستوي في ذلك جميع البشر المتدينون والصالحون" مع غير المتدينين "الطالحون"، وكما يقولون "الجيعان يحلم بسوق العيش"، وليس ذلك إلا أن الخلايا العصبية تستيقظ في جوف الليل لتعرض الشريط، وتجعل صاحبها يعيش في لحظات نفسية تتوافق ورغباته الداخلية.

إن الرؤيا الصادقة من المبشرات، كما ورد بذلك الحديث، وإذا رآها صاحبها فإنها ستتحقق إن آجلاً أو عاجلاً، كما حدث ذلك لرسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [سورة الفتح/آية ٢٧]، يقول ابن كثير في تفسيره: "كان رسول الله ﷺ قد رأى في المنام أنه دخل مكة وطاف بالبيت. فأخبر أصحابه بذلك وهو بالمدينة، فلما ساروا عام الحديبية لم يشك جماعة منهم أن هذه الرؤيا تتفسر هذا العام. فلما وقع ما وقع من قضية الصلح، ورجعوا عامهم ذلك على أن يعودوا من قابل، وقع في نفس بعض الصحابة رضي الله عنهم من ذلك شيء، حتى سأل عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – في ذلك، فقال له فيما قال: أفلم تكن تخبرنا إنا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: "بلى أفأخبرتك أنك تأتيه عامك هذا"، قال: لا، قال النبي ﷺ "فإنك آتيه، ومطوف به، وبهذا أجاب الصديق رضي الله عنه أيضًا، ولهذا قال تبارك وتعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾، لقد رأى عليه الصلاة والسلام فكانت كما رأى، وفي ذلك دلالة على أن الرؤيا الصادقة ذات ارتباط وثيق بالقلوب الربانية، الصافية التقية، الطاهرة النقية، وليست تلك التي تبعد عن ربها، وتتمنى على الله الأماني، أو تلك التي تغتر بالمظهر الديني فقط، وهي تمتليء بالحقد والحسد والأنانية، وتسترسل في تمجيد ذاتها، وتدور حول نفسها، فتتطبع في خلاياها العصبية بأنها هي وحدها ذات الدين، والاصطفاء، والاختيار، فتعرض لها الخلايا العصبية الشريط كل ليلة، وتوهمها بأن ما تراه رؤى وهي ليست إلا أحلامًا وأوهامًا خاصة بعد الأكلات الدسمة التي تجعل الخلايا العصبية تتخبط، ولا تتحكم بنفسها.

كأنه هو وليس بهو فما هو ؟ !

(١٤١٨/٧/٣٠هـ)

في مدينة أوروبية لاهية، فيها من "البارات" وأماكن الرقص ما لا يمكن حصره، والجو الاجتماعي فيها مدعاة لأن ينسى الإنسان نفسه بعد أن يكون قد نسى ربه، وكما هو معروف فإنه لا عاصم من الانزلاق في هوة الرذيلة إلا الضمير "المرتوي" بحب الله والخوف منه خاصة من هم في عمر الزهر (الشباب).

في غدوة جماعية "شللية" في أحد مطاعم تلك المدينة اللاهية كنت أتجاذب أطراف الحديث مع أحد الزملاء، وبينما أنا منهمك في تناول ما لذ وطاب، مرة أمسك الملعقة والشوكة بأطراف أناملي لأمشي على "الإتكيت" وأشم بهما رائحة الطعام، ومرة أخرى أضرب بخمس (أي آكل بيدي) لدرجة أني أترك الصحون تلمع، المهم فجأة توقفت عن الطعام بل أضربت عنه وبدأت أتساءل هل ترون ما أرى يا شباب ؟! أومأ أحدهم؛ نعم. فقلت له: أيعقل أن هذا فلان بن فلان الذي نعرفه ؟! يفعل هذا ويجالس تلك؟! وأخذت أتفحص من على بعد شكله ووجهه، وهو جالس على طاولة بعيدة عنا شيئًا ما ويعلم الله أن قلبي أخذ يخفق، وعافت نفسي الأكل، وبعد تناول الموضوع بيني وبين نفسي قررت أن أذهب إليه لأحذره من خطر الإيدز الذي بجواره، لكن موقفًا كهذا أخجل فيه أن أنظر لصاحبه، ناهيك عن نصحه.

صمت جميع من على الطاولة ما عدا الصحون والملاعق والشوك فإنها بدأت تتهامس ويقرب بعضها من بعض، وكل واحدة تهمس في أذن شقيقتها كلامًا لا تفهمه، حتى الطاولة التي كنا نتناول عليها الطعام نفضت عنها كل ما فوقها، وطلبت منا أن نترك لها فرجة، ونفسح لها الطريق لتسير هي الأخرى إلى أختها، فقد احمرَّ وجهها من الغضب وأخذت تبكي وتصيح وتقول: يا ناس

أريد أن أذهب إلى أختي، أنا في قلبي نار، وفي نفسي حاجة، أريد أن أقولها، فأفسحنا لها الطريق فانطلقت وهي "تودود، كلامًا لم ندرك معناه ولا عرفنا مغزاه. وعندها اقتربت من زميلي الذي له معرفة بذلك "الفلان" صاحب الطاولة البعيدة، وألصقت "ثمي" (أي فمي) إلى أذنه طالبًا منه أن يذهب هو "لفلان" ليتحدث معه وينصحه، لكنه هدأني قائلاً: لا لا يمكن أن يكون هو، إنه واحد آخر يشبهه. يريد بذلك أن يبعد الشبهة عنه، فقلت حينئذ: أما أنا فلن أتركه فريسة لفيروس الإيدز، وأصررت وتحركت للتأكد أولاً من شخصه، وثانيًا من فعله، وعلى مسافة ليست بالقريبة ولا البعيدة استظهرت ملامح الرجل فإذا بي مرة أقول: إنه هو وذلك عندما يخطر ببالي ضرورة إنقاذه من الفيروس، ومرة أخرى أقول كأنه هو، وذلك عندما يخطر ببالي ضرورة ستره وأن أترك الخلق للخالق، وترددت في إكمال المشوار، لكنني تذكرت الطاولة والصحون والملاعق والشوك التي ما أن سمعت بالأمر حتى تحركت، وبدأت تتداول الأمر وتتشاور فيما بينها فيما يمكن فعله بهذا الصدد، لقد ذهبت فعلاً ويا ليتني ما ذهبت. ذهبت فإذا أنا وجهًا لوجه مع صديقي الذي أعرفه بشحمه ودمه ولحمه، فبادرته بالتحية قائلاً: هلا والله كيف الحال يا فلان!؟ فإذا به يتنكر من المعرفة قائلاً: يا هلا بس تراني ماني فلان فقلت له: عفوًا يخلق من الشبه أربعين، لكن يا عزيزي أما أنك أنت "مضيع" أو أنا مضيع، وبكل برود ذكر اسمه فإذا الاسم غير الاسم، عندها تنفست الصعداء، وقلت بدون شعور، (ولا ناجل): الحمد لله يا رب وصحبت نفسي وعدت بسرعة إلى طاولتي مهيصًا مليصًا بل كلي فرح ونشوة لا يعرف قدرهما إلا الله سبحانه وتعالى، وأخبرت الزملاء بأنه لم يختلف على الرجل فيما أعرف إلا بالصوت وشيء بسيط جدًا من ملامح الوجه بالإضافة إلى اسمه، ونظرت إلى الطاولة فإذا هي مستقرة في مكانها، وإلى الصحون والملاعق والشوك، فإذا الجميع قد هدأت نفوسهم واستقرت قلوبهم، حتى أن بعض الملاعق أخذت تعانق بعض الشوك من الفرحة، ووجهت بعد ذلك عتبي إلى الطاولة

والصحون والملاعق والشوك، بل تحرككم في البداية وهمسكم دفعتني لما بـدر مني فانبرت شوكة من الشوك لتقول: لقد غضبنا من سوء ظنك فيمن تعرف؟ ثم تقدمت ملعقة وبدون مقدمة أخذت تقول: لقد أحدث ذكرك لاسم فلان شرخًا فـي نفوسنا وألمًا في قلوبنا، فتحركنا جميعًا لنعبر عن استيائنا وأخذنا نتهامس لنعزز الثقة وعدم أخذ الأمور بالظن من بعيد، ثم انفردت الطاولة بالحديث لتقول: لقـد غضبنا من سوء ظنك فيمن تعرف، ثم تقدمت ملعقة وبدون مقدمة أخذت تقول: لقد أحدث ذكرك لاسم فلان شرخًا في نفوسنا وألمًا في قلوبنا فتحركنـا جميعًـا لنعبر عن استيائنا، وأخذنا نتهامس لنعزز الثقة وعدم أخذ الأمور بـالظن مـن بعيد، ثم انفردت الطاولة بالحديث لتقول: تصور لو أنك لـم تتأكـد بنفـسك ألا تصبح سيرة هذا الرجل بين القيل والقال؟ إن شيئًا واحدًا نعذرك فيه وهـو: أن الأمر اشتبه عليك، وما أن سكت الجميع حتى أبديت أسفي أولاً لأن من أعرفـه أكبر من أن يكون كذلك، وثانيًا لأن الظن أكذب الحديث، وقد ينشأ الظن بـسبب عدم وضوح الرؤية، وبذلك تظل الحزورة قائمة: كأنه هو وليس بهو فما هو؟ !

كأنه هو وليس بهو فما هو؟!

صحيح، إن حل الفزورة السابقة هو صديقي الذي اشتبهت في أمره فـي القصة السابقة، لكن الإجابة الأصح هو أن "التوائم المتشابهة" أو "الاستنساخ" هو الحل الأمثل للفزورة، وحيث أن كتابي "الاستنساخ: تقنية فوائد ومخـاطر"، لـن أعتبره حلاً للفزورة، وبالتالي لن أحدثكم عنه وسأقصره على التوائم المتشابهة، لاحظوا أن هناك توائم غير متشابهة لأن منشأها من بويضتين مختلفتين من نفس الأم، يخصبهما حيوانان منويان مختلفان من نفس الأب، لذلك فإن درجة التشابه بينهما كالتشابه بين الأخوة أنفسهم، مما جعل العلماء يطلقون عليها اسم التـوائم الأخوية. وهذا النوع من التوائم لا تنطبق عليه الفزورة، أما التـوائم المتـشابهة فإنها تنتج من بويضة واحدة يخصبها حيوان منوي واحد وعند انقـسامها – أي البويضة المخصبة – فإن الخلايا تنفصل عن بعضها فينـتج عـن ذلـك أجنـة

متشابهة ١٠٠٪ لدرجة أنه لا يمكن التفريق بينهما إلا بالاسم فقط وهي المقصودة بالفزورة.

بعض حالات التشابه بين البشر (غير التوائم) تصل إلى حالة التوائم المتشابهة لدرجة أنك لاتستطيع أن تفرق بينهما بسهولة، وهذا ما حدث معي في القصة السابقة، ولا أتهم أحدًا في ذلك إلا "الجينيات" لكن كيف؟! لا أدري.

على أم مصطفى أمين ؟!

سجلت حالات عديدة للتوائم المتشابهة في العالم كما أنه تمت دراسة بعضهما في بعض الجامعات الأمريكية، وسوف أذكرها في كتابي "التوائم" (بإذن الله) ويجدر بي هنا أن أنقل لكم من مدرسة الحياة إحدى تلك الحالات وهي التوائم علي ومصطفى أمين الأخوان الراحلان والكاتبان المعروفان، يقول مصطفى أمين نصًا ما يلي: "كان من الصعب على غير المقربين منا أن يفرقوا بيننا، بل كانت أُمُّنا لا تستطيع أن تفرق بين أصواتنا، كنت أذهب وحدي إلى الترزي وأختار القماش لبذلتي، ويذهب هو (علي) وحده يختار القماش الذي يعجبه فإذا بنا نختار القماش نفسه واللون نفسه، حدث أن عدنا من أمريكا في الإجازة السنوية، وعلم بذلك صديقي مراد نجيب، فجاء من سوهاج خصيصًا إلى القاهرة لتحيتي، وحضر إلى بيتي في الروضة ورأى أخي (علي) خارجًا فتقدم وصافحه بحرارة، معتقدًا أنه صديقه مصطفى، ولم يصحح أخي الخطأ، فقد اعتدنا أن يخطئ الناس فينا، ولا نحاول أن نصحح الخطأ. إذا بي أتلقى خطابًا من صديقي مراد، وهو يسخط ويلعن ويوبخني على سلامي "البارد، بينما جاء هو من سوهاج خصيصًا لمقابلتي، ولم أطلب إليه أن يدخل إلى بيتي بل صافحته على الباب، ومضيت في طريقي. ولم أعرض عليه أن يشرب فنجان قهوة أو كوب ماء، وعبثًا حاولت أن أشرح لصديقي العزيز سوء التفاهم الذي حدث، فقد أصر على أنه يعرفني جيدًا، وكيف لا يعرفني، وقد كان يجلس بجواري أثناء

الدراسة مدة عامين، واتهمني أنني أسخر منه، وعاش صديقي العزيز، ومـــات، وهو مؤمن أن الذي استقبله ببرود هو أنا، وعندما تزوجت للمرة الأولى أصرت عروسي أن تقيم فرحًا بفندق شبرد القديم، وعارضت بشدة في هذه البهدلة، ولكن أسرة عروسي اضطرتني أن أقبل صوان الزفة والجلوس في الكوشة، وجلـــست خمس دقائق وشعرت أنني أختنق.. واستنجدت بأخي وطلبت منـــه أن يفتـــديني ويجلس محلي في الكوشة، وقبل المسكين أن يقوم بهذه المهمـــة الثقيلـــة، حتـــى انتهى الفرح وقليل من أصدقائي المدعوين هم الذين اكتشفوا أن الجالس بجـــوار العروس ليس أنا".

هناك الكثير الذي قال مصطفى أمين حول تشابه حياتهما لدرجـــة أنـــه إذا ضربه المدرس بكى أخوه في الفصل الثاني، لكن المجال هنـــا لا يتـــسع لـــذكر المزيد عنهما أو على غيرهما من حالات التوائم المتشابهة التي لو ذكرتها هنـــا تكون من ضرب الخيال.

استشعار الظن

لدى بعض الناس حاسة سادسة وهي حاسة "الظن " قد تكون هذه الحاســـة ضعيفة – وهذه نعمة من الله – وقد تكون قوية لدرجة أنها تعمل بآلة الاستشعار من بعد، وسواء كانت بحسن نية أو سوئها فإن النتيجة الطبيعية لهـــا: إطـــلاق العنان للسان لأن يتحدث في حياة الناس، ويقلبها رأسًا على عقب والحكاية مـــن أولها إلى آخرها ظن بظن، وياما هدمت بيـــوت وتقطعـــت أرحـــام، وافتـــرق أصدقاء، واشتعلت أزمات بمجرد ظنون واهية لا رصيد لها من الصحة، وهـــذا يؤكد ما قاله عليه الصلاة والسلام، إن الظن أكذب الحديث، فهـــل نـــستطيع أن نكون أكثر حضارة وقبولاً عند الله باستخدام حاسة "العلم" (علم اليقين) ونقلع عن الظن بسد مداخله كلها؟!.

حان الوداع مع الفراق !!

(١٤١٩/٢/١٣هـ)

"الوداع" و "الفراق" كلمتان شبه متلازمتين، فإن أنت ودعـت يلزمـك أن تفارق، وإن أنت عزمت على أن تفارق لابد أن تودع، لذلك ورد في السنة أن نقول لمن أراد أن يسافر: "استودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك" وأن يـرد هو علينا: "استودعك الله الذي لا تضيع ودائعه".

بعد الوداع والتوديع يبقى المودع (بكسر الدال) والمودع (بفتح الدال) على أمل اللقاء بعد الفراق، يحدوه الشوق، وتلعب بأعصابه الـذكريات، ولا تـسكن نفسيته وتستقر حتى يكون اللقاء، وتتجدد الرؤية، وعندها ينسكب في القلب شيء من بلسم الطمأنينة والراحة النفسية.

هناك من الوداع ما يفرض نفسه، ويجعل الأمل باللقاء مرة أخرى متروكًا لتوفيق الله، معتمدًا بعد الله على حرص كل مودع على لقاء مودعه ومـن هـذا النوع يكون توديع زملاء الدراسة عند انتهاء مرحلة من المراحل التعليمية.

وقد اتصل بي ذات يوم زميل دراسة من المدينة المنورة لم أره أو أسـمع صوته لأكثر من ربع قرن (خمسة وعشرين عامًا) ولم أهتد لمعرفة صوته فـي البداية، وما أن ذكر اسمه حتى توقفت لحظات تركت للعيون أن تكتب ما تـشاء بحروف الدموع، لأنه نقلني إلى تاريخ حياة عشتها في طيبة الطيبة في متوسطة الصديق أبي بكر ﷺ وأرضاه، وأخذت عنوان الزميل وزرته فعلاً فـي المدينـة المنورة، وصدقوني أن اللقاء كان قلبيًا من الطرفين،إنها لوعة الصداقة ولذعـة الزمالة التي تشعل الذكريات.

وهناك من الوداع ما يفرض نفسه بتقدير الله العلي الكريم، وهو الـوداع الذي لا أمل فيه للقاء في هذه الحياة الدنيا، ويكون توديع الأحبة فيه والأصـدقاء مصحوبًا بالفراق المؤلم، وقد اكتوت مساحة في قلبي بهذا النوع مـن الـوداع، أحس بنارها، شظايا تتقد في قلبي كلما أتذكر من أحسست بفراقهم، ومن هـؤلاء شقيقتي الغالية أم فيصل – يرحمها الله – التي انتقلت إلى رحمـة الله بعـد أن اعتصرها المرض اعتصارًا قبل سنوات، وهي في ريعان عطائها، وكذلك أخي في الله الأستاذ نبيل حفظي – يرحمه الله – الذي ذهب ضحية حادث مـروري مؤلم قبل أربع سنوات، وقد كان أحد التربويين الذين تولوا إدارة مدرسة ثانويـة الثغر طريق مكة وقد قادتني ذكراه بمناسبة توديع ثانوية الثغـر طريـق مكـة لأبنائها الخريجين أن أكتب هذه المقالة.

ثانوية الثغر والتوديع

سنت ثانوية الثغر سنة حسنة في نهاية كل عام، حيث تقيم حفلاً توديعيًـا لأبنائها الخريجين، تتخلله فقرات تذكر بالوفاء، وتبارك بالفرحة، وتحـث علـى مزيد من التواصل والمثابرة للإعداد لاختبار آخر العام، وقد كان اللقاء لهذا العام في قاعة السلطان بالانتركونتنتال على شرف مساعد مدير إدارة التعليم بمنطقة مكة المكرمة، حيث حضره الآباء والمعلمون والموجهون والتربويون والأبنـاء المحتفي بهم، لم يكن اللقاء حفلاً توديعيًا بقدر ما كان حفلاً تربويًا أزف لمعـالي الوزير ثمرة نجاحه، ولا يعود نجاحه بالدرجة الأولى لكونه حفلاً توديعيًا وفرحة بالخريجين، إنما لأن في فقراته ما جعل معظم من في القاعة تذرف دمـوعهم، وتعيش نفوسهم لحظات من الوفاء قدمتها إدارة ثانويـة الثغـر بطريـق مكـة للجمهور بريادة مديرها الأستاذ عبدالله أبو زيد، جعلت القلوب تتحرك لـتلامس حب رجل قد لا يعرفه الآباء بقدر ما يعرفه الأبناء، رجل من أسـاتذة الأجيـال

الذين تعاقدت معهم المدرسة لأكثر من ربع قرن، وكان حظه أن يقطع مسيرة التعليم بما قدره الله عليه من ابتلاء فمن هو هذا الرجل؟!

فرج مخيمر

أعتذر للسادة مسؤولي إدارة المدرسة بأن أغفل في بداية حديثي كل ما قدم في الحفل من فقرات لأدخل مباشرة إلى فقرة تكريم هذا المربي الفاضل، الذي لم أره إلا في قاعة السلطان، ولا أعرفه إلا من خلال تلك اللحظات التي اتجه فيها جمع كبير من المعلمين نحوه، والكل يأخذ بيده، والأبناء يحيطون به من كل جانب، كم كنت أتمنى أن معالي وزير المعارف الدكتور محمد بن أحمد الرشيد معنا ليختزن ذهنه وتسجل خلايا دماغه لقطات من العبق التربوي الذي نثره "فرج مخيمر" على محبيه وهو معلم غير كبير في السن كثيرًا، لكن المرض نزل بساحته وأضر بصره وأنهك جسده، مما اضطره أن يترك ساحة التعليم وهو مرغم.

لقد أوضح لي مدير المدرسة أن هذا المعلم أسرَّ القلوب بسيرته التعليمية والتربوية، ويمثل عملة نادرة من المعلمين. إنه مدرسة متحركة تستحق الاحتفاء، إننا لا نودع "فرج مخيمر" إنما هو الفراق المرير لقمة أدائه، وحسن تعليمه، وصدق تربيته، وعطائه، لكنه سيبقى علامة بارزة في قلوب أبنائه ومحبيه.

حان الوداع مع الفراق

قالوا لنا حان الوداع
حان الوداع مع الفراق
من بعد أن كانت لنا
دار بها أحلى اجتماع

نعم لقد كان للمحتفي بهم في ثانوية الثغر دار بها أحلى اجتماع، وبعد أن يمن الله على خريجي الثانوية بالنجاح تكون اللحظات الصعبة لقلوب قد ذرعت ساحة المدرسة، وتركت بصماتها على الجدران، لتجد نفسها وهي تستلم كشوف الدرجات النهائية وجهًا لوجه مع التوديع. ومهما حاولت وصف تلك اللحظات تبقى حقيقة "ليس من عشق كمن نظر"، فمن الأعماق أهنئ – مقدمًا – جميع خريجي الثانوية في مملكتنا الغالية، راجيًا من الله أن يكتب لهم القبول في الجامعات.

الخريجي والفضل ووداع الفراق

عندما زرت أخي سليمان الخريجي، بعد أيام من انتهاء مراسم العزاء بما قدره الله العلي الكريم على ابنه وقريبه فإني لاحظت على محياه ما أشار إليه الدكتور هاشم عبده هاشم في "إشراقته" من ملامح إيمانية، وقد أوحى إلى التحدث معه بأن الالتياع والحب للأبناء كبير، لكن التسليم للقضاء والقدر أكبر منه، ويقول الإمام أحمد بن حنبل – ﷺ – الإيمان نصفان: نصف صبر، ونصف شكر، وقد أخبر سبحانه وتعالى بأن جزاء الصبر الجنة كما قال تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [سورة الرعد/آية ٢٣-٢٤]، ويقول ابن القيم في قوله تعالى: ﴿ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟﴾ [سورة آل عمران/آية ٢٠٠] أي اصبروا بنفوسكم على طاعة الله، وصابروا بقلوبكم على البلوى في الله، ورابطوا بأسراركم على الشوق إلى الله، فأسأل الله سبحانه وتعالى أن يلهمه وذويه الصبر والسلوان.

صِدْق هذا والله خيال

(١٤١٩/٢/٢٠هـ)

يوم الأحد الماضي وبينما أنا أناقش أحد طلابي في مشروع بحثه، إذ بأستاذ قدير يطلبني عند باب الغرفة ويلح عليّ في الطلب، وقد بدا عليه التأثر فخرجت إليه، ووقفت معه وقفة استمعت فيها لقصة أقرب للخيال، مما اضطرني أن أسأله في ختام حديثه: صِدْق هذا .... والله خيال؟!

ولم أسأله لأدنى شك في صدق حديثه، لكن خلايا الأحاسيس والمشاعر بادرته بالسؤال بدون إذن مسبق مني، وحيث إن هذا الأستاذ كبير "علمًا وأدبًا وجاهًا وسنًا ومالاً" فقد وعدته أن أنقل للناس ما أراد وحسب ما طلب، وقد لاحظت التأثر على وجهه لدرجة أنه استأذن زوجته وبعض أهله بأن يقدم شكوى ضد ما أسماه "بالنذل" وأكمل حديثه متسائلاً:

يا أخي ما في أحد يردع هذه النوعية من الناس؟! والله أشك أن هؤلاء بشر، أو ينتمون لدين، أو حتى في قلوبهم رحمة!!

وقبل أن أسرد لكم قصة ذلك الرجل "النذل" دعوني أضع بين أيديكم هذه القصة التي حدثت في الجاهلية ونسميها: صِدْق هذا ... والله خيال.

صدق هذا والله خيال رقم (١)

حاولت أن أتذكر قصة مشابهة في القسوة والمعاملة لقصة صاحبنا، فتذكرت قصة قرأتها قبل خمسة وعشرين عامًا تقريبًا، أي في المرحلة المتوسطة، وهي في كتاب رحمة الإسلام للنساء للعلامة الشيخ محمد الحامد، حيث روي أن رجلاً من أصحاب النبي {ﷺ}: كان لا يزال مُغتمًا بين يدي رسول الله {ﷺ} فقال له رسول الله {ﷺ}: "مالك تكون محزونًا؟" فقال: يا رسول الله إني أذنبت ذنبًا في الجاهلية فأخاف ألا يغفره الله وإن أسلمت فقال له: (أخبرني عن

ذنبك). فقال: يا رسول الله إني كنت من الذين يقتلون بناتهم، فولدت لي بنت فتشفعت إليَّ امرأتي أن أتركها، فتركتها حتى كبرت وأدركت وصارت من أجمل النساء، فخطبوها فدخلتني الحمية، ولم يحتمل قلبي أن أزوجها أو أتركها في البيت بغير زوج، فقلت للمرأة: إني أريد أن أذهب إلى قبيلة كذا وكذا في زيارة أقربائي فابعثيها معي، فسرت بذلك وزينتها بالثياب والحلي وأخذت عليّ المواثيق بألا أخونها، فذهبت بها إلى رأس بئر، فنظرت في البئر، ففطنت الجارية أني أريد أن ألقيها في البئر، فالتزمتني وجعلت تبكي وتقول: يا أبت أيش تريد أن تفعل بي؟، فرحمتها، ثم نظرت في البئر فدخلت عليّ الحمية، ثم التزمتني وجعلت تقول: يا أبت لا تضيع أمانة أمي، فجعلت مرة أنظر في البئر، ومرة إليها، وأرحمها، حتى غلبني الشيطان فأخذتها وألقيتها في البئر منكوسة وهي تنادي في البئر: يا أبت قتلتني، فمكثت هناك حتى انقطع صوتها فرجعتُ، فبكى رسول الله {ﷺ} وأصحابه وقال: "لو أمرتُ أن أعاقب أحدًا بما فعل في الجاهلية لعاقبتك". أي لأن الإسلام يجب ويقطع ما كان قبله من المعاصي، بكى عليه الصلاة والسلام وأصحابه رحمة لتلك القتيلة بيد أبيها وقد توسلتْ إليه واستغاثت به ولا ذنب لها إلا أنها أنثى جديرة بالرأفة والرفق.

إنني أضع بين أيدي القراء الكرام سؤالاً يستحق الوقوف ألا وهو: كيف أتخيل إنسانًا كهذا أن يلغي عقله وأحاسيسه ومشاعره ليقوم بعمل إجرامي كبير ينحر فيه قلب الأم، ويقتل الصغيرة بكل ثقة وفخر واعتزاز(؟!؟!)

إن السبب الوحيد الذي صيّر ذلك الرجل (في الجاهلية) إلى آلة إجرامية إنما هو "التقاليد" التي سادت ذلك المجتمع الجاهلي، وهي هي نفسها بعض الترسبات التي تعشعش في نفوس بعض الرجال هذه الأيام فيما يخص مكانة المرأة وحقوقها والتعامل معها، وإذا ناقشته في ذلك يقول هذا الذي أمر به الدين (!!) وليس تصرف ذلك "النذل" في القصة التي سأحدثكم عنها إلا امتدادًا

لتصرف ذلك الصحابي أيام الجاهلية، لكنها ليست قتلاً كليًا إنما تعذيب بدني ... ألم الروح والنفس والجسد مما جعلني أتعجب: صدق هذا والله خيال!!

صدق هذا والله خيال رقم (٢)

يذكر أستاذنا أن له حفيدة جاءت يومًا من المدرسة مذعورة مرعبة، وهي تبكي وتصيح، وبعد أن هدأ بالها، واستقر حالها، سألوها عما بها فأخبرتهم الخبر: بأن لها زميلة صغيرة وديعة بريئة لا تقل براءة عن تلك الصغيرة التي جاء ذكرها في القصة السابقة، وما أن خرجتا من باب المدرسة في "الصرفة" حتى هجم حيوان مفترس ووحش كاسر على زميلتها وقد كانت صورته تحمل صورة رجل، ومسكها من شعرها وضربها ضربًا مبرحًا، والصغيرة تتضاوى بين أنيابه، وقد أوجع جُنوبها "بحوافره" وهي تستغيث وتنادي: يا "بابا" يا "بابا" ثم أركبها سيارته وذهب بها، وكأني بحفيدة أستاذنا الذي أخبرني بالقصة بعد أن عادت إلى غرفتها أخذت تفكر وتقول بينها وبين نفسها ترى إذا كان قد ضربها أمام الناس بهذه القسوة والحيوانية كيف هو ووضعها إذا انفرد بها في البيت ؟!

قلت لأستاذنا سائلاً: هل اهتديتم لسبب ضربه ابنته بهذا الشكل؟ ! قال: نعم إن أم البنت انفصلت عن زوجها (والد الطفلة) ومع مرور الوقت اشتاقت الصغيرة لأمها، كما أن قلب أمها قد اشتعل نارًا من الحرقة، فزارت ابنتها في المدرسة زيارة خفيفة، فعلم بتلك الزيارة ولعل هناك من بادره بالخبر فجاء في "الصرفة" وهو هائج مائج ليستأسد على الصغيرة ويشبعها ضربًا.

صدق هذا والله خيال رقم (٣)

قرأنا في الأسبوع الماضي خبر الشخص (في أمريكا) الذي تعمد قتل توأميه، وهما صغيران بريئان تسكن الفطرة في قلوبهما. وقد كان قتلهما بالفأس أو المطرقة، حيث قسمهما أوصالاً، وقد كان سبب هذا التصرف الهمجي أنهما تأخرا عليه في النزول للذهاب إلى المدرسة. فهل هذا صدق والله خيال!!

قانون الردع الاجتماعي

تتصاعد نسبة الطلاق في المجتمع السعودي عامًا بعد عام، وخلف كل طلاق نفوس وأجساد إما أولاد أو بنات، وفي حالات كثيرة لا يكون الانفصال مبنيًا على قاعدة "أو تسريح بإحسان" فيكمل بعض الرجال دوره الرجولي على الأطفال، انتقامًا من أمهم التي تكون قد تزوجت شخصًا آخر، أو كتب عليها أن تعيش حياة أخرى مع أهلها، ويصبح بذلك الأطفال ضحية لتصرف الآباء، حيث يمنعون من الاتصال بأمهاتهم البتة وتشديد الرقابة عليهم، ومنهن المطلقات اللائي يستطعن التظلم أو الذهاب للمحكمة مما جعلنا نسأل: متى سيحظى المجتمع بقانون يمكن أن يطلق عليه اسم "قانون الردع الاجتماعي" يحفظ للأطفال حقوقهم في التواصل مع أمهاتهم، وفي الوقت نفسه يوقف الأب عن حده في أي تصرف لا إنساني على الأطفال، فإن قالت المحاكم أنه موجود نقول: إن المجتمع بأمس الحاجة للإعلان عنه، والتعريف بأرقام هواتفه، وبالتالي مواصلة حماية الصغار والنساء معًا.

فوق رؤوس الجبال: "شيبة"!!

(١٤١٩/٣/١١هـ)

كنتُ قبل أسبوعين في حفلة رسمية، وكعادتي جلست حيث انتهى بي المجلس، وكان آخر من في المجلس رجل كبير في السن، أقف احترامًا لشيبته، عندما أمعنت النظر في وجهه، وسلطت الأضواء الكاشفة عليه من رأسه لأخمص قدميه، رأيتُ تحقق قول الله تعالى فيه: ﴿ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴾ [سورة يس/آية ٦٨]. وكلمة "نُنكسه" في الآية الكريمة أوحت إليّ بشيء عميق، هو أن الله سبحانه وتعالى يرغمه (أي الإنسان) على عملية التنكيس التي تعني إعادته إلى مرحلة الطفولة مرة أخرى، لكن بتسمية جديدة وهي الشيخوخة، لأن الإنسان إذا "شم" رائحة القوة، فإنه سرعان ما ترتوي أضلعه، وتمتلئ جوانبه بالبطش والظلم والتسلط، مُعتمدًا في ذلك كله على "فتوته" فيزيد في العلو والاستعلاء، ناسيًا بذلك وضعه وضعفه الآدمي، فيُذكره الله سبحانه وتعالى بقيمة نفسه "فينكسه" في الخلق.

لذلك فإن كلمة "ننكسه" صورة بلاغية متحركة، فيها من معاني الإعجاز العلمي ما يجعلك تشعر بأن كل الأجهزة والأعضاء والأنسجة والخلايا "مُنكسة" على وجهها لا تعمل ولا تقوم بأي وظيفة.

المهم أن صاحبنا "الشيبة" قد ظهرت عليه علامات الشيخوخة فأذابت شحمه ولحمه، وأذهبت سمعه وبصره، وجعلته أقرب ما يكون إلى أنه "منتهي الصلاحية" ورحمة بوضعه، وصرفًا لبعض همومه، وقد يكون من باب كسب الأجر فيه، أراد من بجواره أن يُداعبه قائلاً: ما تبغى نشوف لك عروس يا عم؟!" وعجبًا رأيت: لقد تفتحت أسارير الرجل، وتهلل وجهه، وظهر شحمه ولحمه من جديد، وعاد بصره كالحديد، مما جعلني أقول "سبحان من يحيي

العظام وهي رميم" وزاد الرجل في إظهار القوة ففتل ما تبقى من شعيرات في شاربه، وأخذ يحفها ذات اليمين وذات الشمال، وبدأ يتحسس غمد السيف ليستله منه، مُوهمًا من يراه بأنه على استعداد لمنازلة عنترة بن شداد، ثم دنا من مُحدثه وتدلى، وهو يتمتم بكلمات مفادها أنه يبحث عن بنت الحلال من زمان، لكن الله لم يكتب له النصيب بعد.

لا أخفيكم "أيها القراء" أني أضمرت في نفسي حديثًا استحييت أن أقوله للشيبة وها أنذا "أفش غلي" لأقوله لكم: قلت في نفسي هذا الشكل شكل زوج، رجل مركب تركيبة و "ملصمق لصمقه". وفيما أظن أنه بدون ركب، وقد تؤكد التقارير الطبية ضمور العديد من أجهزته وأعضائه وأنسجته وخلاياه، ثم يقول إنه يسعى، ومن فترة للبحث عن "بنت" ولا أدري إن كان متزوجًا ويريد أن يعدد، أو توفيت زوجته ويبحث عمن تربي صغاره (!!) وقد جال في خاطري السؤال التالي: هل يريد أن يتزوج ليكمل نصف دينه، وينقذ نفسه من الفتنة، أم أنه سيسعى للجمال والمال والحسب والنسب؟!

إن الذي جعلني "أتسلط" على هذا الشيبة وأحدثكم بما في قلبي عنه ليس هو، إنما شيبة آخر أخذ "ينطنط" فوق رؤوس الجبال، حتى إذا ما سقط قبر، حيث سقط، بعد أن أسقط من ظهره طفلاً كتب الله له الحياة، فكبر وترعرع، وقاسى من الحياة ما قاسى، وتجرع من مر القرابة ما تجرع، وحدثني هذا الابن بنفسه عما جرى له، لكن قبل أن أحدثكم عنه وعن قصته دعونا نقدم الإجلال والاحترام لكل "شيبة" وفيّ وكل شيبة "ماسك حدوده" بل إن الإجلال والاحترام لأولئك الرجال والنساء الذين يتألقون في أداء واجبهم نحو كبار السن من الآباء والأجداد الذين أقعدتهم الحياة وشيّبتهم الدنيا، فهم عندنا ليس كأمثالهم عند غيرنا، كيف؟!

كيـــف؟!

زرت يومًا في مدينة "نوتنجهام" دارًا لكبار السن، وقد هالني ما رأيت!! لقد رأيت أجسادًا مُترهلة، وأشكالاً منكسة، تذوب في داخلها نفوس ذابلة، وأرواح شاحبة، وبين الجنبات وعلى الشرفات تتعالى صيحات وأنات وآهات، حاولت أن استنطق الأفواه، واستشف القلوب عما بها، وعما دهاها؟! فوجدت أنه العقوق والحرمان، وتمنيت يومها لو أن البر (بر الوالدين) وصلة الرحم والقرابة يمكن تصنيعها وبالتالي صرفها "كروشتة" علاجًا لهؤلاء الذين ماجت بهم الدنيا، فأصبحوا منبوذين بعيدين عن الأحاسيس والمشاعر، ولأمر ما فإن الله – سبحانه وتعالى – شدّد في قضية الوالدين حتى ولو كانا كافرين لا يؤمنان به، فقد قرر حق الأبوة والمشاعر والأحاسيس لهما، وأمر بأن يوفى لهما، وقد صنف الرسول الكريم {ﷺ} العقوق بأنه من أكبر الكبائر، لذلك فإن الشياب (كبار السن) هم أحق الناس في المجتمع المسلم وغير المسلم بالاحترام، وقد ورد بأن الله سبحانه وتعالى يستحي من صاحب الشيبة، وفي ذلك توجيه إلى أن كبير السن لم يعد من أصحاب المؤهلات لأن يركض خلف الدنيا، وإن ركض فعليه أن يركض بتؤدة وسكينة، وليس بلهفة وشوق، كما فعل شيبة رؤوس الجبال!!.

فوق رؤوس الجبال "شيبة"!!

يقول صاحب القصة، عشت بداية حياتي مع أسرة جدي لأمي، محاطًا بالحب والحنان في إحدى البلاد العربية، حيث إن والدتي من هناك، وفتحت عيني على الحياة، وكان والدي يومها كبيرًا في السن جدًا، ثم انتقلنا جميعًا إلى إحدى مدن المملكة، حيث كان فيها بقية أبنائه وأقربائه (أي الوالد)، ولم تطل به الفترة حتى انتقل إلى ذمة الله، مخلفًا لنا منزلاً يسكنه إخواني وأخواتي (أي أبناؤه وبناته) من غير والدتي، وعندما تعرفت عليهم فرحتُ بهم، لأني شعرتُ بأن هناك من سيشد عضدي في الحياة، فاتجهت بقلبي إليهم أتفيأ ظلال الأبوة في الأخوة، وتقدمت بي السن فأصبحت في المرحلة المتوسطة ثم الثانوية، وطوال

هذه الفترة وأنا أعاني من سوء التعامل والمعاملة من إخواني وأخواتي. وحيث إن الوالد لم يترك لنا شيئًا، فقد مرت بنا بعض الأيام أنا ووالدتي نتلمس الكفاف ونعيش التعفف، وكلما اقترب منهم (أي أقربائي لوالدي) يبعدون عني لدرجة أن أختي الكبيرة – هداها الله – متزعمة حملة التنكر الكامل بأني أخوهم، وقد طردتني يوم العيد في أكثر من مرة من باب المنزل قائلة: ليس لنا أخ بهذا الاسم!!

لقد آلمتني هذه القصة كثيرًا، ولعل القارئ أدرك مكامن الألم فيها، لكنني شددت على يد هذا الشاب وقلتُ له: لا تيأس، لأن الرسول الكريم {ﷺ} أكد على صلة الرحم بالمعنى الأقوى، وهو أن تصل من قطعك، وتبادر إلى ذهني سؤال قلت فيه للشاب: ألا تظن أن هناك سببًا خلف هذه المعاملة القاسية؟! قال: بلى، إن والدي يرحمه الله – كما سمعت – ترك والدة إخواني وأخواتي، وسافر في البداية وهو كبير في السن إلى بلاد (...) ثم تركها وجاء إلى بلاد والدتي(...) وتزوج من والدتي وعاش معنا سنوات ثم عاد وعدنا معه، فقلتُ في نفسي: هذا هو "الشيبة" الذي إن بقي به عرق ينبض "نطنط" من بلاد إلى بلاد تاركًا أبناءه وبناته، وقبل ذلك زوجته يعتصرون الألم والحزن، وتنمو في دواخلهم غدد الحقد والكراهية، إننا لا نقول: إن في الزواج شيئًا، لكن أن يكون فوق رؤوس الجبال، وبهذه الكيفية وبهذه "النطنطة" فإن ذلك يسقط صاحبه الأرض، وتسقط معه جميع أمتعته، وتتضرر نفوس كان يحملها على ظهره أشد الضرر، فهل يعي شبابنا مثل هذا الدرس في الحياة؟!

وليس علينا في المقال أمير

(١٤١٩/٣/٢٥هـ)

قررتُ يومًا أن أصارح نفسي فيما أكتب، فقيل لي إن الصراحة الحقة لا تكون إلا من خلٍّ وفيّ أو حبيب نديّ، وحيث إننا نعيش هذه الأيام حرارة الصيف المتقدمة، ولا يُخفِّف من وطأتها ولا يحد من لهيبها إلا الحب في أيام الصيف، كما تروج لذلك الدكتورة عزيزة المانع، فقد عمدت إلى شاطئ البحر في هدأة الليل لعله أنسب لستر الحال وحصول المنال، وجلستُ على صخرة واتكأت على أخرى، وكان القمر وضاء قد أرسل خيوطه وأضواءه على ناحية من نواحي الشاطئ، فسحرت عيني صخرة حجرية ملساء تنام على حبات الرمل الذهبية، متخذة منه (أي الرمل) فراشًا ناعمًا قد رمتْ عليه كل جسدها ما عدا قدميها وأصابع رجليها فإنها معرضة لماء البحر، ففي لحظات "الجزر" يهزه (أي ماء البحر) الشوق إليها، فما أن تحين لحظات "المد" حتى يسرع نحوها ليقبل بأمواجه قدميها، ويغسل أصابع رجليها، وقد يتمادى في مزاحه معها فيغازلها برذاذ مائه الذي ينفثه على خديها، أو يلاعبها بنسمات هوائه الذي ينفخه على وجنتيها، وعندما رأيت ما رأيت وقعت في شراك الحديث معها لأنها من أهل الصفاء والنقاء وقلبها يمتلئ خشية لله كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [سورة البقرة/آية ٧٤]. فقلت وأنا أحدث نفسي: هنيئًا للبحر بك وهنيئًا لشاطئه بمثلك، وكنت أظن أن حديثي لن يصل إلى مسامعها لأنها نائمة، ناهيك أن يتسلل إلى شغاف قلبها ويسكنه، فتتخذ منه ذريعة لتبادل شيء من المحبة، وفعلاً هبت من نومها و"سداحها" وفاجأتني "بتمغطها"، لكأنما رشاقتها لا تكتمل إلا بشيء من رياضة جسدها، وسحبت قدميها من ماء البحر، وتقدمت نحوي خطوات ثم قالت: مساؤك جميل يا دكتور!! قلت لها بعد إن ارتعدت فرائصي: أنا لستُ ممن يحب في الصيف، وأنا عاشق لحر الصيف لا حبه (!!) قالت:

هوّن عليك إنما أنا صديقة وفية، ثم أكملت حديثها: ألست صاحب زاوية "ســاحة ومساحة" في صحيفة "عكاظ" قلت بلى. قالت: أو ما سمعت قول الشاعر:

وأسكت عن أشياء لو شــئت قلتهــا

ولــيس علينــا فــي المقــال أميــر

وعندها قلت هذه هي التي أبحث عنها، هذه هي الخل الــوفي والــصديق الندي.

صحافة الكتاب أو كتّاب الصحافة؟!

بعد أن وثقت علاقتي مع بنت الشاطئ. ربيبة البحر وعــشيقة أمواجــه، أخذت أنصت إليها وهي تقول: أتذكر أنني قرأت مقالاً للأستاذ عبده خال، يشير فيه إلى أن هناك "كتبة" في صحفنا المحلية، وأن هناك قلة قليلة جدًا تــستحق أن نطلق عليها اسم كتاب، ولعلها دعوة منه "للفرز" في صحفنا، كأن تكون هنــاك علامة مميزة للكتاب، أو لعله يشير كذلك إلى أن ليس كل صــحفي يمكــن أن يكون كاتبًا تمشيًا مع الطرف الآخر للمعادلة: ليس كل كاتب يمكــن أن يكــون صحفيًا.

إن الصحيفة التي تزخر ساحتها بكتاب الدرجة الأولى سترجح كفتها عنــد القراء، وتغدو مطلبًا يبحث عنه الجمهور. وهي بذا تتميز بجدية الطرح، وتنوع الموضوعات، ويطلق عليها صحيفة الكتاب، خاصة "ساحة الحوار" التي لا مكان فيها للمتملقين والمتمصلحين، وقد يظهر شيء من ذلك أحياناً فيكــون للتعريــة والفضح وإفشاء الأمر على الملأ. إما عندما يطغى على الصحيفة "كتابها" (يعني منها وفيها) فإن ما يُكتب (ضم الياء) نادرًا ما يكتب له القبول، لأنه لا لون لــه ولا طعم ولا رائحة (ما عدا قلة قليلة ممن يكتب)، وعندها يطلق على الصحيفة صحيفة كتاب الصحيفة.

ندوة عن الصحافة

ألتفتُ بعد ذلك لتلك الملساء البحرية وقلت لها: كما سمعت منك فأنصتي لما أقول: ما من شيء في هذا الوجود إلا وله بصمته الخاصة التي تميزه عن غيره.

حتى التوأمان المتشابهان يتفقان في كل شيء ما عدا البصمات، فلكل واحد منهما بصمته الوراثية الخاصة به، والإعلام شخصية متحركة لا تعرف النوم أو الكسل، وهو وحده المخول لأن يجذب الناس إليه، كما أنه المسؤول الأول عن سبب عزوف الناس عنه، وذلك تبعًا لتحرره من التقليدية، وتسنمه صورًا جديدة من الإبداع، ولسنا بصدد الحديث عن الإعلام بشكل عام، ولكن ما يهمنا اليوم هو الحركة الصحفية في بلادنا: هل هي في تقدم أم أنها تُعاني(!!)؟! هذا سؤال كبير لا تسهل الإجابة عليه في هذه العجالة، لكنه يطرح نفسه كأحد الموضوعات الحيوية التي تستدعي وزارة الإعلام ممثلة بوزيرها معالي الدكتور فؤاد عبدالسلام الفارسي في ضرورة مناقشتها على مستوى ندوة وطنية، إن لم تكن هذه الندوة تحقق بعض التعديل المطلوب، فلعلها تكون من باب التطوير الذي لابد منه، وأقترح أن يكون التخطيط لعقد هذه الندوة على محورين.

- محور طموحات المواطنين في صحفهم المحلية، التي هي بمثابة لسان حالهم.
- محور الأبحاث التخصصية، والدراسات الميدانية لواقع الصحافة السعودية.

إن صحفنا المحلية بحاجة إلى مراجعة، خاصة أنها تعاني من "الاستنساخ" في المظاهر الأساسية للشخصية الصحفية، ومع إقرارنا بضرورة إبقاء شيء من الملامح المشتركة، إلا أنه يجب ألا يكون على حساب التميز والانفراد، كما أن هناك ضرورة مُلحة لدراسة تعثر أو موت بعض الصحف المحلية، وإن كان

جزء من ذلك تتحمله المؤسسات الصحفية نفسها، إلا أن الدراسة والتخطيط والمعالجة السويّة تنفذ، بإذن الله، كثيرًا، وتجعل الأمل في الشفاء واردًا وكبيرًا.

وليس علينا في المقال أمير

قالت محدثتي "البحرية": دعني أشرح لك بيت الشعر الذي ذكرته لك في البداية وهو:

وأسكت عن أشياء لو شئت قلتها
وليس علينا في المقال أمير

إن جمهور القراء يعرف بفطنته وفراسته أمورًا كثيرة عن صحفنا المحلية، خاصة ما له علاقة بمصالح المواطنين، لكن هذا الجمهور يُعرض عن ذكر تلك الأمور، عسى الأيام أن تمنح الفرصة أكبر لتعديل ما يكون معوجًا من خلال ندوة الصحافة، فإن لم تستطع الصحف اليوم أن تكون صادقة مع نفسها ومع قرائها، فإن القواقع لا محالة ستموت يومًا من الجفاف، وقد أعجبت كثيرًا بكلمة صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبدالعزيز وزير الداخلية ورئيس المجلس الأعلى للإعلام التي فهمت منها، على ما أذكر، بأن ليس في المجتمع السعودي، ولله الحمد، كتاب مضللون، واصفًا كتّابنا وصحافيينا بالمواطنين المسؤولين، دأبهم الكلمة الصادقة المخلصة، والنقد البناء الهادف لخير المجتمع السعودي وقضاياه.

إن التخطيط السليم للصحافة السعودية، والكلمة الصادقة هما وحدهما الكفيلان بجذب القراء عن طريق اهتمام الصحافة السعودية أكثر مما تفعل بالقضايا الحيوية للمواطنين وعرضها أمام الجميع، وما قاله صاحب السمو الملكي يحقق الشطر الآخر من بيت الشعر "وليس علينا في المقال أمير".

وبعد أن سمعت منها، وسمعت مني، ودعتها على أمل اللقاء في حلقة ثانية عن العلاقة من خلال الصداقة.

فكأنما الماء للنار حطب

(١٤١٩/٥/٢٢هـ)

التقيتُ قبل سنوات في القاهرة برجل خليجي تبدو عليه النعمة ظاهرة وباطنة، أما الظاهرة فقد كان – ما شاء الله – من الذين يملأون العين، فقد كنز شحمًا وطبق لحمًا، وزاده الله بسطة في الجسم مُلفتة للنظر، أما الباطنة فإن الرجل ذو قلب "فطري" ومُتجه لربه: يخافه ويرجوه ويتقيه. ولعل من حسن الطالع أن تعرفت عليه، فقد آنس وحشتي وسامر غربتي لما تميز به من خفة دم ورشاقة ظل قلما وجدتها. وقد بادرني بالسؤال عند بداية التعارف: لماذا جئت إلى هنا؟! فأخبرته الخبر ثم سألته نفس السؤال فقال: لمجيئي إلى هنا له حكاية وقصة، قلت له: وما حكايتك ؟! قال: شايف ها الطول والعرض والمتن، قلت له: نعم، قال جئت هنا لأطلب العلاج. قلت له: من السمنة، قال: لا ليس مشكلتي السمنة، ثم همس في أذني كلامًا يلخص كل حكايته، فقلت له: يا أخي هذا قدر، لكن مجيئك إلى هنا خطأ لأن في دول الخليج، خاصة في المملكة العربية السعودية من التقنية الحديثة ما يكون سببًا – بإذن الله – في رفع هذا القدر عنك، وسوف أحدثكم في آخر المقال عن هذا القدر، بعد أن نتطرق إلى ما لفت نظري هذه الأيام.

فكأنما الماء للنار حطب

يظن بعض الناس أن من إظهار النعمة والتحدث بها أن يغدو الإنسان "مربربًا" (يعني متينًا). فالمجتمع الخليجي هذه الأيام يعاني من ظاهرة السمنة رجالاً ونساء، ولا أظن ذلك إلا بسبب النعمة يعني "مرعى وقلة صنعة"، إذا استبعدنا مجموعة من أصحاب السمنة ممن ليس للأكل دور في ظهور سمنتهم – وهم قلة قليلة بسبب العامل الوراثي للغدد – فإن شريحة كبيرة من أصحاب

الأشكال "البرميلية" التي عرضها يقارب طولها أو يزيد، إنما يكون ذلك بسبب الغذاء وقلة التحرك أو الرياضة.

قبل أن أسترسل في موضوع الغذاء أود أن أوضح معلومة علمية، وهي أن التحاليل المعملية في المختبرات الطبية أثبتت أن البدانة في بعض الحالات تكون نتيجة خلل في المادة العضوية، التي تنقل عنصري البوتاسيوم والصوديوم عبر خلايا الجسم مما يضعف قدرة الجسم على استهلاك الحراريات، فيظل الكثير منها مدخرًا في الجسم بشكل دهون وشحوم.

أعود مرة أخرى للطعام لأقول: إن النفوس جُبلت على التلذذ به، والاغتراف منه، كلما قرصها الجوع، وابن الرومي وهو أحد الشعراء العباسيين كان مولهًا بالطعام لدرجة أن بعض الروايات تذكر أن سبب موته هو إفراطه في الأكل، مما أدى إلى إصابته بالسكري، لذلك فإن هناك كمًّا من شعره كان خاصًا بوصف الطعام فهو يقول عن السمك المشوي:

يا حبذا إمعاننا فيها ناضجًا
كما جاء من تنوره المتوقد

ويقول عن غذاء القلوب: الموز ما يلي:

يكاد من موقعه المحبوب
يدفعه البلعوم إلى القلوب

وهو يقول عن الخبز:

إن أنس لا أنسى خبازًا مررتُ به
يدحو الرقاقة مثل اللمح بالبصر.

ومائدة ابن الرومي "الشعرية الغذائية" لا يمكن التوقف عندها في هذه العجالة، لكن الذي يعنينا أن تعلق النفوس بالغذاء قد يُحمّل الجسم وأجهزة الجسم ما لا تتحمل، خاصة "البنكرياس" الذي لا يسهل الحصول عليه كقطع غيار، وقد تعددت أسباب الإصابة بالداء السكري. إلا أن الوراثة وزيادة اهتمام الناس بالطعام، وميلهم إلى الراحة، هما السببان الرئيسيان لنزوله في ساحة الجسم. هناك دراسة حديثة تثبت أن الحيوانات التي تنطلق في البراري، وتهيم في عمل رياضي تعمل أجهزتها الداخلية خاصة الغدد، بنشاط وحيوية بعكس مثيلتها من الحيوانات التي تُستأنس في حدائق، التي تنكمش أجهزتها الداخلية، وتضعف في أدائها لأنها حيوانات "مخدومة" تعيش حياة الراحة والدعة والسكون، مما يُؤدي إلى أن تضعف حيوية الإفراز الداخلي للغدد، والإنسان لا يبعد في أجهزته وغدده عما سبق ذكره. فتراكم الغذاء وقلة الحركة يؤديان إلى استرخاء الغدد، وتظهر بعد ذلك بعض الأمراض مثل السكري، حيث يمثل الإفراط في الأكل عبئًا كبيرًا على غدة البنكرياس التي تستسلم، فلا تستطيع أن تلاحق السكر في الدم لتحوله بهرمونها "الأنسولين" لما يفيد الجسم، ومن ثم يطرح السكر الزائد مع الماء في البول، وبذا يزداد العطش، ويكثر شرب الماء، ويزداد الطلب على الطعام، وهو ما عبر عنه ابن الرومي في آخر حياته، عندما قال عن الماء:

وأراه زائدًا في حرقتي

فكأنما الماء للنار حطب

الطعام والقلوب

لا يقف تأثير الطعام الزائد في داخل الجسم على أن يقود إلى "السكري" فقط، لكن الطريق إلى القلب قد يضيق بسبب ما يحدثه ذلك الطعام المتراكم من انسداد للشرايين والأوردة، وهذا ليس محل حديثنا اليوم، إنما حديثي هنا لكي

أوضح لأحد القراء: بأن الربط بين السمنة وأكل الحرام كما كان يتصور لـيس بربط صحيح، حيث كان يظن بأن معظم أهل السمنة هم ممن يُبتلى بأكل الحرام، ولا أظن أن هذا الكلام صحيحًا، لأن الجسم الذي يُغذى بالحرام – بأي شكل من أشكاله – هو المعني سواء كان صاحبه بدينًا أو نحيفًا، بل إن هناك من بين طبقة النحاف من هم من أكلة السحت والحرام، وأيًا كان الشكل الخارجي لآكل الحرام فإنه يسلب الإجابة عند الدعاء فقط، ربط الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام بين الدعاء وأكل الحرام ربطًا مباشرًا، حيث يقول عليه الصلاة والسلام: "أطب مطعمك تكن مُستجاب الدعوة، فوالذي نفسي بيده إن العبد ليقذف اللقمة الحرام في جوفه، ما يتقبل منه عمل أربعين يومًا، وأيما عبد نبت لحمه من السحت فالنار أولى به".

إلى القاهرة مرة أخرى

نعود إلى صديقنا الخليجي الذي التقينا به في القاهرة الذي وضّح لي في همسه أنه لا يعاني من مرض السمنة بقدر ما يعاني من عدم قدرته على الإنجاب، فهو لأكثر من عشر سنوات بعد الزواج لم يرزق بأي طفل، وقد لاحظت أن هذا مؤثر على نفسيته كثيرًا، خاصة أن التقرير الطبي يذكر بأن السبب الرئيسي في ذلك بأنه لا يملك "فشق" (رصاص)، ويقصد بأنه لا وجود للحيوانات المنوية عنده، فقلت له: إن أراد الله لك أن تكون عقيمًا فلا مردّ لقضائه، لكن هناك تقنية حديثة تعرف بالحقن المجهري الدقيق، حيث يمكن من خلالها سحب بعض الخلايا المنوية قبل مرحلة تحوّلها على حيوانات منوية، ومن ثم إخصاب البويضات بها، فحبذا لو يسأل عنها، وهي موجودة في دول الخليج.. وفوق كل ذي علم عليم.

لكنني بعينيك بالبحـار عميـد

(١٤١٩/٨/٢٤هـ)

بالغ الناس في تمجيد العيون، فاعتبرها بعضهم سيدة الجسم الأنيقة، وهي سحر النفوس ورسول الروح ويقولون: إنه إذا هف شوق الوجد واتقدت جمـرة البعد فإنه ليس للقلب إلا رسم العيون "المخزن" في الذاكرة فإنه خير طيف تتسلى به نفوس المحبين، وتنشغل به أرواح العاشـقين، خاصـة مرافـئ الأهـداب، وشواطئ الأجفان، ولون العدسات، وغمز الرموش، لذلك فإن وقع الرسـم فـي القلب أسرع في التخزين من حفظ الاسم، وهو على الفؤاد كبيـر، وألمـه عنـد الفراق مرير، وقد يقتل، كما قال الشاعر:

إن العيـون الـسود أقـوى مـضربًا
مـن كـل هنـدي وكـل يمـان
فضل العيون علـى الـسيوف لأنهـا
قتلـت ولـم تبـرز مـن الأجفـان

ويتمادى الناس في سحر العيون وجمالها، والتأثر بها لدرجة أن بعـضهم يكبل نفسه بالهيام والغرام، ولا يمكن أن يقبل بأي رسم عيني آخر غير العيـون التي كوت فؤاده واخترقت أعماقه، فهل هذا الكلام صحيح؟. وبالتالي فإن لـيس كل عين عين أم أنه مبالغ فيه ؟!

- **المستبعدات**

هناك جانبان للعين: شيء له علاقة بالناحية التشريحية وهـو مـا يُمثـل "الرسم" وشيء له علاقة بالناحية المعنوية وهو ما يُمثل "الجذب" وقبل أن ندخل في تفاصيل هذا الموضوع نريد أن نستبعد بعض العيون مـن الانتمـاء لعـالم

العيون، لأنهن أخللن بنظام العيون، ويفتقرن إلى الفطرة وانتكسن في التعامل مع الآخر، وأصبحت اسمًا بلا رسم، ومما يمكن أن نطلق عليهن "المستبعدات" من العيون وهن أربعة على النحو التالي:

- **الخائنات:** وهي العيون التي لا تملك أرصفة تنزل من خلالها على القلوب، وليس فيها جفون تسدلها على المعشوق، وهي حليقة الرموش، لا تملك أرصفة تنزل من خلالها على القلوب، وليس فيها جفون تسدلها على المعشوق، وهي حليقة الرموش لا يعرف لأشعتها استقرار، وقد تحملها أنثى، أو يعيش بها رجل، ولا يطلع عليها إلا الله سبحانه وتعالى علام الغيوب كما قال تعالى: ﴿ يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ﴾ [سورة غافر/آية ١٩] وتتصف "بالنطنطة" ولا يستمتع بها إلا فؤاد أهل الشهوة، ولا تخترق إلا أعماق الجنسيين من الناس، وهي المعنية بقول الشاعر:

والمرء ما دام ذا عين يقلبها
في أعين الغير موقوف على الخطر
كم نظرة فعلت في قلب صاحبها
فعل السهام بلا قوس ولا وتر

وهذا النوع من العيون هو الذي يملأ الأرض اليوم، ولا تقصد بالخيانة هنا الخيانة العابرة أو اللحظية، إنما الخيانة التي تطمس جمال العيون وسحرها.

- **الماكرات:** وهي العيون الثعلبية، التي أشبه ما تكون بعيون الصقر، حيث تتربص شرًا بفريستها وصاحبها – سواء كان ذكرًا أو أنثى – صاحب حدقة مركزة الإشعاع تهوى الانقضاض على الآخر، حتى ولو كان الآخر هو قلبه الذي ينبض به، وهي عيون أبعد ما تكون عن الجمال وسحره.

- **الحاسدات:** وهي العيون التي تغتذي بالسموم ممـا أحالهـا إلـى العتمـة، فأصبحت تنظر للغير بترقب وحدة غامضة وقـد امـتلأت بالحقـد الـدفين والحسد اللعين، وتحيطها هالة من الخلايا السوداء، وهـي المعنيـة بقـول المصطفى (ﷺ) في الحديث الصحيح، "لو أن شيئًا يسبق القدر لسبقته العين"، وهي كذلك ما يعنيه الناس في مثلهم، "عين الحسود لا تسود" وعـين كهـذه تحولت إلى ليل بهيم، كيف يمكن أن تكون جميلة ناهيك عن كونها سـاحرة، حتى ولو امتلكت جمال التشريح، أين هي من جمال الروح؟!.
- **المتغطرسات:** وهي آخر نوع من المستبعدات وهي عيون ذبابية تعيش عقدة الدون، وقد جاءت مركبة ليكون جزء منهـا للنظـر، والآخـر للغطرسـة وتحريك الرموش "الطاووسية" عندها ليعالج عقدة النفس، ويـداوي مـرض النقص، ويوم لا تجد ما تتعالى عليه تسلط أشعتها على بعض جسدها وتنظر إليه بشيء من الرفعة والفوقية.
- **المتألقتان:** كما ذكرنا المستبعدات فإنه يجب علينا ذكر العينـين المتـألقتين وهما صاحبتا الامتياز من العيون، وهما المعنيتان بحديث رسـول الله (ﷺ) فيما يرويه ابن عباس رضي الله عنهما، قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: "عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحـرس فـي سبيل الله"، رواه الترمذي وقال حديث حسن، وخشية الله يورثها دوام مراقبة المرء لله – سبحانه وتعالى – في كل صغيرة وكبيرة، والحراسة في سـبيل الله أولها الجهاد في سبيل الله ولعله – أقول لعله – يصل الحال بكل عـين تحرس ثغرًا من ثغور الإسلام عسكريًا وعقائديًا وعلميًا، وقد يتبادر للـذهن بأن تألق الحراسة هو من حظ الرجال، لكنه متأكد في داخلنا بـأن المـرأة شقيقة في التألق إن هي شاركت.

لكنني بعينيك بالبحار عميد

أعود مرة أخرى إلى جمال العيون وسحرها لأقول: إن كل عين مهما كان شكلها إن هي بعدت عن تصنيف "المستبعدات" فإنه يسكنها شيء من الجمـال أو الجاذبية، وإن لم يكن هناك رسم تشريحي ولا جذب معنوي، فعلى الأقل رسـم قلبي وجذب إنساني، خاصة عندما تتحول العين إلى وسيط (لغة) للتفـاهم بـين اثنين أحب بعضهما بعضًا بصدق، فإن العين عندها تستحق أن يـستلقي علـى ضفافها قلب، ويمخر في عبابها روح، ويسكن في داخلها نفس ليغمـر الجميـع (القلب والروح والنفس)، رحلة رومانسية تطوف بخلايا الأعـصاب، وتتغنـى بألحان الأحباب، ومهما أراد الإنسان أن يبحث عن بحر آخر غير بحر العيون، فإنه لن يجد أشهى منه، ومهما كان يخاف من البحار، فإنه لن يلقى أأمن منه، بل إنه يصبح حقًا بعلوم البحار عميد كما قال الشاعر:

بـين عينيـك طـاب ألـف رحيـل
أي بحـر أشـهى تراني أريـد
كنـت أخـشى البحـار مـن قبـل
لكنني بعينيـك بالبحـار عميـد
بـين عينيـك: لا البلاغـة تجـدي
لا .. ولا الـشعر والبيـان يفيـد

يسقي جداوله ويضفر جدائله

(١٤١٩/٩/٢٣هـ)

لقد ماجت بي الأفكار وطافت بي الأقدار في البحث عـن صـديق قـديم عايشني أيام طفولتي قبل (٣٥) عامًا عندما كنا نلهو ونلعب في طيبـة الطيبـة، ولست أدري هل هو حي يرزق فأتصل به وأطلب منه اللقاء فقد اشتاق القلـب للقياه، لاشك أن كل قارئ في داخله صور من الماضـي القريـب لأشـخاص يثيرون الشجون عند تذكرهم، خاصة أولاد الحارة الذين لا يزال نبضهم يدق في عروق الذكريات، وتلوح في الأفق شقاوتهم وصداقتهم وعندما يجيء ذكرهم نود لو أن الأطياف تحملك إليهم، لتجلس معهم وتسامرهم عند ذكريات الطفولة وحياة الأمس.

عندما باعدت الحياة بيني وبين أولئك النفر من الأصحاب، وجدت نفـسي وجهًا لوجه أمام شيء يعوضني حنين الماضي وهو يحمل بصمته، فسرحت في الفضاء ونظرت إلى السماء فإذا مفتول الجدائل (القمر) يغازلني ويرمقني بنظره، يومئ إليّ بأصبعه، مؤكدًا أنه سيدلني على عنوان صديقي القديم، فمنحته فرصة كغيره من الناس، لعله يأتيني بأمره، أو يجد ما يدل عليه فهل يستطيع ؟!

يا قمر تسلم لي عينك

استبشرت خيرًا بحديث القمر السابق لكن كونه من يوم ولادته كهلال إلى نهايته عندما يعود كالعرجون القديم، مرورًا بالبدر التام شيء اختلف الناس فـي التفاهم معه جعلني أتردد بأخذ حديثه مأخذ الجد، فقبيلة كنانة افتتنـت بـه فـي الجاهلية فعبدته، وسجدت له، فحذر القرآن الكريم من مثـل ذلـك بقولـه: ﴿لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [سورة فصلت/آية ٣٧] والإنجليز يعتقدون أن مشاهدته في أول أيامه "هلال" شـؤم إلا إذا كان في جيوبهم قطعة من الفضة، والعشاق والمحبون يجدون في القمـر

ضالتهم فيلقون بأنفسهم على بابه، ويقبلون أعتابه، لأن من ينشدون من الأحباب صورة طبق الأصل منه كما قال الشاعر البدوي:

يا قمر ليلة أربعــة عــشر حــاربتني
لا أنت غايب ولا أنت مدرج بــالنزي

وأهل الطرب والغناء يبحلقون في السماء وهم يرددون: يا قمر تسلم لــي عنيك يا قمر، وذهب خيالي مع خيال بعض الناس عنــدما اعتقــدوا أن للقمــر وجهًا، وأن يقع السواد التي تظهر عليه يكون بدرًا، إنما هي عيون وأنف وفــم، لكن الصور الفوتوغرافية الحديثة كشفت عن هذا السواد فإذا به منخفضات هائلة في سطح القمر، تحيطها مرتفعات كالجبال، بل إنه تحول إلى مقبرة لدفن الشهب والنيازك لعدم وجود جو يحميه، ولهذا تشوه سطحه بكثير من الفوهات البركانية والتي يصل عددها إلى أكثر من ستين ألف فوهة يبلغ قطر بعضها ١٤٠ مــيلاً وعمقها ١٨٠٠٠ قدم.

قليل من الناس يعرف أن هذا الحليوة "القمر" بار بأمه الأرض التي ولدته عند نشأتها أثناء ميوعتها، وهي ساخنة، انفصل عنها لكنه لم ينسها مثل ما يفعل بعض الأزواج هذه الأيام مع أمهاتهم، حيث إنه ارتبط بها وظل يــدور حولهــا، وفي نفس الوقت يتبعها ليدور معها حول الشمس، فياله من ابن بار بأمه!!.

اتجهت بعد هذا كله مرة أخرى للقمر وقلت له: مالي وعلاقة الناس بــك، إنني لازلت أبحث عن صديقي القديم، ووعدتني بأن تسعدني باللقاء معه، فــأين هو؟!.

يسقي جداوله

التفت القمر إليَّ قائلاً: لست وحدك الذي عنده صديق قديم، فأنــا مثلــك زاملني منذ القدم صاحب جميل المحيا، ملك قلبي وسرق عقلي، وسيطر علــى حياتي، حيث أسرني حبه، وكنت أظن أنه لا يعرف سواي، ولا يعشق إلا إياي، وقد رافقته عندما أطل عليكم مع بداية هذا الشهر كهلال، فزغردت له القلــوب

ونادت باسمه المكبرات، وتليت في حقه الآيات، ومع أن المسلمين احتفوا به في كل مكان، وأغراهم بفتل جدائله التي يتزين بها يومًا بعد يوم، وهو في كل يـوم يسقي جداوله، فما من روح إلا وقد غرف لها من معينه الصافي (صيامه وقيامه وقراءة القرآن الكريم وذكر الرحمن) وشق لها في الحياة طريقًا للخير، وما من نفس إلا ووضح لها أن العبودية ذروة الشرف وغذاها بالمعنى الذي دعـا إليـه جميع الرسل: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وهو دلالة للتوحيد الخالص لله، ثم شرح لهم ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ علمًا وعملاً، وجعلهم في هذه الحياة متصلين بالـسماء، غير منقطعين عن ربهم، وفتح لهم في أيامه الأولى أبـواب الرحمـة، وجعـل أوسطه مغفرة، وآخر أيامه عتق من النار، وفي ليالي الوتر من العشر الأواخـر ليلة هي خير من ألف شهر، وعلمهم عبارة نبوية للتعامل مع هذه الليلـة، هـي المناجاة بقوله: {اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنا}.

يضفر جدائله

ما سبق من حديث يمثل حرص رمضان الشديد على أن يـسقي الأرواح والنفوس بمائه الطاهر، وأن يشق القناة والجداول بعطائه الزاخر، حتى إذا مـا اطمأن على ذلك كله بدأ يضفر جدائله واحدة تلو الأخرى حتى إذا ما انتهى من ذلك في آخر ليلة من لياليه المباركة، بدا عليه الحسن والجمال من جديد، وكأنه في إطلالته الأولى، وترى النجوم من حوله قد اصطفت للسلام عليه، ورافقتـه السماء لتشييعه، والأرض لتوديعه، وقليل من الضيوف من يكون في وصف هذا الضيف الكريم، الذي يدخل علينا مرة في العام من خلال صديقه القديم القمـر، الذي يبدأ هلالاً وينتهي محاقًا، وبينما أنا أسطر هذه المقالة، وأكتب حروفها أمام الكعبة المشرفة في الحرم المكي الشريف، استوقفني منظر الطائفين والعـاكفين والركع السجود في إحدى الليالي التي يضفر بها رمضان جدائله (ليلة الجمعـة الموافق (١٤١٩/٩/٢١هـ) فعدت مرة أخرى للقمر أسأله عن عنوان صـديقي القديم هل يعرف عنه شيئًا كما عرفت أنا عن صديقه كل شيء ؟!

الهـــضم

(١٤٢٠/٢/١٥هـ)

تجاذبتني عدة أشياء وأنا أكتب مقال هذا الأسبوع أولهـا: تـأخري فـي التجاوب مع مجموعة الرسائل والفاكسات التي وصلتني .. وفي نفـس الوقـت تأخر زاوية "نظرات في إصدارات".

ولا أدري لماذا خطرت على بالي أحوال المنكتين وأنا أردد أبياتًا مـن الشعر، يقول صاحبها:

سقط الثقيل من السفينة في الدجى
فبكى عليه رفاقه وترحموا
حتى إذا طلع الصباح أتت به
نحو السفينة موجة تتقدم
قالت: خذوه كما أتاني سالمًا
لم ابتلعه لأنه لا يهضم

لقد ذكرتني هذه الأبيات بأشياء كثيرة لا يمكن أن تهضم بسبب تعثر عملية البلع، وهي تشبه إلى حد بعيد وضع النكت الباردة التي لا يتجاوب معهـا أحـد لأنها "باردة"، خاصة إذا جاء ذكرها في سوق "النكاتين" (محترفي النكت) الـذين يتداولون النكت فيما بينهم بطريقة الأرقام، يعني كل نكتة لها رقم فمثلاً نكتة رقم (١٥) إذا ذكر الرقم عرفت شلة المنكتين مدلول النكتة، فيـضحكون، ويعطـون النكتة ما تستحق من الضحك دون زيادة أو نقص، وقد يتخذ بعض الناس النكت وسيلة للرزق، فقد كنت يومًا أسير في شارع إحدى العواصم، وإذا بفتاة صغيرة تطل برأسها من النافذة، مصوبة حديثها نحوي وهي تقول: هل تريـد نكتـة ؟! وكنت يومها بحاجة فعلاً إلى نكتة، أسلي بها عن نفسي من ضنك العمل فقالت:

"رجل أحول مات والده راح دفن أمه"، فضحكت، وضحك صديقي الـذي كـان معي، وبعد قليل أخرجت الفتاة الصغيرة ورقة ثم قالت يدك على (....) وذكرت ثمن النكتة، فقلت لصديقي: عسى ما تكون الورقة خاصة بقائمة الأسعار؟! ومن النكت التي تصنف على أنها نكت باردة هي نكت "النحويين" (أصـحاب اللغـة العربية)، وحاولت يومًا أن أنحو منحاهم، وأحفظ بعض نكتهم، ومع أنني وصلت النكتة بكلِّ ألفاظها وأبعادها إلا أن "الربع" لم يضحك منهم أحد، على الرغم مـن أن الذين استمعوا للنكتة مثقفون ومن حملة الشهادات الجامعية (يعني ما تنقصهم لغة)، وقد تجاوب البعض بعد دقائق وبدأت "سست" الضحك تشتغل.

لقد اضطررت للحديث السابق في محاولة مستميتة مني لهضم ما لا يمكن هضمه، فما هي الأشياء التي لا يمكن هضمها؟!

قضم وهضم

هناك تناسق بين كلمتي: القضم والهضم، فالقضم متطلب سابق للهـضم، وما لا يمكن هضمه لا يصح قضمه، حتى ولو ادعى بعض الناس نجاحهم فـي قضم العديد من حقوق الناس، إلا أنها تبقى عالقة في ذممهم لا يمكن هـضمها. والترابط بين الكلمتين لغويًا وعلميًا كبير، فالأشياء التي لا يمكن هضمها هي في الحقيقة الأشياء التي لا يمكن قضمها، صحيح إن القضم يسهل الابتلاع لكنـه لا يجير على الهضم، لأن الهضم بيولوجيًا عملية حيوية لتحويل الطعام في النهايـة إلى ذرات مركبة من الهيدروجين والأكسجين وذرة الكربون والنيتروجين، وهذه الذرات هي التي تعطي خلايا وأنـسجة الجـسم مـا يُعـرف بالكربوهيـدرات والبروتين والدهنيات .. وهذه العناصر هي مصادر الطاقة الكامنة في الغـذاء، والتي يستمد منها الجسم عوامل النشاط والبناء، وهناك ترتيـب إلهـي عجيـب لعملية البلع، فاللقمة لكي تنزل إلى المعدة، فإنه تمر بمرحلة خطيرة جدًا، قد هيأ

الله لها مسلكًا خاصًا يتحتم فيه إغلاق بوابة الجهاز التنفسي ليحمي نفسه والجسم من ضرر بالغ الخطورة، ويتم ذلك ذاتيًا بـدون إرادة خارجيـة عـن طريـق عضوين هامين لا تتوقف حركتهما طول الليل والنهـار همـا: اللهـاة ولـسان المزمار يقوم بإغلاق الحنجرة أثناء عملية البلع وبذلك يكون الطريق إلى القصبة الهوائية آمنًا لا يمر فيه إلا الهواء، وحركة اللهاة ولـسان المزمـار كحـراس بوابات تخضع لهيمنة عصبية متوافقة، تتم ذاتيًا بفضل العصب الوجهي التاسـع والعاشر تحت إشراف المراكز العصبية في جذع المخ، فإذا لا قدر الله – وهـي حالات نادرة جدًا – أصيبت هذه الأعصاب بضرر فإن الإنسان لا محالة يموت أو يكون طريقه للموت سالكًا، ولعمري إن الإنسان مدين لربه في خلقـه، فهـل يعي ذلك؟ إن أجهزة الإنسان الهاضمة (الفطرية) لا يمكن أن تهضم ما لا يمكن هضمه، أو تقضم ما لا يمكن قضمه، بعكس أجهزة الإنسان الظالمة (الشيطانية) التي تقضم ما لا يمكن هضمه، وتهضم ما لا يمكن قضمه. وللظلم (قضم وهضم حقوق الآخرين) صور عديدة في أي مجتمع لا يمكن حصرها.

لا (تواعد) ولا تركب مصاعد

(١٤٢٠/٣/١٣هـ)

كنت في إحدى الإدارات، وبينما أنا في طريقي للخروج منها، إذ بمجموعة من الناس تنظر إلى مبنى داخل تلك الإدارة، والحزن قد بدا على الوجوه، والألم يعتصر القلوب، وكأني بهم يترحّمون على شخص من كثرة تصويب أنظارهم نحو المبنى، وترحّمهم عليه ظننت أن ذلك الشخص مدفون في ذلك المبنى.

"قلّبت" المبنى "يمينًا ويسارًا" إنه منأى عن أنظار الناس ومهجور، وليس فيه من حركة إلا أنه مُشرَع الأبواب، وأول ما يقابلك المصعد. سألت أحد العاملين في تلك الإدارة: ماذا هناك؟ قال: لقد أخرجنا في الأسبوع الماضي من هذا المصعد إنسانًا ميتًا (!!!)، عندها وقف شعر رأسي، واقشعر جلدي، وبدون شعور مني قلتُ: كيف كيف كيف (!!!) قال: لقد استخدم صاحبنا المصعد، وارتفع به إلى الدور الرابع وتعطل هناك، وبقي الرجل حبيسًا وبما أن المبنى مهجور، وليس هناك من يسمع نداءه وصراخه، إضافة لعدم وجود من "يُشيك" على المباني ولا المصاعد، بقي الرجل في مكانه يُصارع الموت حتى توفاه الله، ولم يعرف وضعه إلا بعد خمسة عشر يومًا حيث فاحت رائحته (!!!).

هذه قصة واقعية حقيقية تتناولها المجالس بالتحليل والتساؤل:

- أين الأخذ بأسباب السلامة في حياتنا؟، ومن المسؤول عن التسبب في مثل هذه الأمور؟!.
- أليس هناك ما يعرف "بأمن المباني" وصيانة المصاعد؟

إن موضوع السلامة في العالم الشرقي يختلف تمامًا عنه في العالم الغربي. ولعل ذلك يعود إلى صرامة الأنظمة، والاختلاف البيّن في وجهات النظر نحو قيمة "الإنسان"، أي إنسان.

لا تواعد ولا تركب مصاعد

بينما نحن منهمكون في حديثنا عن الموضوع السابق، إذ بأحد الجالسين يقول: لقد وضعتُ لنفسي قاعدة من جزأين وهي: "لا تواعد ولا تركب مصاعد" وهي موضع التنفيذ عندي، بعد تجربة طويلة مع "المواعيد" و"المصاعد" وهاكم التوضيح:

- لقد زرتُ يومًا قريبًا لي في عمارته واستخدمتُ مصعدها، وشاء قدر الله أن يتعطل المصعد بين الدورين الثالث والرابع، فتعطل معه قلبي، ووقف نبضي، وضاقت نفسي، وبدون وعي أخذت أضغط على جميع (الأزرار) التي بداخل المصعد و (أخبط) على باب المصعد، وأصيح أحيانًا أو أصرخ وأطلب النجدة، إلى أن خارت قواي، وصرت أبكي كالطفل الصغير، ومع أن الناس تناديني من الخارج، وتُطمئنني، وتطلب مني الصبر، إلا أن روحي كادت تخرج من شدة الهلع، ولم يتم إنقاذي إلا بعد ست ساعات، وحلفتُ بعدها ألا أركب مصعدًا أبدًا في حياتي.
- الشطر الثاني من القاعدة يخص "المواعيد"، فمن تجربتي الفردية خلصتُ إلى أنه لا يمكن أن ينضبط كثيرون بالمواعيد، فلا أتذكر أنه عقد اجتماع لجنة في موعده، ولا حضر شخص قط (على وعد معه) في موعده، ولم يوف موظف يومًا مراجعه عندما يعده، فالأفضل ألا (أواعد)، خاصة موعد "خمسة ونصف وخمس". لأنه موعد لا يوجد من يلتزم به، ولا يقدر عليه أحد.

هرمونات الطوارئ

هناك تباين بين الناس عمومًا في موضوع الخوف، وقد أوضحت ذلك في مقال سابق لي بعنوان "قد يلهبُ الخوفُ العصب" يظهر التباين في الخوف جليًا عند ركوب الطائرات، أو استخدام المصاعد، لعل ذلك يعود إلى حالة التأهب والتحفز النفسي، بالإضافة إلى نشاط هرمونات الطوارئ (الأدرينالين والنورادرينالين) خاصة في حالات الفزع الشديد، وتصاحب ذلك زيادة في ضربات القلب، وارتفاع ضغط الدم، وهياج الأعصاب، وتوتر العضلات، وقد يغيب الإنسان عن وعيه أحيانًا. لذلك فإن أول ما يجب أن يفعله الإنسان عند الطوارئ هو "الهدوء" ولا يتأتى الهدوء إلا بذكر الله – سبحانه وتعالى – ثم المعالجة السليمة للمواقف.

نعود إلى موضوع المصاعد وصاحبنا الذي وضع لنفسه تلك القاعدة بأن كلامه صحيح في حالة المصاعد المهجورة والقديمة، أو التي نشعر بألا صيانة لها، أما غير ذلك فإنه مبالغ فيه. كما يذكر جميع مسؤولي الإدارات، خاصة مسؤولي الأمن والسلامة بضرورة الأخذ بقواعد السلامة، وأن نقتفي بذلك سنة المصطفى (ﷺ) فيما يرويه أنس بن مالك ﷺ حيث قال (ﷺ) للرجل: "أعقلها وتوكل".

عكاظ × عكاظ = (عكاظ)٢

(١٢/٤/١٤٢٠هـ)

إن قلة قليلة جدًا من بشر العالم الثالث من يتبنى منهج "احتـرام الآخـر"، ويجعل لذلك مكانة في نفسه، ويورثه لغيره من الأبناء والتلاميـذ، حتـى غـدا التعامل بهذا المنهج عملة صعبة قلَّ أن تجدها بين الناس، مما أدى إلى شـيوع ظاهرة صد الآخر، والتطاول عليه وسوء الأدب – أحيانًا – معه، كل ذلك يـتم باسم (الفهم) و (المعرفة) و(العلم).

لقد ابتلى الإعلام العربي، ولحقه من ذلك ما لحقه حتى أصبحت أجـزاء من جسده مثل الصحافة والتلفزيون ميادين يرتع فيها المتخاصمون والمتعادون، وأسوأ صورة لذلك أن ترى صغارًا في الفهم والعلم والمعرفة ومن مقاس "زغب الحواصل" أو "كتاكيت المنازل" من ينقر قلوب الأمة (العلماء) أو يـسفه عقـول الأمة (المفكرون)، أو يشوه عيون الأمة (العظماء).

في جلسة لنخبة من المثقفين أكد الجميع أن أدب الحوار عنـد الاخـتلاف مُغيب، وأنه حان الوقت أن تُفكر وسائل الإعلام جديًا في إحيائه وإذكاء روحـه، وأن تقتفي في ذلك أثر النبوة والحد الأدنى له إتاحة الفرصة لعرض البـضاعة كما يحدث في (السوق) تمامًا، ولا أدل على ذلك تاريخيًا مـن سـوق عكـاظ (المدرسة) الذي يستقبل هذه الأيام عكاظ (المؤسسة).

الركاض في عكاظ

عندما تشرفت باستلام دعوة معالي الأستاذ عبدالوهاب عبدالواسع لحضور حفل مؤسسة (عكاظ) الأربعيني في (سوق عكاظ) التاريخي، كنت عازمًا علـى الحضور، لكن ظروفًا عملية حالت دون تحقيق ذلك.

إن هناك شبهًا بين (عكاظ) الأمس و(عكاظ) اليوم، يظهر ذلك الشبه جليًا في محورين أساسيين هما:

- أسلوب التخاطب ولغة المفاهمة، فكما كانت الناس في (سوق عكاظ) تنعم بالاحترام لبعضها فإن صحيفة (عكاظ) لم يتدن مستوى الحوار فيها لما تحت صفر كما يحدث في بعض الصحف.
- الحيوية والحركة والتعبئة الذاتية حيث كان يشهد (سوق عكاظ) التاريخي حضورًا متألقًا وحيويًا من الأدباء والمفكرين والوجهاء، وهو ما نلمسه في (عكاظ) اليوم من حضور وحيوية وحركة ونشاط.

إن عبارة "الركاض في عكاظ" صورة صوتية لإيقاعات الماضي والحاضر، وهي تعبير عن الدخول لحلبة السباق وفي الذهن فقط (الصدارة) إن صحيفة (عكاظ) وهي قلب المؤسسة ونبضها جديرة بأن ترتدي اليوم ثوب (سوق عكاظ) التاريخي ليكون الناتج النهائي:

(عكاظ)^{٢} = عكاظ × عكاظ

مؤسسة في حجم مدرسة

لاشك أن تحقيق النجاح لا يكون، بعد توفيق الله، إلا بالعمل الجاد والمخلص إن (مؤسسة عكاظ) يتحقق فيها القول إنها مدرسة، نجاحها في مجمله كان بسبب ثمرة الجهد المتواصل من الفريق المتكامل الذي يقوده رئيس التحرير.

ليس من طبعي المدح ولا الثناء، كما أنه ليس من طبعي غمط الناس أو تجاهل نجاحاتهم، فالدكتور هاشم عبده هاشم: هو مدير هذه المدرسة وصانع رجالها، وهو على درجة عالية من الذوق الرفيع الذي يمنح الآخر فرصة التألق

والنجاح. وقد أنجبت هذه المدرسة ثلة من المتمرسين في العمل الصحفي، لعل في مقدمتهم نواب رئيس التحرير وهم الدكتور أيمن حبيب، والأستاذ علي مدهش، والأستاذ مصطفى إدريس، ومن المدرسة نفسها تخرج الأستاذ قينان الغامدي، الذي سيتولى رئاسة تحرير جريدة (الوطن) بإذن الله فهو بلا شك صناعة عكاظية يعني made in okaz.

إن قلم الدكتور هاشم ليس بحاجة إلى إشارة أو إشادة لأنه في (الإشراقة) إشراقة، فما أعذب ما يكتبه في تلك الزاوية.

تعديل وتأصيل

إن ما أشرت إليه عن (عكاظ) لا يعني أبدًا أنه قد كمل لها الحظ، أو قد خلت من النقص، أو ليس للناس عليها مأخذ وملاحظات. بل إن فيها من الجوانب ما تحتاج فيه من تعديل وتأصيل، سواء من الناحية الصحفية والفنية أو من الناحية المنهجية والتحريرية، مما يؤدي إلى مزيد حسنها وجمالها، إن في دعوة أخي الدكتور هاشم، في إحدى إشراقاته ما يؤكد هذا المعنى، ويدل عليه، وفي ظني أن ذلك منه علامة من علامات السير الصحيح، ولعلي في مقال مستقل "بإذن الله" أوضح شيئًا من تلك الجوانب، بغية تسديد هدف لصالح (عكاظ)، وكما قلت في بداية مقالي هذا: أننا بحاجة إلى سماع الرأي الآخر، لكي يتحقق لنا مزيد من فهم الحياة، وتحقيق النجاح، بعيدًا عن أدواء الذات وعللها وأمراضها، قريبًا من مرضات الله، ومبتغى وجهه ولقاه، فهل نفعل؟.

بحـــر لا شـاطئ لـه

(١٤٢٠/٩/١١هـ)

لفت نظري ما يُسرف فيه بعض الناس في القديم والحديث مـن إضـفاء ألقاب وأوصاف على العلماء، سواء منهم الشرعيين أو الكونيين، وكلاهما معًـا. وهو لعمري وصف في محله من جهة، وقد يظهر أنه مبالغ فيه من جهة أخرى. فإذا استثنينا بعضًا من فتح الله عليهم بعلم الدين من أصحاب الرسول الكريم (ﷺ) كعبدالله بن عباس، وعبدالله بن عمر، وأبي هريرة – رضي الله عنهم أجمعـين، فإننا نجد أن هناك أوصافًا في الماضي والحاضر كـالعليم العلامـة، والفهـيم الفهامة، والطيالسي، والبروفيسور، ووحيد زمانه، وفريد عصره، وغيرها مـن الأوصاف والألقاب التي تحمل معنى عمق التخصص، وسعة الاطـلاع، وهـي كما قلت في محلها: إذا نظرنا إليها من زاوية الأحاسيس والإعجاب. لكنها مـن جهة أخرى أمر مبالغ فيه، خاصة عندما تقارن بعلم الله الواسع الكبير. لذلك فإن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [سورة الإسراء/آيـة ٨٥] فمجموع ما أوتي العلماء بجميع فئاتهم وتخصصاتهم يُعتبر قليلاً لا ذكـر لـه، فكيف إذا تم توزيع هذا القليل على جميع التخصصات الدقيقة، وماذا سيحظى به كل متخصص يا ترى؟

إن الذي قادني للمقدمة السابقة هو وصف أحد المعجبـين بأحـد العلمـاء بقوله: إنه بحر لا شاطئ له. فقلت له: إذًا لا يستفيد الناس منه قال: لماذا؟ قلـت له: لأنه بحر قد حُرم الناس من شاطئه.

شاطئ جـــدة

زارني زميل من إحدى الدوائر عندما كنتُ معيدًا وذهبت به إلى شـاطئ الكورنيش مفتخرًا به، حيث هو "البساط" الذي تقدمه لضيوفنا القادمين من جميع

أنحاء العالم، وقد أعجب به كثيرًا بل وعده مفخرة لمدينة جدة، ثم غاب عنا زمنًا طويلاً إلى أن جاء في صيفنا الماضي: صيف "الناس على فين رايحين"، ولاحظ بعض الأمور على الشاطئ كان بعض منها إيجابيًا وهو اهتمام أمانة جدة بالمحافظة على البساط (الكورنيش) في بعض جوانبه، إلا أنه امتعض أشد الامتعاض عندما علم أن هناك عقودًا أبرمتها الأمانة مع شركات ومؤسسات لاقتطاع مساحات من الشاطئ المُطل مباشرة على البحر لتنفيذ مشاريع، ومتنزهات خاصة. وحاولت أن أبرز بأن ذلك يُعد استثمارًا للأمانة بل "وفهلوة" منها لكي تكسب، إلا أن ذلك زاده دهشة وامتعاضًا، وقال: والله لو كنت كاتبًا مثلك لكتبت مقالة أدعو فيها لإيقاف مثل هذا النوع من الزحف الجائر، والذي أخشى ما أخشاه أن يستعذب طعمه، ويستساغ أمره فيجني ثماره المواطنون في المستقبل حرمانًا وبُعدًا. قلت له: لنفرض أني قلت مثل هذا الكلام، ماذا بعد ذلك؟، قال: ابعث برسالة إلى مجلس المنطقة وإلى سمو أميرها الكريم للنظر من جديد في مثل هذا النوع من المشاريع، وإيقاف بعضه إن أمكن، قلت له: لماذا؟ قال: لكي لا تغدو جدة يومًا بحرًا لا شاطئ له.

عليلُ والنسيم عليل

قلتُ في نفسي لو أن صديقي كان بيننا هذه الأيام في جدة، حيث نسيم البحر، لأكد على مطالبه السابقة بكل قواه، لأن النسيم و"هفة" الهواء العليل على امتداد الشاطئ تُعيد للنفس إشراقها، ونظرة في أمواج البحر، وهي تهز أوساطها تعيد للشجرة أوراقها. وكان زائر جدة في الماضي من شدة التصاقه بالشاطئ، يظن أن جدة جيب، يسكن في طرف البحر، وأن من يصلها لابد وأن تبتل ثيابه بماء البحر، ناهيك عن تمتعه بنسيمها، وعذب هوائها، لأن البحر في جدة يعني أن هناك نسيمًا يطلق عليه نسيم البحر، وهو علميًا عبارة عن الهواء الملامس لسطح الأرض عندما يسخن، وتصبح حرارته أعلى من حرارة الهواء الملامس للمسطحات المائية التي بجواره مما ينتج عنه صعود الهواء اليابس إلى أعلى،

ويحل محله هواء بحري أقل حرارة، فيُلطف الجو أثناء النهار، فيجعله علـيلاً. وقد استعد هذا الوصف "النسيم العليل" من كون أن العليـل والمحـزون، وكـذا ضائق الصدر و"معكنن" الخاطر إذا تنسم الريح الطيبة، وجد لها خفًـا وفرحًـا، وانشرح صدره بها، كما جاء بشيء من هذا المعنى ابن منظـور، وكمـا قـال الشاعر:

فـإن الـصبا إذا مـا تنـسمت
على كبد محـزون تجلـت همومهـا

وقد شبه أحد الشعراء الحديث العذب بالنسمات العليلة، حيث تهب برقتهـا وصفائها على السقيم فتشفى فؤاده العليل:

بـأبي مـن شـفى فـؤادًا علـيلاً
بكـلام حكـى النـسيم العلـيلا
زاد فـي طولـه ارتياحًـا إليـه
وغغامًـا بـه عريـضًا طـويلاً
كرضـاب الحبيـب يـروي علـيلاً
ثـم ينـشي إلـى المزيـد علـيلا

لا شك أن شاطئ البحر في جدة (الكورنيش) بساط ضيافة، قدمته الدولة – يحفظها الله – للمواطنين، لتهب عليهم نسائم البحر، فتدخل الفرح والسرور على نفوس الصغار والكبار، وترسم البهجة على الوجوه المعتلة الأولـى، أو معتلـة الآخر، في زمن لم تعد فيه حروف العلة ألفًا وياءًا وواوًا، فالإنسان عليل والنسيم عليل.

أكتم الوجد في الأعماق أدفنه

(١٤٢٠/١١/٢٨هـ)

كتبت هذا الأسبوع مقالاً بعنوان « الإصـــلاحيون: مـــستقبل الماضـــي أم ماضي المستقبل ؟!» تطرقت فيه لحالة الانتخابات الديمقراطية التي تعرض لها الجو الإيراني التي تعرض لها الأوربيون « طقسًا صحوًا » وصورة حضارية، حيث يغادر المحافظون قاعة البرلمان، مودعين بالحفـــاوة والترحيـــب، ليحـــل مكانهم الإصلاحيون، مستقبلين كذلك بالحفاوة والترحيب، ليبقى الـــسؤال الـــذي يبحث عن الإجابة: ماضي المستقبل أم مستقبل الماضي؟!

بينما كنت أرتَب أفكاري للكتابة فى الموضوع السابق قطع حبل أفكـــاري حالة صديق عزيز، وشدني ما هو فيه من سرحان ،قلت له: ما بـــك؟! قـــال « أكتم الوجد في الأعماق أدفنه »، قلت في نفسي: إنه ليس بصغير حتى يهيم بهذا الشكل!! هل يمكن في هذا السن أن يتعلق قلبه بطيـــر!!!، وأيـــن طيـــره الأول "زوجته الأولى" إن "الوجد" عندي يعني الحب، فلماذا يكتمه؟! ثـــم هـــو لمـــاذا يدفنه؟! صحيح من قال: "من طب في الهوى ألمت به مصيبة".

الوجـــــــد

صحح صديقي معنى الوجد عندي، وأفهمني بأنه الحزن، وذهبـــت إلـــى بعض قواميس اللغة لأجد بأن الوجد يعني الحب، كما أنه يعني الحزن، قلت له: ما أجد بك من ضرورة للحزن، وأنت ترفل بنعمة، وعندك زوجة وذرية وخير، قال: "لقد كنت قبل أيام في إحدى المستشفيات وإذا بامرأة شابة وليست بشابة. قد أشعلت المستشفى بالبكاء" تلهث خلف سرير في ردهات المستشفى، حيـــث بـــه طفل موسر ينام على مخدة بيضاء لا تتعدى سنه العاشرة، قد غمره الموت حتى كبده، تنبض خلاياه بالتوديع، تنطلق قبلاته من شفتيه البريئة لتحط على شـــفاف

من تلهث خلفه (أمه) فتحيلها إلى لهيب وحرقة فيجعلها تصبح بلا وعي، وتبكي بدون توقف، وزاد حزني عندما علمت أنه وحيدها. ومن يومها وأنا أسأل نفسي كيف لمثل هذه الأم الحزينة أن تذوق طعم الحياة؟، ألم يقل الشاعر:

أشرب ماء الحزن مـــن غيـــر مائـــه
وقـــد ضـــمن الأحـــشاء لهيـــب

قلت له: الله يصبرها لكن عليها أن تمحوه من الـــذاكرة، وتحتـــسبه عنـــد ربها، قال بلهجة استنكارية: كيف يكون ذلك؟! كيف تمحوه من الذاكرة؟!! إنهـــا إن استطاعت أن تمحو اسمه، فسيبقى في الذهن رسمه: ستتذكر كيـــف كانـــت تداعبه وتلاعبه، سيهب عبق أنفاسه عليها وتشتم رائحتـــه، ســـتتخيل نظراتـــه وابتساماته، أنينه وأوجاعه، سينطلق من أحشائها الشوق له، وستتمثل في حالهـــا قول الشاعر:

طواه الردى عني، فأضـــحى مـــزاره
بعيدًا عن قرب، قريبًـــا علـــى بعـــد
لقد أنجـــزت فيـــه المنايـــا وعيـــدها
وأخلفت الآمال ما كـــان مـــن وعـــد
لقد قـــل بـــين المهـــد واللحـــد كبتـــه
فلم ينس عهد المهد إذ ضم في اللحـــد
ثكلـــتُ شـــروري كلـــه إذ ثكلتـــه
وأصبحت في لذات عيشي أخا زهـــد
كأني مـــا اســـتمتعت منـــك بـــضمة
ولا شمة فـــي ملعـــب لـــك أو مهـــد
وأنت وإن أفـــردت فـــي دار وحـــشة
فإني بدار الإنس في وحـــشة الفـــرد

مقبرة الأحزان

الحزن لون من ألوان الأتراح، والأتراح شقائق الأفراح مع ما بينها من صور متقابلة، إلا أن كليهما يمس القلب وكليهما كذلك لا يدوم، والفرق بينهما: بأن الفرح تأخذ الناس بيده وتظهره، وتنشره ويحس الجميع به، بينما الحزن تخفيه النفس وتكتمه، ولا يحس به إلا صاحبه، لذلك فإنه يضطر إلى قبره ودفنه في الأعماق.

ترى أين هي مقبرة الأحزان في داخل الإنسان؟! هناك مقبرة واحدة في داخل الإنسان تعرف بمقبرة الغزاة (الطحال)، هذا العضو يبدأ في الأجنة، يشارك الكبير في إنتاج الخلايا الدموية، ثم بعد الولادة تراه يتخصص في تصنيع بعض الخلايا اللمفاوية الخاصة بالمناعة، إضافة إلى الوظيفة الخاصة به، وهو أنه مقبرة للغزاة حيث تقبر (تدفن) به الخلايا الدموية الميتة.

عرف العلماء الكثير عن تفاصيل جسم الإنسان وأعضائه، إلا أنهم لا يزالون يجهلون الكثير عن تفاصيل نفسه وأعماقه، ومما يجهلونه هو الموقع الذي تدفن فيه الأحزان (مقبرة الأحزان) فلا يزال الإنسان كائناً مجهولاً.

بين ((ثغر)) الأدب وأدب ((الثغر))

(٢/٢/١٤٢١هـ)

"الثغور" كلمة لم أعرفها إلا من خلال كتب التاريخ والعلوم، أما التـاريخ فعند الحديث عن الفتوحات الإسلامية والمرابطة في الثغور، والعلوم من خـلال كتب علم النبات حيث هي – أي الثغور – تركيب تشريحي يرتسم على خـدود الأوراق، تفتح وتقفل وفق وظيفة فسيولوجية محددة.

أما غير ذلك فإن الثغر (مفرد ثغور) – كلفظ ومعنى – لم يخلد في الذهن، إلا أنه وصف لمدينة جدة، فجدة ثغر البحر الأحمر، وفي جدة نفسها لم يكن هذا اللفظ يعني – بالدرجة الأولى – إلا مدارس الثغر النموذجية، وكأني بـه لغويًـا لفظ مرادف لكلمة "الفرجة" وهو في وصف البشر لكل من حباه الله فمًا صـغيرًا تطبق فيه الشفتان، وتفتح على بعضهما بطريقة آلية، لذلك فإن اللغويين يقولـون بأنه – أي الثغر – ما تقدم من الأسنان، أو هو موضـع المخافـة مـن فتحـات البلدان، التي تستلزم وجود حرس تسهر أعينهم حتى لا تؤتي البلاد من قبلهمـا (بكسر القاف)، وسأكتفي في هذا المقال بالحديث عن العلاقة بين الثغر والأدب.

"ثغر" الأدب

تفضل الشيخ الأديب صالح بن سعد اللحيدان، المستشار بـوزارة العـدل بإدراجي ضمن مجموعة من النقاد لإلقاء الضوء على بعض قصائده، التي ينوي أن يجعلها في كتاب مستقل، ظنًا منه بذوقي وحسي الأدبي، وبيني وبـين الأدب حب وبُعد، وذوى وهوى ولقاء وفراق، أعذب لأجله وهو سبب عذابي، واتشقق رشفة من مائه "فيلطعني" عند بابه، أطلب منه جملاً فيتصدق عليّ بالكلمات فقط، وأنشده الكلمات فيمنحني الحروف فقط، فأضطر إلى "لملمة" ما تصدق به علـيَّ

من كلمات، وما منحني إياه من حروف، فأصنع منها جملاً أدبيـة أرسـم بهـا الصور العلمية ليصبح الأسلوب "علمي متأدب".

إن الأدب ضارب الجذور في التاريخ، وما من حـضارة إلا ولهـا أدب وأدباء، وأقرب ما نستوعبه هو "الأدب العربي" الذي قرأنا قصائده ونثـره فـي "الجاهلية"، و"صدر الإسلام" وما بعدهما، حتى عصرنا الحالي الذي امتزجت فيه الثقافات، وذابت فيه الحضارات، وغدا الأدب أدبًا عالميًا لا هوية لـه، وانـساق بعض أدباء الأمة العربية خلف كل غث وسمين، فـذهبت بـذلك هيبـة الأدب، وهزّت أركانه، وليس هذا الحال يخص الأدب وحده، بل إن لغة الـضاد، وهـو بيت الأدب الفسيح، تعاني من العقـوق والرمـي بـالعقم فـي عـصر العلـم والمخترعات، ويزيد من حالها سوءًا مجامعها اللغوية التي تثقل الناس بتعريـب ليس له معنى، ينفر الناس منه، فمن ذا يا ترى يتـرك كلمـة الفـاكس ليقـول "الطبقصل" (طبق الأصل) مثلاً وهكذا، فإن اللغة بحاجة لإنشاء الثغور أولاً ومن ثم حراستها خاصة ثغر الأدب.

أدب الثغر

احتفلت يوم الثلاثاء الماضي مدرسة ثانوية الثغر (طريق مكـة) بعـرس أبنائها خريجي الثانوية (الدفعة السادسة والأربعون) وذلك بقاعة الـسلطان فـي فندق الإنتركونتيننتال وقد شنفت أذني قصائد أدبية رائعـة، عرضـت بطريقـة الإنشاد، وهي من تأليف بعض منسوبي المدرسة، إلا أن الأكثر تأثيرًا فيّ كانت القطعة الأدبية التي خطتها ذراع أحد أبناء المدرسة الخريجين، وهـو الطالـب ريان محمد سعدي الجندي. حيث أسرت مني الفؤاد واستحوذت علـى الـوداد، وأجبرتني على قول المراد من أن في مدرسة الثغر أدب وأدباء، ولعل ذلك يعود – بالدرجة الأولى – إلى مديرها الأستاذ عبدالله أبو زيد، الذي وصفه الأسـتاذ

مأمون بنجر بقوله: "العربي، وهو كذلك وبمن حوله من كوكبة اللغــة والأدب، ومعلمي المدرسة".

أنقل لكم هنا مقطعًا من تلك القطعة الأدبية حيث يقول الأديب ريــان فــي مجال التوديع:

"أستاذي الفاضل: يا من استطاع صقل براءتنا، وإبراز مواهبنا، وتحــسين شمائلنا، أستاذي الفاضل: أتذكر كيف كنت بالأمس لنا؟ دعني أتولى ذلك شمــسًا تنير الدروب للآخرين، وكنت بدرًا يقود نجمات العلم نحوتًا .. شمعة مضيئة .. توجهنا .. تناقشنا .. تؤدبنا.. تعلمنا. أجل .. كنت عماد مدرستنا، عبير زهرها، وحلو عسلها، وخُضرة مرجها، ونور وجهها، لقد كنت قدوتنا، وأكرم بمدرســة أنت ربيعها وأنت قدوتها.. أساتذتي الكرام: آن الأوان وحانــت الــساعة كــي تبصروا ثمارًا زرعتموها .. ثمارًا ريانة قد أينعت، وحان لها أن تترك شجرتها الأم، لكنها ثمار لا تبور: علم ينتفع به، وخلق يعمل به، وذاكرة لا تمحي، ووفاء يدوم ما دارت الأيام.

نحن ورودكم الجذابة... ورودكم التي كبرت بلا أشواك، ريحها طيــب، ومنظرها أطيب، تاهت البسمة، ولم تجد طريقها إلى شفاهنا، ونحن نقول لــك: وداعًا يا ثغرنا .. تلعثم اللسان، وغص الحلق حينما أراد وداعك يا ثغر.. وهــن الفؤاد .. خفق القلب فاض الحب في حفل الوداع والتخرج .. وكيــف لا تــدمع العين، وتبكي لفراق ثغرنا الحبيب هذه هي الثغر "المدرسة" بشطريها في الشمال (الخالدية)، والجنوب (طريق مكة) تقدم أبناءها عامًا بعد عام لخدمة الوطن وهذا هو أدبها وعلمها، أما الحديث عن أدب الثغور "الباسمة"، والثغــور "المرابطــة" والثغور "النباتية" فهذا ما سنفرد له مقالة خاصة بإذن الله.

الغربة حرقت فؤادي

(٢٠/٤/١٤٢١هـ)

عندما تنظر إليه تعجبك فيه أشياء كثيرة في مقدمتها سمته وأمتــه، خُلقــه وخَلقه، لباقته وأناقته، وأخيرًا نفسه وحسه، وهو في مقتبل العمر وزهرة الحياة، يعيش متنقلاً بين الدول الأوروبية، في قلبه حنين، وفي داخله أنــين إن جلــست معه جلسة واحدة ستتضح لك ملامح حياته، وتعرف أنه أسير مأسور، ورجــل مقهور، بل رهين ومرهون، يغمض عينيه كل ليلة على حلم اسمه "أم" وتستنشق خلايا الشم في قلبه رائحة هي رائحة الأخ والأخت، وتحتبس رئتاه شــيئًا مــن نسمات الأب الذي كان يد لله، وترتسم في ذهنه صورة من كان يلاعــبهم مــن أبناء الحي، فهذا سعد وذلك أحمد، وبينهما يجري مروان، يغيب أحيانًا بل يشرد إلى حيث كان يعيش بين الأحباب من بني الوطن، ثم يفيق ويعود ليرى نفسه لم يبرح حديقة "الهيدبارك" في لندن أو أحد المراكز الإسلامية في إنجلترا، وأحيانًا يعود فيرى نفسه وجهًا لوجه أمام الحياة الأوروبية فيتلظى كمدًا ويحتــرق ألمًــا وتمطر عيناه دمعًا وهو يردد "الغربة حرقت فؤادي".

الغربـــــة

البعض من الناس يهوى الأسفار والاغتراب، بل إن هناك من يتهم المقام وقلة الترحال والاغتراب بقلة الراحة، وأن لذيذ العيش في النــصب كمــا قــال الشاعر:

ما في المقــام لــذي عقــل وذي أدب
من راحة فــدع الأوطــان واغتــرب
سافر تجــد عوضًــا عمــن تفارقــه
وانصب فإن لذيذ العيش في النــصب

لكن ذلك كله في إطار إمكانية العودة للوطن، خاصة عندما تهب رياح الشوق عليه، وهو في سفره لأطراف الدنيا، إنما يكون لمتعة السياحة والترويح عن النفس، واكتساب مزيد من المعرفة، والتنقل في الأرض إما للعلم أو للزيارة أو لتجديد الحياة، وعندما تطول به فترة الغياب، وتتحرك في داخله رغبات اللقاء، وتموج في قلبه لحظات الاشتياق، فإنه سرعان ما يحترق فؤاده، من الغربة مهما تجلد وصبر وكابر، متمثلاً قول الشاعر:

ما من غريب وإن أبدى تجلده
إلا تذكر عند الغربة الوطنا

يا غريب الدّار عوّد

لاشك أن ما أنعم الله على إنسان هذا العصر من مواصلات واتصالات خفف كثيرًا من معاناة الغربة وآلامها مقارنة بالسابق، لكن تبقى المعاناة أشد وطأة، وأكثر ألمًا، عندما يمنع الإنسان من العودة لوطنه كما هو الحال في شأن صاحبنا الذي تحدثت عنه في المقدمة فهو: شاب عربي قد اتخذ طريق الله منهجًا له في الحياة، فكان عاقبته الجور والظلم من دولة تدعي بأنها ديمقراطية (!!)، وكان هذا الشاب يرتب لأن يلتقي مع أمه أو يراها في إيطاليا، وكان يقول لي: كم أنا مشتاق لها، وعينه تدمع عند ذكرها، وكأني به لحظة الاشتياق يحتضن جزيئات قد تناثرت في الهواء، فيها شيء من عبق أمه وهو يردد: إنني أجد ريحها، لولا أن تفندون، أقول هذا حاله هو فكيف حال أمه!!

إن والدته عندما تلتقي به سوف لن تتوانى بأن تطلب منه بأن يعود، بل ستقول له بالفم المليان: يا غريب الدار عوّد، ثم لا تلبث بدون ضغط عليها من أحد أن تتراجع عن طلبها هذا، لأنه ابنها وفلذة كبدها، وتخشى عليه من البطش المسلح أو السجان أو الجريمة.

الغربة الحقيقية

ما سبق ذكره هو الغربة القهرية وهي الحرمان من لقاء الأهل والأقارب، أو هي حرمان الفواصل من المحبوب والعشيق، وهي غربة جسدية ونفسية (معنوية) وهناك من الغربة ما يقع على النفس فقط، وتشكل غربة معنوية في حياة الناس، وهي التي أشار إليها المصطفى (ﷺ) بالحديث المعروف "بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدا فطوبى للغرباء".

أما الغربة الأخرى فهي غربة التغييب نفسًا وجسدًا، وهي الكأس التي سيتجرعها كل حي، وتخرجه من موطنه الكبير (الحياة) إلى موطن آخر بعيد هو عالم الآخرة، وهي الغربة التي لا تدانيها أي غربة، كما قال الشاعر:

ليس الغريب غريب الشام واليمن
إن الغريب غريب اللحد والكفن

إن الإنسان يسير ويغدو في هذه الدنيا وقد جعلها الله لنا حلالاً طيبًا، كما قال تعالى: ﴿كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ [سورة البقرة/آية ١٦٨] واستيطانها محفوف بالغربة الحقيقية، وهي ليست للأحياء – على طول – موطنًا، وعليه: فعلينا أن نتذكر ونحن نروح ونغدو بأن هناك لحظة قد لا نروح فيها ولا نغدو كما قال الشاعر:

نروح ونغدو كل يوم وليلة
وعما قليل لا نروح ولا نغدو

عبدالعزيز و ((الأمر)) العزيز

(١٤٢١/٦/٢٥هـ)

تربطني بالاسم "عبدالعزيز" رابطة قوية ومباشرة، فوالـدي يرحمـه الله عبدالعزيز، وابني يحفظه الله عبدالعزيز، وعدد لا بأس به بين أسرتي من اسمه عبدالعزيز، فذكره محبب إلى نفسي، وفي ذكره ذكر لشخصيات تاريخية، فقـد ارتبط في ذهني هذا الاسم من خلال ابن عبدالعزيز (عمر) (ﷺ)، ذلك الخليفـة العادل، وكذلك من خلال عبدالعزيز (آل سعود) الملك الموحد لكيان هذا الوطن الكبير طيب الله ثراه.

أشعر أن لهذا الاسم خصوصية في اللفظة الحسية، والدلالة المعنوية، فهو يجمع بين كلمتين متضادتين في المعنى، لا يمكن الربط بينهما إلا في هذا الاسم، فكلمة "عبد" تعني في مدلولها اللغوي والحياتي الخضوع والذل والانقياد، وكلمة "العزيز" تعني في مدلولها اللغوي والحياتي العزة والرفعة والمنعة، وقد جـاءت في القرآن الكريم تحمل هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ﴾ [سورة يوسف/آية ٥١] وهي أي كلمة العزيز في حق الله سبحانه وتعالى اسم من أسـمائه الحسنى، لذلك فإن عبدالعزيز كاسم إنما يعني الانقياد والخضوع كبعـد للعزيـز سبحانه وتعالى، يستمد منه العزّة والرفعة والمنعة.

عمر بن عبدالعزيز

من لم يقرأ سيرة عمر بن عبدالعزيز لم يقرأ التاريخ، هذا ما يمكن قولـه عند الحديث عن عمر بن عبدالعزيز، هذا الخليفة الذي عده المؤرخون خـامس الخلفاء الراشدين، بويع بالخلافة بعهد من سليمان بن عبدالملك، وذلك في صـفر سنة تسع وتسعين من الهجرة، مكث فيها سنتين وخمسة أشهر، ملأ فيها الأرض

عدلاً، ورد المظالم، وسن السنن الحسنة، وجاء في كتاب تاريخ الخلفاء للإمـام السيوطي عن مغيرة قال: جمع عمر حين استخلف بني مروان، فقال: إن النبـي (ﷺ) كانت له فدك ينفق منها، ويعول منها على صغير بني هاشم، ويزوج منهـا إيمهم، وإن فاطمة سألته أن يجعلها لها فأبى، فكانت كذلك حياة أبي بكر ثم عمر، ثم أقطعها مروان، ثم صارت لعمر بن عبدالعزيز، فرأيت أمرًا منعه النبي (ﷺ) فاطمة ليس لي بحق، وإني أشهدكم أني قد رددتها على ما كانت على عهد النبي (ﷺ).

إن ابن عبدالعزيز (عمر) كان مدرسة متكاملة تحمل هم الوقوف بين يدي الله والسؤال، همته عالية، ويعمل وفق معادلة: "إنمـا يـصلح الرعيـة العمـل والحق"، غادر الدنيا وهو لم يكمل الأربعين من عمره، ودفن بالقرب من حمص، تاركًا خلفه سيرة عطرة تبيّض الوجه، وتزكي الأنف، بينما عاش على هـامش الحياة غيره من الولاة والحكام.

عبدالعزيز آل سعود

كلنا ندرك أن خير القرون – كما ورد بذلك الحديث – هي القرون الأولى بعد النبوة، وهي السنوات التي كانت تزخر بالتمكين لهذا الدين ونـشر مبادئـه، حتى دانت الأرض لله الواحد القهار، ثم خلف من بعد ذلك خلوف إلى أن عادت الجزيرة العربية كبقية العالم الإسلامي في العصر الحديث إلى شتات في الأمر، وضياع في الهوية، وأصبح يأكل بعضها بعضًا، فقيّض الله لها رجـلاً صـالحًا يدين لله في كل أموره، تحلّيه العبادة لله، وتسيّره الاسـتعانة بـالله، وتـشاركه مجموعة من "الإخوان" المتصلين بالله، فقد كان وإياهم رهبانًا في الليل، فرسـانًا في النهار، حتى كتب الله على يديه لم شِتات هذه الجزيرة المترامية الأطـراف، وجمع بين أهلها ووحّد كلمتها، فكانت نجد وكانت الحجـاز، وكانـت القـصيم،

وحائل، والشمال، وكانت عسير، والباحة وجازان، ونجران، وكانت الأحساء، والدمام، والظهران، كان هذا كله حيث كان عبدالعزيز الملك الموحد فما هو يا ترى "الأمر" العزيز الذي كان يحمله عبدالعزيز طيب الله ثراه ؟

عبدالعزيز و "الأمر" العزيز

يوافق مقال هذا الأسبوع تاريخ الواحد من الميزان وهو يوم الوطن وهو الأمر العزيز عند مليكنا الراحل عبدالعزيز، وهو أمر لعمري يرتبط بصميم حياتنا في الدنيا والآخرة، حيث هو المساحة التي نعيشها، وتتطلب منا الإخلاص في العمل، كما أنه الساحة التي تبرز فيها عطاءات المواطنين وإبداعاتهم، والمواطنة الحقة هي التي تحمل هاتين الصفتين: "عمل وإخلاص" ومن يقرأ سيرة الملك عبدالعزيز ويتدبر كثيرًا من أقواله، يشعر بأنه كان يكن كل الحب والتقدير لأي مواطن يحمل هذا الشعار: "عمل وإخلاص"، وحق لنا جميعًا: أمراء ووزراء، قضاة وأطباء، رجالاً ونساء، معلمين ومهندسين، مواطنين ومسؤولين أن نعتز بهذا الوطن، الذي بناه الملك الراحل، وتولى أمره من بعده أبناؤه – حفظهم الله – خاصة أن فيه البلد الأمين (مكة المكرمة) والبلد الآمن (طيبة الطيبة) فهل إلى تحقيق ذلك من سبيل؟.

ابن عثيمين .. المنزلة والمنزل

(١٤٢١/١٠/١٧هـ)

قبل أربع سنوات تقريبًا عندما كان الحديث عن الاستنساخ علـى أشـده، وكتبت عنه سلسلة من الحلقات في صحيفتنا الغراء "عكـاظ" نـشرح الجوانـب البيولوجية، والنواحي الإنسانية والاجتماعية، بما في ذلك الإيجابيات والسلبيات، وما يكون منه خطيرًا وما يكون منه مفيدًا، قرأت يومًا فتوى لفـضيلة شـيخنا وعالمنا الشيخ محمد صالح بن عثيمين – يرحمه الله – في إحدى الصحف كانت غير عادية في صياغتها، فاتصل بي أحد القـراء وهـو الأخ الفاضـل أحمـد الحربي، وهو فيما أظن أنه عميد أو عقيد ونتفق لنلتقي مع الشيخ، فـذهبنا إلـى داره في مدينة عنيزة، وقضينا نهارًا مع الشيخ عرفت فيه عن قـرب: بـساطة حياته وإقباله على آخرته، وبشاشة وجهه، وحبه لضيفه، وكذا غـزارة علمـه. وعندما تحدثنا عن الموضوع، أخذ يسأل عن جميع جوانبه العلمية، وقـال فـي نهاية حديثه أنتم أهل الذكر في هذا.

حاولت وأنا أعيش ساعات ذلك النهار مع فضيلته أن استفيد ما أمكن مـن علمه، وعندما أحضر طعام الغداء، فإذا به يجالسنا، ويعزم علينا من قريب، وهو يأكل، وكان معنا أحد أبنائه، وكان ذلك اليوم يوم اثنين فقد تعـوّد أن يـصومه، ويعلم الله أن هاتفه في ساعات الجلوس معه كان لا يكف عن الاتصال، فالنـاس تأنس لفتواه، وتحب حتى سماع صوته، فهو رجل قد كتب الله له المحبـة فـي القلوب، وهذه منزلة راقية، ومن كان يتابع البرنامج الصباحي لفضيلة الشيخ في إذاعة القرآن الكريم يدرك مدى سعة علمه، بل إنه اتصف بطريقـة التفـصيل الدقيق والمنطقي في الحديث والفتوى، وهو مع هذا وذاك حاضر البديهة، لطيف الحديث، حسن الظن، كما كان يحب طلبة العلم ويتبناهم، وهو ذو أسلوب فريـد

في دروسه، يتضح ذلك من خلال ما كان يقدمه في كل عام في مكـة المكرمـة خلال شهر رمضان المبارك، فالكل في درسه على درجة عالية من الانتباه لمـا يتمتع به من أسلوب السؤال والجواب.

إن منزلة الشيخ كما ذكرت بين العامة والخاصة كبيرة، أما منزله في دار الرضوان فهو ما كان يعمل له – يرحمه الله – ويحرص عليه. وقـد عـانى – يرحمه الله – من المرض، وصبر حتى توفاه الله، نسأل الله تعـالى أن يحظـى بمنزل الشهداء، فقد ابتلاه الله فيما أعلم بداء ببطنه، والمبطون شهيد، وإني على "خيرية" هذا العالم شهيد.

نثريات من أدب الهرمونات

(١٤٢١/٥/٢٦هـ)

كتبت الدكتورة عزيزة المانع مقالاً لطيفًا من عمودهـا اليـومي "أفيـاء" بعنوان هل حقًا،الكتابة أنثى؟ نقلت فيه بعض ما جاء في مقـال الأسـتاذ حمـد القاضي في صحيفة الجزيرة بعنوان (الكتابة أنثى ذات تباريح) حيث يـرى أن سبب استعصاء الكتابة على صاحبها، وتمرد القلم على ربه وعصيانه التحـرك على الورق إنما هو: لأن الكتابة أنثى ذات دلال، وتمنع بل وغـرور أحيانًـا، مستشهدًا بأبيات لغازي القصيبي، يقول فيها:

تبغي الكتابة في ميعادهـا عجـلا
إن الكتابـة أنثـى ذات تبـريح
أما رفقـت بـشيخ شـاعر فطـن
جم المواهب، ذي ديـن وتـسبيح

طرحت بعد ذلك الدكتورة سؤالاً في محله حول الكتابة عند الإنـاث فـي حالة الاستعصاء بقولها: هل يمكن وصفها آن ذاك (بفتى ذي تمنـع) أم يـسمح الوصف في هذه الحال؟ وإذا كان الكاتب حسب القول الـسابق، يجـد حـلاوة الكتابة في تمنعها أو دلالها الأنثوي، فمن أين تستمد الكتابة حـلاوة الكتابـة، إن ربط حالة تمرد قلم الكاتب أو الكاتبة بالتمنع قادني في هذا المقال للحديث عـن الأدب وفسيولوجيا الأديب، وذكر بعض النثريات من أدب الهرمونات.

الأدب وفسيولوجيا الأديب

إن الأدب بشكل عام، والإبداع على وجه الخـصوص، تحركـه عوامـل مختلفة، وتتسبب في هياجه ظروف كثيرة، فإذا تجاوزنا الحس العاطفي، والنبض الداخلي، كعوامل حادثة فإن الوضع الهرموني لحالة الأديب مؤشـر يمكـن أن

يعتمد عليه كعامل قوي يحقق للأديب قوة الأداء، وروعة الإبداع، وبقدر تركيز الهرمون في دم الأديب أو المبدع بقدر ما تجيء المواقف التعبيرية (النثريـــة أو الشعرية) صادقة، وتجيء الحروف والكلمات مشبعة بالمعـــاني، والهرمونـــات كثيرة، وهى لأغراض عديدة، وكل هرمون قد يحقق غرضًـــا مـــن أغـــراض الأدب.

إن بوح الهرمونات بوح فطري، وهو انسيابي وناطق رسمي عن الجسد، وتنطلق حروفه وكلماته لتعبر عن حالة من حالات الأديب: خوفًا.. شـــجاعةً .. حبًا .. عشقًا .. فرحًا .. حزنًا..

في حالة الهرمونات القلبية كمثال فإن الأديب ينفث عطرًا باريـــسيًا مـــن الحروف بفعل هرمون التستسترون (الذكوري) يطرب له الأدباء، كما أن الأديبة تفوح عبقًا رومانسيًا بفعل هرمون الأستروجين (الأنثوي) يقتتل عليه النقاد!!

نثريات من أدب الهرمونات

نذكر هنا نماذج من أدب الهرمونات يوضح شيئًا مما نقول:

- هذه امرأة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب – رضـــي الله عنـــه – ذهـــب زوجها إلى الجهاد، وغاب عنها كثيرًا، فخيمت عليها كآبه الوحشة، وثار في داخلها هرمون الأنوثة، وزاد تركيزه فإذا بها تقول:

لقد طال هذا الليل واسود جانبه
وأرقني ألا حبيبًا ألاعبه
الله لولا الله تخشى عواقبه
لاهتز من هذا السرير جوانبه

فما كان من عمر (ﷺ) إلا أن سأل ابنته حفصة عن الفترة التي تستطيع أن تصبر فيها، فعمم على جنوده ألا يغيبن رجل عن امرأته أكثر من أربعة أشهر.

وعن أبي ذر الغفاري قال: "أتت امرأة إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقالت: يا أمير المؤمنين إن زوجي يصوم النهار، ويقوم الليل، وأنا أكره أن أشكوه – وهو يعمل بطاعة الله عز وجل – فقال لها: نعم الزوج زوجك، فجعلت تكرر هذا القول، ويكرر عليها الجواب: فقال له كعب الأسدي: يا أمير المؤمنين هذه المرأة تشكو زوجها في مباعدته إياها عن فراشه، فقال عمر: كما فهمت كلامها فاقض بينهما. فقال كعب: عليَّ بزوجها، فأتى به فقال له: إن امرأتك هذه تشكوك قال: أفي الطعام، أو الشراب؟ قال: لا، فقالت المرأة:

يا أيها القاضي الحكيم رشده
ألهي خليلي عن فراشه مسجده
زهده في مضجعي تعبده
فاقضي القضاء، كعب، ولا ترده
نهاره ليله ما يرقده
فلست في أمر النساء أحمده

فقال زوجها:

زهدني في النساء ذي الحجل
أني امرؤ أذهلني ما نزل
في سورة النحل، وفي السبع الطول
وفي كتاب الله تخويف جلل

فقال كعب:

إن لها عليك حقًا يا رجل
نصيبها في أربع منك عقل
فأعطها ذاك ودع عنك العلل

- كتب أحد الشعراء بعد أن أثر الهرمون في جسده خاصة عظامه يقول:

عسى الدهر يدنينا ويدني ديـــاركم
ويجمع ما بيني وبينكمـــو الـــشملا
فأشـــكو تبـــاريح الغـــرام إليكمـــو
وحر جوى يبلي عظامي وما يبلى

- وهذا هرمون الشوق يعبر عنه صاحبه نثرًا فيقول: "فليـــت شـــعري، مـــاذا أصنع في شوق أنا مدفوع إليه من صادق حبي، بعوامل صادفت مني قلبًـــا خاليًا، فتمكنت بالتعارف، ولم تدع للسلوان سبيلا؟

إي وربي، إن شوقي إليك شوق الظمآن إلى برد الشراب، وحنيني لـــك حنين الشيخ إلى زمن الشباب، فما الإبل وقد حنّت إلى أعطانها، والغرباء وقـــد حنّت إلى أوطانها بأعظم مني حنينًا، ولا أكثر أنينًا".

تلك هي بعض النماذج لم نستطع من خلالها إلا تغطية هرمون الإحساس، وبقي أن نذكر نماذج لهرمونات الخوف، والشجاعة، والفرح، والحزن .. وهـــي في عالم الكتابة الأدبية سواء بسواء عند الذكور والإنـــاث، ولا تتمـــرد علـــى صاحبها – ذكر أو أنثى – إلا بسبب الإنفاق الداخلي (الهرموني) وهو ما يعبـــر عنه في كتب الأدب بالعاطفة المؤججة لوجدان الشاعر أو الأديب.

قُلعت عيناه في العيد فأبصر

(١٤٢١/٩/٢٧هـ)

يومان أو ثلاثة يحل علينا عيد الفطر المبارك الذي يهل هلاله، وهو يومئ لشهر رمضان بقبلات من التوديع الحار، وهيهات على ضيف مثل رمضان ألا يكون عزيزًا، إن لكل من احترمه ووقره وصانه – وهو لا يزال يمنح الفرصة فيما تبقى من أيامه – وسامًا منقوشًا بالمغفرة والرحمة والعتق من النار، لكن من طيشه وتشاغل عنه، والتلهي بدنياه فإن الضيف لا يأبه به، لأنه عند الرحيل ينادي بما نادى به جبريل عليه السلام، عندما طلب من النبي (ﷺ) أن يؤمن حيث قال: "رغم أنف امرئ أدرك رمضان ولم يغفر له فقل آمين" فقلت آمين.

نعود إلى الضيف الجديد، إلى العيد من جديد، إلى الأضواء والأنوار، إلى المحبة والبهجة، إلى السرور والحبور، قد يشعر الأيتام والأرامل والفقراء بأن مما يحمله العيد من معان، هو لبس الجديد فالعيد عندهم فرحة وفيه معنى للتجديد، لكن حقيقة الأمر أن الأغنياء والفقراء في أمر العيد سواء، لأن جديد العيد يختلف عن أي جديد آخر، وأول جديد العيد تجديد القلوب وجعلها "تفسخ" ملابسها القديمة من الحقد، والحسد، والضغينة، والقطيعة وإلباسها "الجديد" من الحب، والتسامح، والعفو .. ومهما يكن بين الناس من قديم التعامل السيء يجب خلفه في يوم العيد، لذلك يجب فيه السؤال والتفقد، خاصة عن الأقارب والأصحاب والجيران.

إن الاحتفاء بالعيد على ما يلم بأمتنا اليوم من خطوب، ومكاره، ومصائب ضرورة نفسية، وناحية شرعية، صحيح أننا كلنا آلام وأوجاع، وأنَّات لمصاب القدس الشريف وأهله الشرفاء، في وقت وزمان تخلت عنهم تغذية القلوب والأرواح بمداد الساعد والسلاح، واكتفت بالدعاء ومداواة الجراح.

إن الذي في كتب السير أن أول عيد شرع في الإسلام هو عيد الفطر في السنة الثانية من الهجرة، وكما يقول صاحب كتاب سبل السلام إن فيه دليلاً على

إن إظهار السرور في العيدين مندوب، وإن ذلك من الشريعة التي شـرعها الله لعباده، لذلك قلنا بأنه ضرورة نفسية، لأن فيه الحس بالجديـد وكـذلك ناحيـة شرعية، لأن فيه صلاة مفاتيحها الله أكبر الله أكبر الله أكبر... لا إله إلا الله والله أكبر .... الله أكبر ولله الحمد.

قلعت عيناه فأبصر

في مثل هذه المناسبات العيدية السارة كان يخرج الحرافيش وهم: فقـراء العامة إلى بيوت الأعيان يطلبون "العيدية" التـي ذكرهـا المـؤرخ المـصري الجبرتي بأنها كانت تسمى "بخشيش" أو "بقشيش" كما أن الشعراء فـي بعـض العصور كانوا يعدون العيد موسمًا يستدرون به الرزق من الولاة والخلفاء، فقـد وفد أحدهم ذات مرة على أحد الخلفاء، فوجده جالسًا وإلى جانبه جارية تـدعى خالصة، وعليها من الحلي والجواهر واللآلئ ما لا يوصـف، فـصار الـشاعر يمتدحه، وهو يسهو عن أسماعه، قد شغله ما هو فيه من أمر الجارية، فخـرج الشاعر من عنده، وكتب على الباب:

لقد ضـاع شـعري علـى بـابكم
كمـا ضـاع در علـى خالـصه

فقرأه بعض حاشية الخليفة، وتحركت بطانته لتعلمه بالأمر، فعندما أخبروه غضب، وأمر بإحضار الشاعر، فلما وصل الشاعر إلى الباب مـسح وبـسرعة العينين اللتين في لفظة ضاع، وحضر بين يديه، فقال له، وقد أخذه الغضب: ما كتبت على الباب؟ قال كتبت:

لقد ضـاء شـعري علـى بـابكم
كمـا ضـاء در علـى خالـصه

فأعجبه ما سمع، وانتشى، وانفكت أساريره، كما يقولون ومنحه عطـاء، وعيدية، وخرج من عنده الشاعر وهو يقول: لله درك من شـعر قلعـت عينـاه فأبصر.

وكل عام وأنتم بخير.

ومن أجلها أحببت ما كان أسوداً

(١٤٢٢/١٠/٧هـ)

لاشك أن اللون الأسود "والكحل" لا يمكن أن يجذب أو يحدث في النفس رغبة الإقبال، بعكس اللون الأبيض "الثلجي" أو "البفتة" فإنه حاجة تجذب وتتمتع النفس بالنظر إليه، والخلطة السرية بشيء من البياض مع شيء من السواد تعطي اللون الأسمر الجذاب، الذي يمكن تفضيله حتى على الأبيض والألوان البشرية المختلفة (الأسود، الأبيض، الأحمر، الأشقر، الأسمر) كلها تنتج من مصنع خلوي واحد هو ما يكون تحت الجلد من خلايا تسمى الخلايا الصبغية (Melanocytes) وفي كل بوصة مربعة من الجلد حوالي ٦٠ ألف خلية صبغية هي المسؤولة عن المادة الملونة للجلد، وهي توجد في جميع البشر، أوروبيهم وأفريقيهم، يعني في البيض والسود على حد سواء، لكن الفرق يكمن في الكمية المقررة من مادة الميلاتين، فهي تفرز بكثرة في السود، بينما يكون نشاطها وإفرازها ضعيفًا في البيض، وحتى لا يكون هناك تميز عنصري مبني على اللون جاءت رسالة النبي الكريم تقول: "لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى، الناس من آدم وآدم من تراب".

*** أعراف بالية**

طبيعي أن تجد في أوروبا رجالاً سودًا أو سمرًا، عربًا كانوا أو عجمًا، يقرنون ويتزوجون ويرغبون بذات اللآلئ من النساء، حيث تجذبهم سحنة البياض، وتسحرهم مسحة الشقار، ولا تنظر إليه (أي إلى ذلك الزواج) تلك المجتمعات على أنه إلا شيء عادي، أما في المجتمع العربي والإسلامي فالمشهد غير حضاري مرفوض، بل إنه عيب ومنقصة قديمًا وحديثًا، فقديمًا في الجاهلية يتحدث الأسود "الكحل" عنترة بن شداد عن معاناة حبيبته عبلة من هذا الشعور بقوله:

تعيرني العــدا بسواد جــلدي
وبيض خصائلي تمحو السوادا
سلي يا عبل قومك عن فعالي
ومن حضر الوقيعة والطرادا

وحديثًا صدم الدكتور شاكر الخوري في مجلس كان فيه، حيث دخل عليهم رجل أسود الوجه، تتمخطر بين يديه امرأة هي زوجته، تذهب بالعقل من بياضها وجمالها مما حدا به أن يتكدر ويقول:

تكدرت الخواطر مذ رأينا
برفقــة أسود بــدر التمام
فــلا عجب بذاذ قد عرفنا
بأن البدر يطلع في الظلام

وقد قرأت شيئًا كثيرًا عن استنكار العرب واستهجانها لمثل هذا، وامتــدادًا لهذا الرأي الجاهلي تمتد في عقول بعض المسلمين عنجهية العــرق والأصــل، وبالتالي حجب البنات المسلمات عمن يتقدم لهن مــن المــسلمين ناســين قــول المصطفى ﷺ "إذا جاءكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير" ولأمر ما جعل الشرع أمر الزواج أولاً وأخيــرًا بيــد المرأة نفسها، وليس اشتراط ولي الأمر إلا لإتمام الناحية النظامية الشرعية. وقد اتصل بي يومًا شاب من قبيلة عربية يود الزواج من امرأة تنتمــي إلــى قبيلــة عربية أخرى، إلا أنه رفض بسبب أن قبيلة مخطوبته أعلى مكانة، فقلــت لــه: أأنت متأكد مما تقول؟! قال: نعم ولكن لماذا؟ قلت لأن مجتمعنا أصبح متحضرًا، وأكثر من ذي قبل نبذًا للتقاليد المتخلفة، والأعراف البالية، واســتبدالها بقاعــدة نبوية: "إذا جاءكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه"!! ناهيك عن أنــه أســلوب الأمم المتقدمة والمتحضرة، وإعطاء المرأة حق الاختيار والحرية في ذلك.

*** ومن أجلها أحببت ما كان أسودًا**

أما العكس فطبيعي، أي أن الرجل الأصيل وذي التميز والجمـال يقتـرن بامرأة عكس ذلك فإنه لا يستغرب، ومن يقرأ التاريخ الإسلامي يعـرف كيـف كانت السلاطين تقترن بالجواري، وإن كنت استغربه ولا أقبله، خاصة اللـون، فذات يوم رأيت في لندن رجلاً أبيض أشقر بين يديه امرأة "فحم" وقـد أخـذني المنظر كل مأخذ، ولم أعرف سر ذلك حتى لقيت صديقًا أبيض مسلمًا متزوجًـا من امرأة سوداء فسألته، فرد عليَّ متمثلاً قول الشاعر:

أحب النساء السود من أجل تكثم
ومن أجلها أحببت ما كان أسودًا
فجئني بمثل المسـك أطيب نفحة
وجئني بمثل الليـل أطيب مرقدا

إنها في عينه وقلبه الدنيا كلها، وشرح شيئًا كثيرًا، وتحدث عن "مميزات" و"مواصفات" آخرها قوله: "وجئني بمثل الليل أطيب مرقدا" مما جعلنـي أتـرك الحديث عن الموضوع الأصلي، وأنحو به في هذا المقال إلى ما عليه الناس هذه الأيام من تقلب النوم، وعكس آية الليل والنهار، حيث سيمتد وضع الصغار على هذه الحالة حتى بداية أو نهاية أيام الاختبار النهائي للفـصل الأول، فالنـاس لا تزال امتدادًا على الوضع في رمضان تسهر ليلاً، وتنام نهارًا، والتقويم الدراسي لهذا العام فيه كثير مما يجب أن يراجع، فالوقت فيه هدر وضياع، مما أضـاع معه شيئًا من التعليم، كما أنه يتسبب في خلخلة الوقت، وإحداث الفراغ النفـسي، وعليه فإنني اقترح دراسة مشروع الإجازات للسنوات القادمة بعناية، مـراعين في ذلك بعض الاعتبارات مثل: شهر رمضان والربيع والسياحة والحـج، مـع الأخذ في الاعتبارات مما يحقق المصلحة التعليميـة والاجتماعيـة، وحيـث إن المقال كان في اتجاه، وموضوع التقويم الدراسي في اتجاه آخر، فإنه لن يكـون هذا إلا بمثابة تنبيه فقط، والله من وراء القصد في الموضوعين والاتجاهين.

ظهور إن شاء الله

(١٤٢٢/٦/٢٧هـ)

كتبت مقالاً بعنوان "نثريات من أدب الهرمونات" ووضحت فيه مـا قـد يكون وصلاً بين الهرمونات والأدب (فسيولوجيا الأديب) وضربت أمثلة لذلك إلا أن قارئًا أكاديميًا، وشخصية علمية معروفة، طلب مني عدم ذكر اسمه تفاعل مع هذا الاتجاه الذي يربط بين الأحاسيس الداخلية الفسيولوجية وبين جزالة الألفـاظ وقوة الأداء اللغوي، وبناء على طلبه أضرب هنا أمثلـة أخـرى فـي صـدق الأحاسيس للشاعر عندما يفقد من يحب.

حيث يقول أحد الشعراء:

إن كنت تنـكر ما بليت بـه
وتشك في وجـدي وفي كمدي
فسل الكواكب قد رضيت بها
ينبئن عن سهري وعن سهدي

ويقول إسماعيل الأزدي:

سل الليـل عني هل أحس رقـاده
وهل لضلوعي مستقر على الفرش

ويمكن أن نتحسس سريان الذبذبات الكهربائية البسيطة التي تخترق أغشية الخلايا من خلال ما ذكره أبو سهل من وصف بأنه دبيب بين الجلـد والعظـام حيث يقول:

وإني لتعروني لذكراك لوعة
لها بين جلدي والعظام دبيب

وهناك من الشعراء من كان أبعد من ذلك في الوصف، حيث استلزم لحاله قياس للضغط، وتتابع لحالة النبض عنده، كما يقتضي وجود طبيب عظـام، لأن مفاصله ترتعش، وطبيب باطني يفسر حالة شحوب اللون عنده، وكـذا طبيـب أعصاب ليتدارك اعتقال اللسان، حيث يقول:

خفقان قلبي وارتعاش مفاصلي

وشحوب لوني واعتقـال لسان

ضربت الأمثلة السابقة لكي أوضح أن تأثير النفس على الجسد كبير، وهذا ما يحدث في بعض الأمراض النفسية العارضة التي يصاب بها بعض الناس.

من الجسد إلى النفس

ما سبق ذكره هو أثر النفس على الجسد مما يحرك هرموناتـه، ويهـيج غدده، ويؤثر على أعضائه وأنسجته وخلاياه. بقي أن نذكر أن العكـس يكـون كذلك فالأعضاء والأنسجة والخلايا عندما تعيا وتمرض وتتلف وتتهالـك، فـإن ذلك بمثابة إيقاعات تمس أوتار النفس، فتجعلها تئن وتتألم، وكأنها هي المعنيـة بالمرض، وليس الجسد، ويتم ذلك من خلال الخلايا العصبية الواقعة في وسـط الدماغ، والتي لا يتعدى طولها سنتيمترًا واحدًا وتعرف بتحت المهاد، حيث هـي العضو الوحيد الذي يصل ما بين الجهاز العصبي والجهاز الهرموني، إن الشدة والمحنة والمرض كل ذلك يهيج "تحت المهاد" فيقلب مزاج الإنسان وتـصرفاته. ومعروف علميًا أن الهرمونات هي التي تضبط شؤون كثير من الناس، وذلـك عبر ما يعرف بالكيماويات النفسية وما ينتج عنهـا – زيـادة ونقـصًا – مـن أعراض سلوكية، إلا أن تكامل المعرفة العلمية لهـذه الكيماويـات الهرمونيـة، وسبر أغوارها غير واضح إلى الآن.

إن الانفعالات الفسيولوجية التي تحرك النواحي النفسية وما يرافقها مـن تغيرات هرمونية، هي بحاجة لمزيد من الدراسة والبحث. صحيح إن انفعـالات

المريض نحو المرض تظهر عفويًا، لكنها تتباين بين الناس، فهناك من يؤدي شعوره بالمرض فقط إلى انحطاط معنوي كبير، وهناك من يحل في جسده أمراض وأمراض ويواجهها بنفسية عالية متماسكة، مع أن الجميع يملك مراكز واحدة للإحساس بالألم، ويفرز الجميع هرمون الطوارئ (الأردنيالين) وإن كان إفراز الهرمونات عمومًا يختلف في الإنسان وفق نشأته وتجارب طفولته، ولعل للنضج العاطفي دورًا كبيرًا في ذلك، وكما ذكرنا فإن هناك خلايا "تحت المهاد" في الدماغ تثير الشعور والتخوف من المرض، أو تضبطه وتقلل منه وذلك وفق الفعل الهرموني من خلال ما يعرف بالناقلات العصبية (الأمينات البيولوجية).

لا بأس .. طهور إن شاء الله

سواء كان المرض جسديًا سببه النفس، أو نفسيًا سببه الجسد، فإن ذلك كله يوجب البحث عن العلاج والشفاء. ومفهوم الشفاء هو الاعتقاد بأنه من عند الله، ومن خلال القرآن الكريم، وما صح من الأحاديث النبوية، بعيدًا عن الخزعبلات من التمائم والحرز والودع والخيوط الحلقية، أو طلب الشفاء من خلال الكهنة والسحرة والمشعوذين، وكذلك مُدعي قراءة القرآن الكريم وأنهم "مشايخ مميزون". ويبقى للمريض حق اجتماعي وجه إليه الرسول الكريم بقوله: "إن المسلم إذا عاد أخاه المسلم لم يزل في خرفة الجنة، قيل يا رسول الله: وما خرفة الجنة ؟ قال: خباها" رواه مسلم، ويقول البراء بن عازب رضي الله عنه: "أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعيادة المريض" متفق عليه، ولاشك أن الزيارة تخفف الألم، وتسلي الخاطر، وتجبر المريض، وذلك عندما يسمع من يقول له عند الخروج: لا بأس .. طهور إن شاء الله، فإن ذلك يرفع معنويته، ويقوي نفسيته، خاصة إذا شعر أن من يزوره إنما يزوره لله. فاللهم أشف جميع المرضى، ولكل مريض لم أبلغ زيارته، وهو يقرأ مقالي هذا أقول له: لا بأس .. طهور إن شاء الله.

اللقاء والميزان

(١٤٢٢/٧/٥هـ)

في لقاء يجمع ثلة من المسؤولين في وزارة المعارف تحدث معالي الوزير محمد بن أحمد الرشيد، حديثًا أخويًا أقرب لأن يكون حوارًا عن كونه توجيهـا، وأكثر ما لفت نظري في حديثه هو فهمه للفائدة الحقيقية من دراسـة التـاريخ، حيث قال: "إن من أهم الدروس التي يجب أن نستفيد بها من دراسـة التـاريخ: تعلم الإيثار، ونكران الذات، والتفاني فـي سـبيل العقيـدة والمبـدأ، والأرض والعرض، وتعجبني المقولة الحكيمة: "لا تسأل وطنك ماذا يعمل لـك، وأسـأل نفسك ماذا تعمل لوطنك".

وقد بشر الوزير في حديثه بقرب إقرار تدريس اللغة الإنجليزية والحاسب الآلي، حيث قال: "إن نظم المعلومات والحاسب مفتاح للتقدم، وإن إتقـان اللغـة الإنجليزية وسيلة للوقوف على الجديد في عالم المعرفة المتسارع، لذا فقد تقـرر أن تكون في مدارسنا في كل المراحل بدءًا من المرحلة الابتدائية مادة الحاسـب الآلي، ومادة اللغة الإنجليزية، وذلك مع بداية العام القادم!!.

لقد أعاد معالي الوزير اتخاذ هذا القرار إلى أسباب عـدة أذكرهـا هنـا مختصرة وهي بحق أسباب وجيهة، ومبررات مقنعة، وهي:

- ما أثبتته الدراسات التربوية والنفسية المختصة من أن الطفل يمتلك قدرات وطاقات هائلة تمكنه في هذه المرحلة المبكرة من عمره مـن اسـتيعاب الكثير من المعلومات التقنية، وتعلم أكثر من لغة بإجـادة عاليـة، وذلـك لقدرته على المحاكاة وصفاء ذهنه وحدته.
- تزايد عدد المواطنين المقتدرين في إرسال أبنائهم للخارج.
- استيعاب التقنية الحديثة التي تزداد تطورًا يومًا بعد يوم.

- إن عملية تعليم اللغة الإنجليزية والحاسب الآلـي لا تحتـاج إلـى تعلـم "متخصص" في كل مراحلها، كما أن هناك وسائل متعددة لتعلمها.
- إننا مطالبون باتخاذ القوة، والحاسب الآلي عمادهـا، واللغـة الإنجليزيـة أداتها الأولى.

إن هناك خطة متكاملة لهاتين المادتين، ستقوم وكالة الـوزارة للتطـوير التربوي بتقديمها، حتى يتم عرضها على اللجنة العليا لسياسة التعليم لإقرارهـا، كما أوضح ذلك معالي الوزير.

إن كلمة الدكتور "الحوارية" تبعث على الهمة وتعطي الأمل للمعلمين فـي حقهم الحضاري في صناعة الأجيال، وأن ذلك أمانة في أعنـاقهم، وكـل ذلـك يحتاج إلى مزيد من الدعم المادي والمعنوي، وهو التربة التي تنمو فيها البـذرة نموًا صحيحًا ومعافى، أسأل الله أن يعين المعلمين على أداء واجبهم، كما أشـكر مدير الإعلام التربوي في الوزارة الدكتور الفاضل عبدالله بن صالح الحـسني، على تواصله ونشاطه في إمداد المفكرين، والكتاب بكل جديد، وحوار ولقاء في الوزارة.

الميـــزان

يوافق يوم غد الأحد أول الميزان، وهو يوم الوطن الـذي تمتلـئ كفتـه بسجلات وملفات العطاء والعمل للمواطنين مـن أمـراء ووزراء ومـسؤولين وموظفين، إن الميزان بقدر ما يذكرنا بوحدة هذا الوطن وغلاوته فـي قلوبنـا، وبقدر ما يمنحنا من حب لولاة أمرنا، والالتفاف حول قيادتنا، بقدر ما هـو أداة تنبيه للمسؤولين من الأمراء والوزراء، وجميع موظفي هذا الـوطن، بمراجعـة حساباتهم في الإخلاص والعطاء، ومراقبة الله سـبحانه وتعـالى فـي خدمـة المواطن. ولئن كانت كفة الميزان حساسة بالدرجة الأولى لـشأن التعلـيم فـي وزارة المعارف، والرئاسة العامة لتعليم البنات، فإن في قلب الكفة من الوزارات

ما يجعل لها ثقلاً خاصًا، فوزارة الصحة لا تزال بحاجة لأن تستنهض همة مستشفياتها وأطبائها والمسؤولين فيها، وأن تمنح دعمًا ماديًا لكي تعيد الصحة المسلوبة إلى أصحابها، ووزارة العمل والشؤون الاجتماعية لها وزن في الميزان، لو علمته لما نامت عين مسؤول فيها مما ينتشر من بؤس الأيتام، وضعف الأرامل، وحاجة العاطل، ووزارة المواصلات يتعلق في رقبتها بنسبة كبيرة كل حادث لم تعبدللناس فيه الطريق ويشاركها في جزء من ذلك إدارة المرور، ووزارة الإعلام منوط بها التعريف في كل أول يوم من الميزان بمعاني حرية الكلمة، والصدق مع الوطن، في كل ما تقدمه وسائلها المختلفة، ووزارة العدل في وزارة الميزان فإدارتها بحاجة لأن تجدد وسائلها، وتواكب العصر، كما أن تنبيه ضمير كل قاض ضرورة حتمية، والانطلاقة الواسعة في قضايا التحكيم توجب إقامة الدورات المتخصصة في التحكيم الطبي، والهندسي، والعملي، وغيرها، ووزارة التعليم العالي شأنها في الميزان عال، فالتعليم حق لكل شاب يعيش مرحلة حساسة من عمره، كما أن الارتقاء بمستوى البحث العلمي، وصناعة الكوادر العلمية المتميزة، يستوجب الدعم المادي المتواصل، وهناك العديد من الوزارات التي تأخذ كل واحدة منها خانة، وتشغل مساحة في ميزان الوطن، فالتخطيط والصناعة والشؤون الإسلامية، والتجارة، والحج، وكذا وزارتا البترول والثروة المعدنية، ووزارة المالية، وما يتبع ذلك من هيئات ومؤسسات وإدارات، فالكل يجب أن يتذكر: أن يوم الميزان هو يوم غد الأحد، كما أن هناك يومًا آخر للميزان، هو يوم يقوم الناس لله رب العالمين، عندما توضع الموازين بالقسط، راجيًا من الله العلي القدير أن يوفق كل أمير ووزير ومسؤول وموظف للقيام بعمله على الوجه الذي يحقق رضا الله، ورفعة هذا الوطن، وآمال ولاة الأمر، حفظهم الله.

يا نهلة خلي غيرتي وعقالي

(١٤٢٢/٣/١٧هـ)

يعيش العالم العربي الغربي، وتحديدًا الولايات المتحدة الأمريكية حالة من التناقض الحاد غير المبرر، ولا أدل على ذلك من تعاملها مع قضية فلسطين، فهي المقيدة دائمًا، أو الساكتة عمدًا، لما يحدث من تدمير للممتلكات وترويع للآمنين وتقتيل للمواطنين، أجل، لقد جاوز الظالمون المدى، وبالغوا في التمكين للإرهاب الذي تتزعمه دولة إسرائيل، وهُمَش دورنا كمسلمين وعرب، وأصبحنا "مع المشاهدين" أصيبت قلوبنا ومشاعرنا في مقتل، من غير المقبول أن يُحاط اليهود بملايين العرب والمسلمين، ثم هم لا يستطيعون أن يحركوا ساكنًا، ولا يغيثوا ملهوفًا، ولا يعينوا على نوائب الدهر.

إن الحركات الجهادية الأخيرة (العمليات الفدائية) من أبناء صغار في السن رفعت رأسنا قليلاً، كما أنها نشرت الرعب بين اليهود، حتى رفض بعض اليهود أن يسكن في المستوطنات الجديدة، وقرر أن يعود من حيث أتى، ففدائي واحد صغير لم يبلغ الحلم يعدل جيوشًا بكل رجالها وعدتها وعتادها.

متخـــاذلة !!

لقد طال ليل السياسات المتخاذلة بعد أن استمرأت إسرائيل سياسة استخدام القوة، وبالغت في إملاء شروطها، مقابل التوصل إلى سلام هزيل لا يعطينا غير حقوق منقوصة، ويضع الأمة كلها: رجالها ونساءها، وحكامها وشعوبها، عربها وعجمها، تحت وصايتها الجائرة، إن الدعم الأمريكي المنظور والمخفي يجعلها تتمادى في الإبادة، والتصفية الجسدية والنفسية، لأبناء أمتنا في فلسطين، لقد جاء موقف المملكة العربية السعودية ممثلاً في رفض ولي عهدنا الأمين صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز الزيارة إلى أمريكا ليكون موقفًا

شجاعًا يستحق التقدير، إنه قرار ينبثق من مبادئ سمو الأمير، ومن أخلاقياتـه، وقيمه الشخصية، التي تملأ نفسه وروحه، إن من الصعب أن تبقى الأمة هكـذا مكتوفة الأيدي، ومتخاذلة بعد أن مارست عليها إسرائيل سياسة التهميش المتعمد لواقعها، وتجاهلت تمامًا وجودها لذلك فإن القرار (رفض الزيارة) إنما انطلـق من قواعد عقائدية إسلامية، وكان حتمية للمشاعر الأخوية العربية والإسـلامية العميقة، وهذا موقف يسجل بماء الذهب لهذا الأمير المقدام حفظه الله ورعاه.

عندما تعود من عملك مرهقًا تعبًا، ثم يشدك منظر في التلفزيون يُعامل فيه الإنسان كالحيوان، بل أشد وأنكى، على مسمع من العالم كله، بما في ذلك مسلمه وعربه، يُجر الطفل.. يُركل.. يُضرب.. تشتت أشلاؤه في كـل مكـان، حتـى الطفلة الرضيعة تلاحقها رصاصات الموت من كل جانب، تنظر إلى ذلك كلـه، وأنت لازلت على هيئتك التي أنت قادم عليها، لكي تلحق الخبر وتتابعه، ثـوب وغترة وعقال، تجيء إليك صغيرة الدار تطلب منك أن تلاعبها، وتـستحثك أن تسرع في التخلص من الغترة والعقال لكي تزاول بعضًا مـن نـشاطها علـى أكتافك، لقد أخذني ذات مرة منظر امرأة فلسطينية تنادي حكام العالم وشـعوبه، خاصة العالم العربي: أن مدوا يدًا أو اصنعوا معروفًا بالأخذ على يـد الظـالم، واستفهمت: هل في العالم العربي رجالاً ؟ وإن وُجدوا أين هم؟ .. وعندها طلبت من صغيرتي نهلة أن ابتعدي عني، واتركي غترتي وعقالي، لأتمكن من سـماع المزيد مما هانت القدس وأهلها على "الرجال" وتذكرت عندها قـصيدة للـشاعر عبدالعزيز المقحم فماذا يقول فيها ؟!.

القصيـــدة

لقد حوّرت في القصيدة فيما يخص الأسماء، وحذفت بعضًا مـن أبياتهـا خشية الإطالة:

يا نهــلة خــلي غتــرتي وعقــالي
وتــداركي بعــضي قبيــل زوالي
يا نهلة أتعبني التضارب في الرؤى
وتناقــض الأفعـــال والأقـــوال
أني اتجهــت وجــدت قــولاً مفعمًا
بالصـــدق، ثم يســاء بالأفعـــال
آمــل في الفــرح المؤقت ضــاحكًا
وصــراخ ثكلى أمــتي متعــالي؟
أأقــول لليــل البهيــم إذا ســجى
أنت الصباح وصبــح غيرك بالي؟
أأقــول للظــلم المبــين عـــدالة؟
وأقــول عن يمنــاي أنت شمالي؟
مــن كان يــكره مثــل هذا فليكن
لــذويه أكـــــره منــه للإذلال
فهــم الذين يذللـــون عقــولنــا
لقبــول قــلب حقــائق الأمثـــال
وهم الذين يشــوشــون فهـــومنا
حتى نــرى الإدبــار كالإقبـــال
أنا مولع يا نهلة بالأبطال والشرفاء
لا ترضــى ســوى الأبطـــال
أنا مولــع بالصــدق أعشــق أهله
والصادقـــون معاقــد الآمـــال

كيف بلغت "القمة"؟!

(١٤٢٢/٩/٢٣هـ)

بعد جهد ما يقرب من ثلاث ساعات في منتدى عكاظ السادس، تحدث خلالها معالي الوزير الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ، عن قضايا وموضوعات ساخنة، وبعد الانتهاء من الحوار والمنتدى، طرح معاليه أثناء تناوله العشاء على المائدة، وبجواره الدكتور هاشم عبده هاشم، طرح سؤالاً على رئيس تحرير "صحيفة عكاظ" ومديرها العام سرعان ما كانت إجابته قصيرة ومقتضبة ومحددة، وبينما كان هناك أخذ ورد حول الإجابة، تذكرت مقالاً كتبه الأستاذ والأديب علي العمير، في زاويته المعروفة "تحت الشمس" يدور حول رؤساء التحرير، أشار فيه بوضوح إلى أن رئاسة التحرير لأي صحيفة إنما يجب أن تكون لمن هو "مدرسة" وضرب لذلك نموذجين ناجحين، لكل واحد منهما مدرسته، وإسهاماته الكبيرة، النموذجان هما: الدكتور هاشم عبده هاشم، والأستاذ تركي السديري، لقد تأكد لي وأنا بالقرب من السائل والمجيب على مائدة عكاظ ما قاله الأستاذ العمير، وقلت لقد أصاب الأستاذ العمير كبد الحقيقة، فعما سأل الوزير، وبماذا أجاب الدكتور هاشم ؟!.

مواصفـــات

- إنها مؤسسة عملاقة استطاعت من خلال أنشطتها المختلفة أن توجد لها قواعد وأسسًا متينة.
- غدت في المجتمع مدرسة إعلامية حديثة تتناول جوانب متعددة، وتغطي في طرحها موضوعات متنوعة، وفيها فصول (صفحات) للشريعة، والفكر، وللسياسة، والثقافة، والرياضة، والعلوم، ولأخبار الوطن، ومستجداته.

- أصبحت جامعة يتنافس على ساحتها الصفوة والنخبة، ويلتحق بها كل من له مقدرة على صناعة الحروف والأفكار.
- إنها حس الفقير والضعيف، وكل من يعيش في الظل، بعيدًا عن الأضواء.
- حازت على ثقة القراء، فأطلقوا عليها صاحبة "المليون" قارئ، فهي تدخل كل بيت ومكتب، وتجدها بين يدي المواطن والمسؤول.
- في الحوار لا تترك المجال للسقطات أن ترقص على مسرحها، ولا أصحاب التعديات أن ينشروا غسيلهم على حبالها، وترفض أسلوب التراشق. تلك هي بعض من مواصفاتها، بقي أن نتحدث عن العمود الفقري لها، حيث هو محورها الهيكلي، ودعامة بنائها.

كتاب وكاتبات

تزخر صاحبة المواصفات السابقة بالعديد من الكتاب والكاتبات الذين هم بمثابة العمود الفقري لها، ولن أستطيع في عجالة كهذه أن أذكر جميع الكتاب والكاتبات، لكن هذه نماذج، وهناك من هو أحسن، وهناك من هو أقل شأنًا، وهم كثر، وإن كنت أؤيد البعض أو أختلف مع البعض الآخر، إلا أنني أقدر لهم عطاءاتهم وتميزهم، فمنهم من يجذبني جديده، ومنهم من تشدني جديته، وفيهم من هزله ومرحه رسالة لقارئه ومتابعه، وفيهم من تغلب عليه العباسة، والقتارة، ومنهم من له وناسة.. بكل صراحة هناك تنوع. هناك مشعل السديري، "المركز" و"المخفف" وهناك الحاضر الغائب صاحب الفكر المستنير الدكتور أنس مدني، وهناك الاجتماعي الذي أعزه كثيرًا الدكتور عبدالله الفوزان، وهناك التعليمي المتقد الدكتور مازن بليلة، وهناك المبدعة والأديبة المتمكنة الدكتورة عزيزة المانع، وهناك الكاتب الوزير الدكتور علي النملة، وهناك المتدفق الأستاذ محمد الحساني، وهناك المعلم والنائب أيمن حبيب، والمخضرم النائب علي مدهش،

وهناك الشاكية دائمًا الدكتورة ابتسام حلواني، وهناك الإنسانة الأستاذة الجـوهرة العنقري، وهناك الأديب صانع الحروف الأسـتاذ سـعيد الـسريحي، وهنـاك الأكاديمية الدكتورة فاطمة العبودي، وهناك المتألق هاشم الجحدلي، والمتجـددة غادة الحوطي، لقد تعبت من ذكر الأسماء. فالباقون وأنا آخرهم، كـل هـؤلاء وأولئك يمثلون المحور الهيكلي لها.

كيف بلغت "القمة"؟!

أعود لسؤال معالي الوزير الذي طرحه على الدكتور هاشم: كيف وصلت "عكاظ" إلى هذا المستوى؟! وكأنه يقول: كيف بلغت القمة، وأصـبحت تحظـى بمتابعة المواطنين لها. ولم أكن استغرب السؤال ولا طرحه، لكن دهشتي كانت من الإجابة، حيث تنصل رئيس التحرير من أن ما وصلت إليـه "عكـاظ" هـو بجهده، وقال بنبرة كلها إخلاص: إن نجاحات "عكاظ" وتحقيقها لما وصلت إليـه إنما هو بفضل الله، ثم بجهود السابقين دون أن يضيف ذلك له مما جعل الزميل الدكتور أنس مدني يكرر السؤال، فيجيبه الدكتور هاشم بأنه يعـرف المقـصود وهل في ذلك مهرب ؟: أي هرب من إسناد النجاح له، لقـد أعجبتنـي إشـادة الدكتور علي العميري، بأستاذية الدكتور هاشم عبده هاشم كرئيس للتحرير فمن ذا سيشيد به فيما يكتب في الزاوية الرائعة الناجحة "إشراقة" ومـن ذا سـيتحدث عن تعامله الراقي، وإنسانيته الزاهية، وزيارته للأديب الكبير محمد حسن فقـي ليست عنا ببعيد .. إنها الوفاء والعطاء والنجاح وبلوغ القمة.

بين « المبشرات » و « المعوقات »

(١٤٢٣/٨/١٠هـ)

أتذكر أنني قرأت بتتابع رواية للقاص العكاظي عبده خال، بعنوان "ليس هناك ما يبهج"، واستسمحه اليوم باستعارة العنوان فقط، فواقعنا العربي والإسلامي اليوم مأساوي، خاصة أهلنا وإخواننا في فلسطين. فقد وصلتني رسالة من قلب القدس تحكي الواقع المؤلم، الذي يعيشه إنسان يسمى "فلسطيني" وأرجعتني هذه الرسالة إلى صفحات التاريخ، فقلبت فيها فإذا بصفحة تقول "وجدت الأمة العربية والإسلامية نفسها فجأة في القرن الخامس الهجري في مواجهة أحداث عظام، لم تطق الصمود أمامها، وأخذت تصارع موجات عارمة شرسة من الغزو الأوروبي "ضد المسلمين في مصر، والشام، والأندلس، والمغرب، وقد بدأ هذه الحملة البابا أربان الثاني في روما، ودعا ملوك أوروبا وأمراءها إلى المشاركة في حرب مقدسة ضد المسلمين، ونتيجة لذلك قامت بعض المستعمرات للأعداء بعد الاستيلاء في قلب الوطن العربي الإسلامي مثل: إمارة الرها في الجزيرة الفراتية .. شمالي العراق وسوريا وإمارة طرابلس، ومملكة بيت المقدس". أما الصفحة الثانية التي قرأتها فتقول "هبت على المسلمين عاصفة عاتية من الشرق هدت دولة الإسلام، هي جموع التتار الحاشدة، التي اجتاحت الشرق الإسلامي، فتساقطت دولة واحدة أثر الأخرى، حتى سقطت بغداد سنة ٦٥٦هـ وحتى قال الشاعر يصف الكارثة:

لسائل الدمع عن بغداد إخبار
فما وقوفك والأحباب قد ساروا
يازائرين إلى الزوراء لا تغدوا
فما بذاك الحمى والدار ديار

تاج الخلافة والربع الذي شرفت
بـــه المعـــالم قـــد عفـــاه إقفـــار
أضحي لحيف البلى في ربعه أثر
وللدمـــوع عـــلى الآثـــار آثـــار

المبشرات

تذكر كتب التاريخ أن الأمة ما لبثت أن عادت إليها الفرحة علـــى أيـــدي الأيوبيين ضد الحملة الأوروبية، حيث بدأ معارك التحرير أحد قادة المسلمين هو عماد الدين زنكي، وتبعه ولده نور الدين محمود، وأخيرًا صلاح الدين الأيوبي، الذي هزم الأعداء في حطين، وترددت في أنحـــاء العـــالم الإســـلامي أصـــداء البشائر، كما انتصر المماليك في عدة معارك فاصلة على التتـــار والـــصليبيين خاصة في معركة (عين جالوت) سنة ٦٥٩هـــ بقيادة (قطز) يعاونه (بيبـــرس)، ومعركة (فتح عكا) سنة ٦٩٨هـــ على يد (الأشرف خليل).

ما أشبه الليلة بالبارحة حيث تتكالب على الأمة العربية والإســـلامية اليـــوم جيوش ذات أهداف قريبة المدى وبعيدة المدى، ولكن مع هذا كله فإنني أتلمـــس مبشرات تصاحب ذلك هي من إرهاصات النصر المستقبلي بإذن الله ومن ذلك:

- تولي الله – سبحانه وتعالى – أمر هذا الدين والذود عنه، وحفظ أهلـــه إن كانوا صالحين.
- عودة فئات كثيرة – مع كل الأعصار – إلى دين ربها وصـــحوتها مـــن الغفلة.
- بداية الاهتمام التقني والعلمي والصناعي في بلاد المسلمين، خاصـــة فـــي بعض دول شرق آسيا، وجمهوريات الاتحاد السوفيتي سابقًا.

- انقشاع غمة الشيوعية، وإلغاء سيطرتها عن الأمة المسلمة في العديد من دول ما كان يسمى بالاتحاد السوفيتي.
- وصول أمريكا العظمى إلى أوج غطرستها وظلمها، ودعمها الواضح لإسرائيل، وذلك نذير سقوط وتهاو.

أما المعوقات فإنني أحيل القارئ إلى الواقع ليتبصر به، حيث إن كبرى المعوقات تشرذم الدول العربية والإسلامية وعدم تحولها إلى "اتحاد" كما الاتحاد الأوروبي، والخيانة في بناء الحكومات لدولها بناء صحيحًا يقوم على العلم والتقنية والصناعة.

غازي عبيد مدني

(١٤٢٣/٢/٢٨هـ)

لم أكن في يوم من الأيام أفرد مقالة لشخص بعينه خشية ألا أفهم كما ينبغي، لكن ماذا يمكن أن تعمل عندما تقودك الأقدار لأن تعرف شخصًا عن قرب، وتتجلى لك فيه بعض الصفات والخصائص التي تأسرك من حيث تدري أو لا تدري، فإذا أضيف على ذلك أن من ستتحدث عنه ليست لك عنده حاجة، وقبل ذلك، وبعده، ليس بينك وبينه إلا وشيجة الحب والاحترام، إن ذلك كله يبرر بل يؤكد حق الواجب في الكتابة عنه.

إن غازي عبيد مدني لمن لا يعرفه أو يعرفه عن بُعد، صاحب قلب كبير، يألفه من يعرفه ومن لا يعرفه، وتكتمل الصورة عنه، عندما تقرأه كتابًا متكاملاً يحوي فصولاً متعددة: منها ما له علاقة بالفكر، وآخر بالإدارة، وثالث بالأخلاق، ورابع بالثقافة، وها أنذا أعطي نبذة مختصرة عن كل جانب من هذه الجوانب.

الفكـــر

يعد معالي الأستاذ الدكتور غازي مدني من جيل عاصر طرح الأفكار المختلفة والملتهبة في نفس الوقت، خاصة تلك التي واجهت الأمة في دينها وعقيدتها، لقد تنوعت تلك الأفكار وتباينت، كلها كانت تحمل شعارات براقة، وقد قرأها معاليه كغيره من أبناء ذلك الجيل، لكنه وزنها جميعًا بميزان كان مرجعه في كل أموره وقضاياه ألا وهو ميزان الإسلام، وهذا ليس بغريب عليه، فهو سليل أسرة مدنية عرفت بالتدين، والمحافظة على الثوابت، فأكسبه ذلك وضوحًا في الرؤيا لا غبش فيه، ويتضح ذلك جليًا في حديث معاليه وخطاباته، كما أنه

ينتمي إلى المدرسة الفكرية التي تنادي بالجمع بين مكتسبات الحضارة الحديثة، وبين ثوابت الدين والعقيدة، أي بين الأصالة والمعاصرة.

الإدارة

ينتمي معاليه إلى الهيئة التعليمية في كلية الاقتصاد والإدارة، وتخصصه في علم الإدارة "فكل الصيد في جوف الفراء كما يقولون، فقد عرف الإدارة أكاديميًا وبحثيًا، كما أنه مارسها ميدانيًا وواقعيًا، وقد أكسبه ذلك كله منهما دقة في العمل الإداري وكل من يعرف معاليه عن قرب يعرف كيف أنه الشخص الذي كان ولا يزال يصنع قرارات الجامعة القوية، والتي تحتاج إلى من يتبناها، فإذا ما اقتنع بأي قرار فيه مصلحة عامة فإنه لا يتردد على الإطلاق في تنفيذه مهما واجهه ذلك من صعوبات، وهذا مما تفرد به معاليه من غيره، وعادة ما يترك الأمور الإدارية البسيطة لغيره، وهي بحاجة إلى إجراءات تنفيذية واستقصائية لا يود أن تشغل حيزًا من وقته، وقد عرفته من خلال بعض الأعمال الإدارية بأنه يزرع الثقة فيمن يسند إليهم أعمالاً أو رئاسة لجان، ويراقب أعمالهم ونتائجهم عن بعد، ويفرح كثيرًا بنجاحاتهم، وذلك نموذج فريد في الإدارة.

الأخـــلاق

عندما تذكر الأخلاق والتعامل اللطيف والحسن، فإنه تذكر المدينة المنورة ويذكر أصلها وهذا ليس تحيزًا لأنني من طيبة الطيبة، لكنني تلمسته ووجدته كثيرًا في قلوب الناس، وغازي عبيد مدني من أهلها أي من طيبة الطيبة، فهو قمة في أخلاقه وتعامله، وقد حضرت معه يومًا في اجتماع وجهًا لوجه ومع من أساء إليه، وقال عنه ما ليس فيه، فما كان منه إلا أن قابل السيئة بالحسنة، وكأن شيئًا من ذلك لم يكن، حتى أن غريمه قال له: أكبر فيك هذه الروح، فهو ممن

يعفو عمن أخطأ في حقه، وهذا لعمري خلق عظيم، كما أنه غاية في الأدب مع غيره، حسن النية صادق الطوية، صاحب لسان نظيف، وأدب جم، متواضع، لا يعرف الكبر (بكسر الكاف) ولا ينقص من حق الغير، عادل في التعامل، ولست بصدد ذكر التفاصيل كي لا أقصم ظهره، لكنني أحسبه – والله حسيبه – ممن له حظ وافر في الخلق الجميل.

الثقافـــة

أذكر يومًا وفي وجود لصاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل وفي مناسبة محددة في الجامعة قدم معالي الأستاذ الكبير غازي مدني كلمة ترحيبية، قال عنها الأمير خالد الفيصل في حينه: هذه قطعة أدبية، فمعاليه ممن يملك ناصية الكلمة، وهو أديب من الطراز الأول، وذلك ينمي عن حس ثقافي فهو متابع لكل طرح ثقافي. وقد لقيني يومًا وقال: ألم يصلك خطابي قلت: عماذا ؟ قال: عن مجلة الإعجاز العلمي، وعندما استلمت الخطاب تبين لي من خلال قراءته المتأنية والعميقة، ومتابعته بعد ذلك لكل ما يكتب فيها بأن معاليه واسع الاطلاع والثقافة، هذا إذا عرفنا أن معاليه نشأ في بيت كله ثقافة وأدب وعلم، فإن ذلك بلا شك أتاح له أساسًا قويًا تقوم عليه ثقافته ومنطلقاته الفكرية والعلمية.

إنني في نهاية هذا المقال لا أملك إلا أن أدعو الله العلي العظيم بأن يمنحه حياة طيبة كلها صحة وعافية، له ولكل مسلم ومسلمة، راجيًا أن يكون ما كتبته في ميزان حسناتي يوم القيامة والله من وراء القصد.

قلوب معطرة

(١٤٢٤/١٠/٨هـ)

كنت يومًا في حديقة غناء، بساطها أخضر، تبتسم كثيرًا لزائريها ومحبيها، يتربع على عرشها النخل الباسقات، وتتدلى من عرائشها حبات العنب الزاهيات، جداول مائها منسابة، تفتح على بعضها بقنوات أشبه ما تكون بصمامات القلوب، تتجول فيها عصافير وأطيار، صغار وكبار، تصدح بين جنباتها أصوات الفلاحين ينادون فيها نسيم الصباح: يغازلونه بل يرتشفون منه ما يمد حياتهم بطاقة الأكسجين، ويجعل وجوههم نضرة كما قلوبهم كذلك. المهم أن هذا البستان أو الحديقة أو ما نطلق عليه في المدينة المنورة: "البلاد" جذبني فيه منظر وددت لو صورته بالفيديو، أو حتى بكاميرات الجوال الحديثة لأعرضه هنا في صحيفة "عكاظ" لقطات هي أبلغ في التأثير من المقال، أواه أيها القارئ لو رأيت ما قد أنا رأيت لذهلت من شدة المنظر، ولما يمكن أن تذهب إلا وقبلت تلك "الإنسانة" الجميلة الرائعة ذات القلب المعطر، التي فتحته لغيرها لتحقق السعادة له، إن الذي خطر في بالي عنها بأن زوجها هذا قد طردها يومًا أو أساء إليها وظلمها، أو قد يكون العكس يحبها ويموت فيها ولا يتصور أنها تعيش بدونه، لكنها اليوم وقد رأته في وضع آخر، فإنها رأت فيه شيئًا آخر مما جعلها تذهب فيما قدمه لها من خدمة إلى أبعد الحدود.

في ناحية من نواحي تلك الحديقة بل في خاصرتها، وتحت ظل النخلة الباسقة، رأيت عصفورة مزدانة بالجمال تسير رويدًا رويدًا، وعلى أقل من مهلها، وقد حملت في فمها طعامًا "طازجًا" حتى إذا اقتربت من عصفور آخر التحم عنقها بعنقه، والتصق صدرها بصدره، ثم طبعت على فمه قبلة "تغذوية" تنميه بها وتعيشه عليها، وتسد بها جوعه، إنه مسكين، مقعد ومعاق، لا حراك

فيه قد أعياه المرض، أو أذاه إنسان بالتعدي عليه بحجر، كل الذي أراه أمـامي هذا الكائن الضعيف: طائر مهيض الجناح، تقوم على حياته هذه الست الطيبـة "العصفورة"حقًا لا أدري، هل هي تقوم بهذا العمل من باب الواجب، ورد الجميل لما كانت عليه حياتهما من حب، أم أنها صورة مـن صـور الإغاثـة "طبعًـا الحيوانية" مهما كان السبب، فإنها الرحمة والحنان والعطف، الذي أودعه الله هذه القلوب المعطرة، وما لنا إذا نزعت الرحمة من القلوب كما قال رسـول الله {ﷺ} وما لنا إذا خلت القلوب من العطور، وأصبحت لا رائحة لها، وكيف الأمـر إذا كانت هناك قلوب تنفث روائح نتنة تخنق كل من يقترب منها.

تحية للقلوب المعطرة في مجتمعنا رجالاً ونساء وأخـص بالـذكر هنـا صاحبة النقب التي تقوم على مساعدة الأرامل والأيتام والمحتاجين، ولا ترغـب أبدًا في الإفصاح عن اسمها، مبتغية فيما تعمل وجه الله، وهي من عائلة جداوية معروفة، كما أزجي التحية لتلك المرأة التي صدفة أن عرفت عنهـا فـي أحـد المستشفيات وهي لفترة طويلة تقوم على خدمة زوجها الذي أصيب بجلطة، وفقد وعيه، ينتظر رحمة ربه، وهي تقف بجنبه صابرة محتـسبة، إنهـا عـصفورة عاشقة لا تنسى قلبها وحبها حتى عندما طُلب منها أن تطلب الطـلاق، وحقهـا الشرعي في الخروج عن ذمته، لتعيش مع غيره، قالت: لايمكن إمـا أن يعـود صحيحًا معافى، ونعيش سويًا، أو أن أقوم عليه حتى يقـضي الله أمـرًا كـان مفعولاً، ألم أقل إنها قلوب معطرة؟.

عبدالعليم فرج ... أستاذ أجيال

(١٤٢٤/٩/٢٣هـ)

غيب الموت قبل أيام البروفيسور عبدالعليم فرج أستاذ البيولوجيا في العالم العربي، وأحد رواد التشريح المقارن والأنسجة والأجنة في كل من جامعتي عين شمس، وجامعة الملك عبدالعزيز. وقد وظف طاقته وحياته وشبابه في تأسيس قسم علوم الأحياء في كلية العلوم في جامعة الملك عبدالعزيز، وكتب الله له الحياة الزوجية من أحد الأسر الكريمة في هذا البلد، وعاش في المملكة معتبرًا إياها بلده وحبه، والدكتور عبدالعليم لم يملك قلوب محبيه إلا بأخلاقه وتعامله، فقد كان يرحمه الله قمة في ذلك، ولم يقصده أحد في حاجة أو موضوع إلا ويحاول أن يحققه له، خاصة الطلاب فهو قريب من كل طالب، بل إن الطلاب كانوا يُعدونه بمثابة ولي أمرهم، لذلك فإن أجيالاً أكاديمية متتالية تخرجت على يديه، وكل جيل بل كل شخص في كل جيل (دفعة) يذكره بكل الحب والخير، ولا أتصور خريجًا "بيولوجيا" من الدفع التي تخرجت على يديه إلا ويدين له بالعلم والحب والمساعدة، كما كان – رحمه الله – كثير التوجه إلى ربه، خاصة في أيامه الأخيرة، وقد زرته في منزله قبل وفاته بعشرة أيام، وكان يحن كثيرًا إلى العافية التي تمكنه من الوقوف مع المصلين في المسجد، وكما أخبرني أن ذلك يبكيه كثيرًا، حيث أقعده المرض، وعدم القدرة على المشي والحركة عن ذلك، رحم الله أستاذنا الفاضل، وجعله في مقعد صدق عند مليك مقتدر، كما نرجو من الله العلي القدير أن يسبغ الخير على أهله وزوجته، وابنيه أحمد ومحمد، وابنته زينب، وأن يخلفهم خيرًا، ويرزقهم بره بعد مماته بالدعاء والصدقة له.